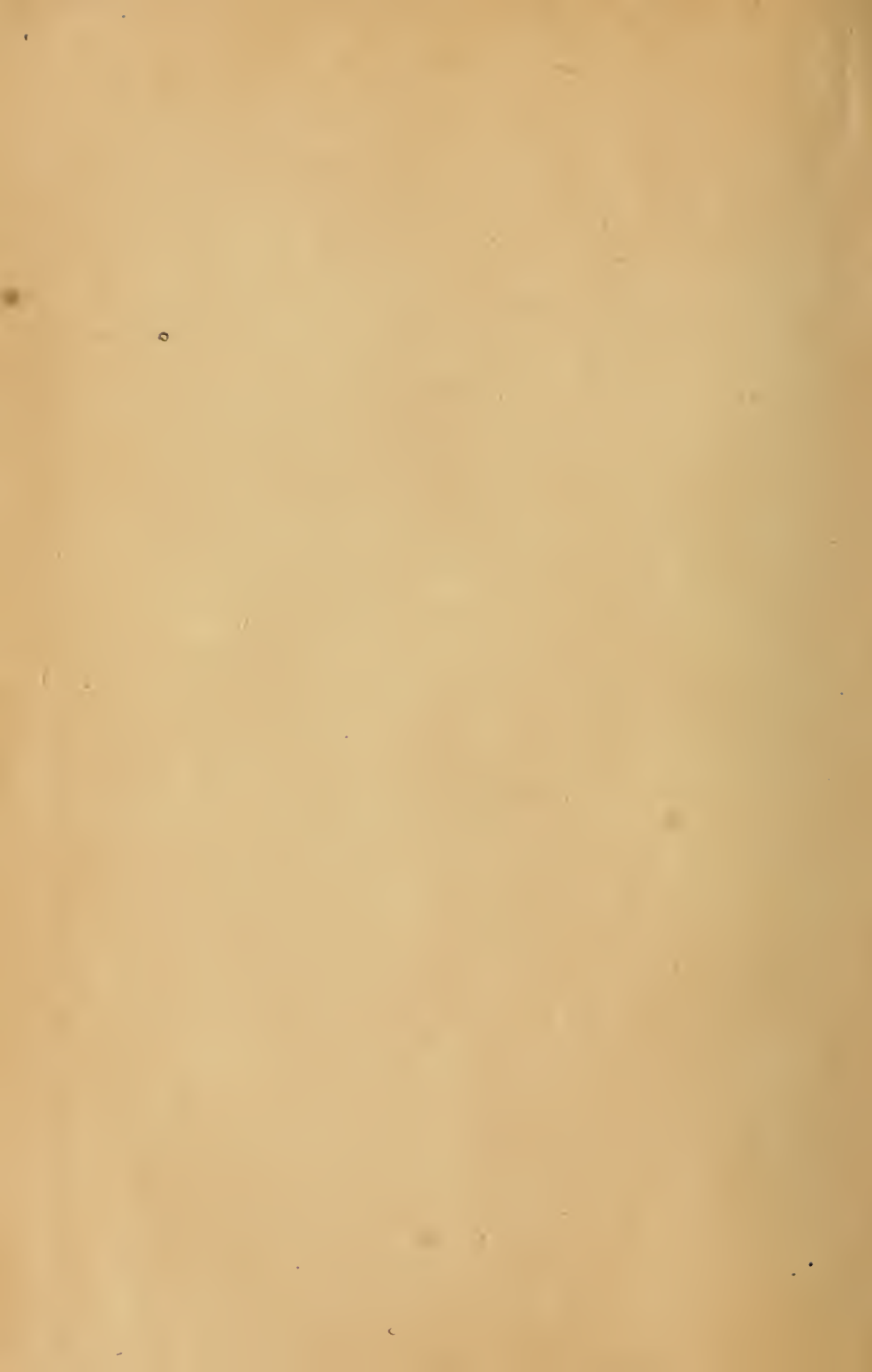




3 1761 06839331 3







صفحة	المسامرة	في
١٢٢.	١٠٩	نور الغاز
١٢٤٧	١١٠	السائف، والمخلف في الاسلام
١٢٥٢	١١١	القار
١٢٥٧	١١٢	المسنشفى
١٢٦.	١١٣	التبغ
١٢٧٥	١١٤	البن
١٢٨٠	١١٥	الانهر
١٢٩٢	١١٦	الاججار الكريمة
١٤٠٠	١١٧	الموا. والماء
١٤٢٦	١١٨	فسحة خارج باريس
١٤٤٤	١١٩	القطن
١٤٦٢	١٢٠	الثمار
١٤٦٤	١٢١	العنب
١٤٦٧	١٢٢	شراب التفاح والكمثري
١٤٦٩	١٢٣	الكوزل
١٤٧٢	١٢٤	البوزة او (البيرا)
١٤٧٥	١٢٥	الاشجار والزهور

فهرس

الجزء الرابع
من كتاب
علم الدين

صفحة	المسامرة	في
١١٥٢	٩٧	الجمعية الشرقية
١١٨٠	٩٨	البركة في الحركة
١٢١٠	٩٩	الإنكليزي والنباترو والكتاب
١٢١٦	١٠٠	الجغرافية
١٢٢٥	١٠١	تزهة في باريس
١٢٤١	١٠٢	فتمة حكاية بمقوب وإخوته
١٢٥٢	١٠٣	البورصة
١٢٦٢	١٠٤	بيت الكتاب
١٢٧٢	١٠٥	قصه
١٢٩٥	١٠٦	البنانكات وأوراق المعاملة
١٤١٨	١٠٧	الهوام والدواب
١٤٢٦	١٠٨	الجراد



وقال هذه النبتة هي التي تسمونها السعتر ونحن نسميها الثن ولها
 فروع دقيقة مستديرة مجلمة باوراق صغيرة منضمة اطرافها الى جهة
 اسفل وفي اعلاها نقط ولون اسفلها ابيض وزهرها في اخر السيقان
 على هيئة سنبله دقيقة ومنه البنفسجي والايض ويستخرج منه ماء
 السعتر وينبت بكثرة في سفح الجبال فيعطر ساها وبطيب هواها



(انتهى الجزء الرابع)

وازهاره الصغيرة متجمعة فوق الساق في هيئة صلبة ولونها ازرق
سجاي وكل زهرة على حدها فوق ساق بمفردها ويتكون عن المجموع
فوق الساق الاصلي شكل كالمظلة بهج المنظر تتميز به هذه النباتة
عن غيرها وياوروبا من هذا النوع ما ينبت بنفسه الا ان زهره
ابيض قليل الرائحة

ثم التفت الخواجا الى نبات اخر وقال ومن هذا النوع الذي
تسمونه في بلادكم بالتفاح يستخرج بالتقطير من ازهاره البنفسجية
اللون المشككة في شكل السنبله في اخر الغصون ماء شديد اذكار
الرائحة في مبداء امره ويقل ذلك تدريجاً بالماكت وطعمه حريف
ولكن اذا اضيف اليه ماء وشرب فانه يترك في الفم رطوبة خاصة
به والمشهور ان التفاح الفلفلي هذا ورد الينا من بلاد الانكليز
وهو كثير بالبساتين

ثم قال وهذا النوع الذي تسمونه في مصر بالسنبل والحزاي
ونحن نسميه ثوند اصله موجود من قديم الزمن في الجهة الجنوبية
من ارض فرانسا ويقال ان له ميلاً الى الحر وهو نبات عطري
طيب الرائحة الى الغاية وفيه حدة ومرارة قليلة وفروعه مستطيلة
مخيفة مربعة بيضاء مزينة في اسفلها بالاوراق وفي اعلاها بالازهار
الصغيرة البنفسجية اللون ويكون في اعلا تلك الازهار اوراق
خضراء

ثم نظر الى نبت فروعه كانهما ذر عليها من تراب الافران

واما هذا النوع فلم يوجد بأوروبا الا في القرن السادس
 واصله من الجهات الحارة الواقعة فيما بين المداين وهو نوعان
 بحري وطبري فكبر زهره ولطف لونه الابيض الوردى واستطالة
 شكله السنبلى وتجمع ازهاره وحمله فوق ساق وحيد وذبوله
 التدريجي المتعاقب الذي يبقى لنا التمتع باستنشاق ريحه الطيب
 عدة اسابيع كل ذلك جعل هذا النوع الطبري فائما على ما حوله
 من الازهار واختارته ايدي الحسان على غيره ثم اشار الى نوع
 اخر منه وقال

واما هذه الشجرة ذات الوريقات البيضاء الخمسة التي يعطر
 الجوشداها فقد نقلها الاورواباويون من اسيا الكثرية العطريات
 فزرعوها باراضيم واستخرجوا دهنها واكثر الموجود منها في
 التجارة يستخرج من الياسين الزنبقي او العربي وهو كثير بالهند ثم
 ان احدى السيدات مدت يدها الى شجرة قصيرة ذات وبرشوكي
 ولها زهر مجتمع اجتماعا لطيفا ورائحة تشبه رائحة الفانيليا وقطفت
 منها زهرة وناولتها للشيخ فرأى لها رائحة زكية وكان لم يسبق له
 رؤيتها فسال الخواجا عنها فقال له هذه النباتة غريبة واصلها من
 البيرو من بلاد الامريكا واسمها في بلادنا الهليوطروب وفسرها في
 القاموس بدوار الشمس والصغيرة من هذا النوع تسمى عندنا
 تنوم بمشاة فوقية فنون ثم واوفيم والكبيرة منه تسمى صامر يوما وعلى
 ورقها من الجهتين وبر والوبر الذي على الجهة العليا اقصر واحد

هو الذي بايدينا فنقول الورد أنواع منه ما يزرع بالبلاد الحارة كالبلاد التي بساحل البحر الأبيض من أوروبا وأفريقيا وهذا النوع هو الذي يستخرج منه ماء الورد وعطره الذي تالفه الغيد والستات في جميع بقاع الأرض ومنه هذه الوردة التي تراها بيضاء وزهرتها قليلة الورق وفي نهاية كل ورقة جزء أصفر فقد منحها الله كثرة العطر بدل ما تقص من ورقها وجعل نوعها أفضل الأنواع ولذا تختار في استخراج عطر الورد وأما أصلها فمن بلاد المشرق وقد اهدت لنا جبال القوقاز هذه الشجرة العظيمة المسماة بالورد المثني لكثرة ورق زهرته وأما هذا الورد السبعاعي الذي لا ينقطع زهره صيفاً ولا شتاءً فاصله من دمشق الشام ومنذ ثلثة عام أخذنا من بلاد المشرق هذا الورد المسكي وأدخلناه في ضمن الأزهار التي تحلى بها بساتينا وهذا النوع يكبر كبراً زائداً في جهة تونس حتى يبلغ عشرة أمتار وبالتفنين في زرع الورد ظهر نوع يعرف بالورد المجوز وبلي هذا النوع شجر البنفسج وهو أوروباي الأصل ويوجد في الغابات تحت ظل الأشجار وزهره وإن كان عزيزاً إلا أنه لا يتجرد من عطره وقد تعسر عليهم هنا استخراج عطره كما استخراج عطر الورد والياسمين وتبتدىء اللسائر روائح أزهاره الزكية ويعطر الياسمين والحدايق من أول شهر فبراير ويستمر يهدي الينا من طيبات انفاسه الزكية مدة شهر مارس وأبريل ثم أشار الى شجر الياسمين وقال

وان رأيتم الفرجة على المدرسة ومحل التجربة فما انا مستعدة لخدمتكم
وان رأيتم ان تنظروا باقي البستان الى ان يحضر الخواجا ويريككم
بنفسه فلا باس

فقال الشيخ الرأي ما ترينه وايها تختارين فهو الموافق واني
لاحب الاطلاع على الجهتين وفي وجودي بين جهابذة الفن مثلكم
فرصة لا بد من ان انتهزها واغترف من مجور علمكم الغزيرة ما
تتعش به روعي من الفوائد الكثيرة التي منها معرفة الحكم التي
اودعها سبحانه في عالم النبات فان هذه المعلومات من نتائج هذا
العصر السعيد الذي هو في اتساع دائرة المعارف البشرية فريدوما
ذكر من ذلك في كتب الاقدمين يوجد منتشراً في الكتب العربية
فضلاً عن كونه قليل الجدوى لقلته على انه لم تثبت صحة نقله
خصوصاً وان يد الجهل اضافت اليه خرافات كثيرة

فقال الخواجا الرأي المناسب ان نطوف في ارجاء البستان ونختار
منه الجهة التي بها المشمومات فان في ذلك مناسبة للستات فتبسمت
ثم قالت هذا هو الراي الحسن ولكن من الواجب اتباع راي الشيخ
فقال الراي ما رآه الخواجا فان النفس الى الروائح الزكية اميل
فساروا قليلاً ثم وقف الخواجا حذاء خطوط الورد وقال قد
جمع المعلم ههنا كثيراً من مالوف النباتات ثم مد يده وقطف وردة
وناولها اياها فطلبها منه ان يتكلم على بعض الازهار ليجمعها بين اللذة
والفائدة فقال لا باس بذلك والاحسن ان نبدأ بالورد لانه

فيجدون طعاما كطعم الخبز ولذا تسمى السياحون هذه الشجرة شجرة الخبز ويصل وزن الواحدة منها الى اقة مصرية بل اثنين وثلاث وكثير من جزائر المحيط كجزيرة جافا وجزائر الملوك وجزيرة بندا وغيرها من الجزائر اكثر غذاء اهلها من جزع شجر يزرعونه في جزائرهم فتمى بلغ عمره خمسة عشر عاما قطعوه واخذوا منه بواسطة مغارف يغرفونه بها ثم يضعونه في حياض منحوتة من هذه الاشجار ثم يسدون اطرافها بمادة ليفية فاذا امتلأ الحوض من المادة المستخرجة من الخ اضافوا عليه ماء وقلبه حتى يمتزج الماء بالدقيق الموجود مع الخ ويمر من المادة الليفية فينزل في حوض اخر فينقل به ما فعل بالاول ويتلقى في حوض غيره فاذا عرف ان مادة الخ تخلصت من جميع دقيقتها واجتمعت في الحوض الاخير مع الماء تركت فيه لترسب ثم يصفى الماء من فوقها ويؤخذ الدقيق طريا ويحفظ في اوعية تصنع في الحال من اوراق هذه الشجرة يسع الوعاء الواحد منها من احد عشر كيلوغرام الى اربعة عشر ولا يتركون الاوعية الى ان تجف خوفا من تلف ما فيها ومع ذلك فيغمسونها في الماء مرة بعد مرة واهل جهات الاستراليا يعرفون جدور نباتات يتعاطونها فتقوم عندهم مقام الخبز ويخزنونها للقوت

فقال صاحب البيت ما من يوم الا ويذكر لي زوجي في بعض مسامراته احوالاً جديدة للنبات مستفاد من استكشافات اهل هذا العصر من العلماء والسياحين الذين جابوا الارض

المطر انضمت اكام الزهر عليه انضماماً جيداً ليحفظ نفسه منه وبعض
النبات لا يهوى الشمس مثل النباتة المعروفة بالبقلة اليهوديه
وتسميها الفرنج لترن وتنتب بارض السيريا فانها اذا احست
بالشمس انضمت اكامها ضمماً جيداً حفظاً للزهر من الشمس ولا
ينفتح الا اذا اظلم الجو وتغطت السماء بالسحاب وما يزداد تعجب
الانسان منه ان هذه النباتات بانواعها وهذه الاشجار مع غلظها
وارتفاعها اصلها خلايا صغيرة نامية وفي داخلها حويصلات صغيرة
بميت لا ترى الا بالنظارة المعظمة وهذه الحويصلات عبارة عن
فقاقيع دقيقة كروية الشكل ثم من تأثير بعضها على بعض تكبر
وتتمو فتصير اجساماً ذات اسطحه متعددة بعد ان كانت كروية
ولا ترى بالبصر لصغرها لكن قوة الحياة فيها عظيمة بحيث انها تزداد
في اقرب وقت زيادة عظيمة فينشأ عنها الياف النبات والمجزع
والغصون والاوراق وبواسطة النظارة المعظمة وجدوا داخل الخلية
الواحدة مع دقتها جدور اجسام من مواد مختلفة وشاهدوا في
الورق حباً كثيراً ومن الوانه اخذت الاوراق الوانها وبعض
الطبيعيين رأى في بعض النبات المائي حيوانات كالذروفي المنسوج
الخلوي يشاهد غالباً دقيق كالذي يستخرج من الحنطة وهذا الدقيق
يكون في جميع اجزاء النبات سواء كانت جدوراً او غصوناً او فاكهة
وسكان جزيرة تاتي بصنعون الخبز من فاكهة تخرج في
جزيرتهم فياخذونها ويحمصونها علي النار ثم ياء كلونها

فجزى الله عنا المشتغلين خيراً اذ لولا هم ما عرف النافع من الضار ولا
البارد من الحار. فقال الخواجا من تأمل رأى انه ما من شيء الا وتعتبر به
احوال غير متناهية في السماء تحدث سحابات وتظهر نجوم مختلفة
وفي الارض تظهر نباتات وحيوانات كذلك ولا شيء ما نراه اولاً
نراه الا وفيه شيء من سر الحياة ففي البعض تكون ظاهرة تدل
عليها حركة الاعضاء وتنقل الجسم ونحوه وفي البعض تكون كامنة
خفية فلا ندركها فالحياة في الحيوان امر وقف عنده علم الانسان
وكذلك في النباتات وكما ان بعض الحيوانات يظهر في بعض
الفصول ثم يزول ولا يظهر الا في مياعده وبعضها يظهر في الظلمة
ولا يهوى النور وبعضها على عكس ذلك فكذلك النباتات بعضها
يخرج زهره في وقت معين دون غيره وكثير منها في هذا الوقت
نفسه اما ان يتجرد من ورقه او يبس عوده ولا يعود لحالته الاولى
الا في السنة القابلة مع الانتظام

ومن هنا رأى بلين الروماني ان يرتب الاشهر والفصول على
حسب تزهير النبات ولكن لم يتم هذا المشروع الا في زماننا هذا
بواسطة بعض العلماء وبملاحظته اتضح له ايضاً ان لكل اربعة
انواع من الازهار ساعة معينة تنفتح فيها ولا تتعدها وبعض
المتوحشين القاطنين بالبراري الساعة لا يعلمون الوقت الا من
الزهور فيوزعون اعمالهم على حسب ذلك وبعض النبات لا يتفتح
زهره الا بمجاذب من الحوادث مثلاً القوقان اذا احس بنزول

شدة الاعناء به وزيادة الالتفات اليه وصرف اموال جسيمة فترجوا لها ما قاله فقالت ان زوجي لا يكتفي بخدمة الخدّمة بل يتولى الخدمة فيه بنفسه وكلما يسمع بنباتة ليست فيه بادر الى جلبها اليه بدون النفقات الى كثرة ما يصرفه عليها واكثر اوقاته مصروفة في ذلك خصوصاً معرفة خواصها وكثيراً ما سافر الى بلاد بعيدة وقطع جبلاً واودية وبجراً للاطلاع على ما فيها من النبات والاشجار وامتحانها لمعرفة خواصها ويعرف طرق ترتيبها وحفظها وهو الذي رتب هذا البستان وزرع ما فيه من انواع النباتات وليس ههنا نباتة الا وعليها ثمرة ولها قيد بدفتر النبات عنده وفي دروسه التي يلقيها للتلامذة في كل اسبوع يبين لهم ما يتعلق بالنبات وان كان لبعضه خواص بينها لم كالنباتات الطبية والعطرية وغير ذلك وخلف هذا المكان محل التجربة والامتحان واماكن معدة للتدريس وخزانة كتب

فقال الشيخ قد اودع الله في النبات من العجائب والاسرار ما يبهر اولي الابصار ولا يبعد ان المعلوم منها الان اقل من المجهول ثم ان كثيراً من النبات بعد زمن يزول وينبت غيره من غير جنسه فلو لم يقبض الخالق لهذه النباتات من يشتغل بالكشف عن اسرارها ويبين فوائدها وينشرها لحرمت الخلق من تلك الفوائد ولبقيت اسرارها مجهولة مع انها هي المعينة لنا على اعمالنا برّاً وبجراً اذ منها اقواتنا وبها يعالج ما اخل من ابداننا وفيها ما تتعش به شمدار واحنا

حوض ماء فيه نوفرة عظيمة مركبة من صور حيوانات وطيور
والماء يخرج من افواهها في اتجاهات مختلفة وأشكال عجيبه فكان
تارة ينزل في دوائر الحوض وتارة يخرج عمودياً او منحنيًا
قليلاً بحيث لا يتجاوز سقوطه رءوس الصور القاذفة له فيكون
لصوت الماء عند سقوطه على المعدن الحامل لتلك الصور في
الحوض رنات لطيفة وينشأ عن امتزاجها بالاصوات المحاصلة
من اهتزاز الأشجار ومن تغريد الطيور نغمات مطربة فهو من
جانبا فراء وطريقاً فسلكوه الى علوية مخوفة بالشجر وعليها قبة
من انضمام اغصان الأشجار وراء اغصان الشجر متظمة انتظاماً
تماماً وبجفتي الطريق صفيين من اشجار الورد وانواع الرياحين
كالفل والياسمين وكل ماله رائحة طيبة مرتبة ترتيباً حسناً بحيث
لا يعجب نوع ما وراءه بل كل نوع خلف ما هو دونه وراءه
اغصان الفل والياسمين ملتفة على اغصان الأشجار ممتدة معها
في دوائر القبة كأنها مصنوعة بيد مصور ومن نفوذ الأشعة
الشمسية في خلالها رسمت صورتها على ارض الطريق ثم جات
صاحبة البيت فسلمت على الشيخ وابنه وقالت للشيخ باللغة
الفرنساوية على ما ترجمه له الخواجا ما معناه ارجوك ألا تؤاخذني
في عدم مصاحبتي لك فان أكبر عذري جهلي باللغة العربية فقبل
الشيخ عذرها واطنّب في الثناء على زوجها ثم قال وضع هذا
البستان على هذه الصورة الفاتقة في حسن الرونق والبهجة يتنضي

والازهار التي قل ان يجمع مثلها في بستان وحرماننا من الانس
به وباليتمك شغلت وقته بالاطلاع على النباتات العطرية والرياحين
الزكية فانها في جميع حياض البستان من خلفك وامامك وعن
يمينك وشمالك وكان بيدها صحبة فاهدتها الى الشيخ فقبلها وبعد
ان تأمل فيها قال حقيق انه لم يكن لنظام هذا البستان نظير
فاني لم ار فيه شيئين متجاورين من نوع واحد وارى وضع
النبات على اصول الهندسة حتى انها حوت من اختلاف الوان
الازهار المجمعة صحباً مختلفة الشكل والحجم وبتوزيعها وسط
الحياض بين الاشجار وبجافات الطرق كان لها صور ومناظر
مختلفة باختلاف المواضع التي يقف فيها الناظر وما من صورة
الا تسر الناظر وينشرح لها الخاطر ثم قال للست واني لاشكر
فضلك ومعروف حضرة الخوجا لانه حصل لي من مجلسه
فوائد ما كنت اعلمها قبل وقال لها الخوجا حيث اشرفت هنا
طلعتك فينبغي لنا ان نتكلم في النبات العطري فقالت ان
اكثر الورد والنبات الغريب والرياحين في الجهة المقابلة لنا من
البستان وهناك كشك صغير قريب من مجرى الماء يسع منه
تغريد الطير فاظن ان لو رآه الشيخ لهنى الاقامة فيه لانه فوق
ربوة صغيرة ويرى من شبابه الطريق السلطاني والزراعين
بالاراضي المجاورة له فاجابوها لدعوتها واخذ الخوجا بيدها واخذ
الشيخ بيد ابنه وساروا حتي وصلوا مكاناً مستدير الشكل في وسط

المائع فبذلك يحصل بعد مدة رسوب جميع المواد وتصفو المادة
المائعة الصفاء الذي ترى به عند التجار



المسامرة (١٢٥)

الاشجار والزهور

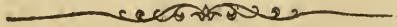
وعند هذا حضرت الست وابنها فقالت للخوارجا أيجوزلك
حرمان الشيخ من الاطلاع على ما في هذا البستان من الاشجار

في الماء فبواسطة تلك الخروق يسهل مرور الماء في المادة وينفصل عنها ولكن في ابتداء العملية تكون الخروق مسدودة ويصب على المادة ماء حرارته ستون درجة مئوية وتقلب وتذلك وتترك حتى تهدأ ثم بعد ذلك يصب عليها ماء حرارته تبلغ تسعين درجة ويصنع بها كما سبق حتى يسخن الجميع وتكون درجة حرارته سبعين او خمسا وسبعين ثم يقلب ويدلك وتغطى الحياض وتترك ثلاث ساعات تقريبا ففيها يكتسب الماء جميع ما يلزم ان يكتسبه من المادة السكرية التي في الشعير فيؤخذ حينئذ ويغلى مع عروق النباتات المعروفة بمحشيشة الدينار واوراقها لتكتسب المرارة والمخاصة التي تبقى بها زمنا بدون تغير شيء من صفاتها ثم بعد تلك العملية ينقل المائع الى حياض اخرى ليبرد فيها ولا يبقى في محله لئلا يتلف ثم توضع عليه الخميرة ويترك زمنا يختلف من اربع وعشرين ساعة الى ثمان واربعين وهذه هي الخميرة الاولى وفي تلك الساعات يظهر على الماء رغوة كثيرة ثم يوءخذ المائع ويوضع في براميل يستمر فيها التخخير ويظهر على الماء رغوة ايضا فاذا اخذت وعصرت يضعونها في كيس وتكون هي الخميرة للبوزة التي تستعملها الفطاطرية والخبازون ويستعملونها في البوزة للتخخير وفي المشروبات المحتاجة للتخخير ولا تكون البوزة نقية رائحة ذات لون لطيف كما يشاهد فيها الا بعملية اخرى وهي ان يضاف من غراء السمك على

يلون المعروفة عندكم بالطينة وهي من زمن مديد شراب اهل
الجهات الشمالية من فرانسوا والانكليز وجميع الممالك الشمالية يستعملونها
كثيراً ومقدار ما يستهلك بلوندره من هذا الصنف كل عام
مائتان وخمسون مليوناً من اللير وباريز مقدار ذلك اربع عشر
مرة وهي من بين الخمور تشتمل على خاصتين التغذية والتنبيه وقد
امتحنها بعض مشاهير الكياو بين فوجد في كل مائة جزء منها ثمانية
واربعين جزءاً من مادة جامدة مركبة من مواد ليست ازوتية
كالنشا ومن مواد اخرى ازوتية كالتي في الحب المستعمل فيها
فلذلك يحصل لمن يشرب من جيدها غذاء بقدر ما يحصل له من
اكل ثمانية واربعين جراماً من الخبزاى ستة عشر درهماً

وطريقة عملها ان يوضع حب الشعير في حياض مبنية وبوضع
عليه من الماء قدر حجمه اربع مرات ويترك الى ان يتنخ فينقل من
الماء وبوضع في اماكن فيها هواء درجة حرارتها من خمسة عشر الى
سنة عشر حتى تنبت واحسن الفصول لصنعها فصلاً الخريف
والربيع فما صنع منها فيها فهو المقبول عند الناس اكثر مما صنع
في غيرها فاذا نبت اخذ وجفف سريعاً كي لا يذهب نشاؤه
ويكون تجفيفه اما بوضعه في الهواء او في محل يمر عليه هواء حار لطيف
ثم اذا تم التجفيف بفرك وينخل نخلاً يفصل به الحب من النبات ثم
يدش دشا خفيفاً وبعد ذلك بوضع في حياض من الخشب بعضها
فوق بعض في كل حوض خرق يصب في الاخر ثم يصب عليه

وتزرع الآن في جهة من فرانسما وما يسمونه كاسيس هو عرقى
وسكر وفاكهة ويصنع ايضاً شراب يدخله نوى المشمش او الخوخ
او البرقوق والشراب المعروف بشراب الكوراتا يوخذ من عرقى
قديم ويوضع فيه قشر برتقان مع اضافة مقدار من السكر اليه
وشراب الابسنت حاصل من جعل زهر الشيبة او ورقها في
الالكول ثمانية ايام ويضاف الى ذلك لاجل التقطير حب
الانيسون او غيره وهو من السميات يقتل عند الاكثار منه



المسامرة (١٣٤)

البوزة او (البيرا)

واما البوزة (البيرا) فقد اتفق المؤرخون على ان المخترع لها
في الزمن القديم المصريون وقيل ان اول استعمالها كان بمدينة

وانواع العرقي وخواصه تختلف باختلاف المادة المستخرج من
عصارتها واحسنه المستخرج من عسل القصب او العنب او الكريز
واقل منه جودة المستخرج من التفاح او الكمثرى او الحبوب وقيمة
العرقي تختلف باختلاف درجة الالكول وتميز هذه الدرجات في
التجارة باستعمال آلة بسيطة عبارة عن قضيب من الزجاج عليه
علامات وارقام اولها الصفر واخرها مائة وفي اسفله كرة من الزجاج
فيها زئبق فاذا اريد معرفة مقدار ما في المائع الروحي من الالكول
فتغمس الالة في المائع وتترك فتقف عند درجة من الدرجات
التي في القضيب فان وقفت عند رقم من هذه الارقام علم ان المائة
جزء من المائع تشتمل على اجزاء من الالكول بقدر ذلك العدد
وهذا في الحجم لا في الوزن وان الباقي ماء عادي وتلك الالة تسمى
مقياس الالكول وعند الفرنج تسمى الكولومتر ولاجل تقسيمه غمسوه
اولاً في الالكول الخالص من الماء ورقموا عليه عدداً مائة ثم غمسوه
في مائعات درجتها اقل بمخمسة ثم بعشرة ثم بمخمسة عشر وهكذا
فعرفوا درجة ٦٥ و ٦٠ و ٨٥ و ٨٠ و ٧٥ و ٧٠ وهكذا

ويقال ان اختراع المشروبات الروحية كان من الملك لويز
الرابع عشر عند هرمه لاجل ابتعاشه وعود قوته وجميعها عبارة
عن عرقي سكري مختلط بمواد عطرية مثلاً الماء الذي تسميه الفرنج
ايزيت هو عبارة عن الكوئل وماء وسكر يتقع فيه من غصون هذه
النباتة الصغيرة التي اصلها على ما يقال من مصر وتخرج في ايتاليا

شيء من خميرة البوزة ثم تركناه في مكان درجة حرارته ٢٠ او ٢٥
او في الشمس مدة قليلة رأينا المائع قد اضطرب وتصادم منه غاز
يكون قليلاً في اول الامر ثم يزداد شيئاً فشيئاً ثم ينقطع بعد عدة
ايام فاذا صفي وركز حتى يهدأ وذقناه فاننا نجد الطعم طعم الشراب
والرائحة رائحة التبيد ولا نجد للسكر اثرأ فلو قطرناه بالانبيق لتحصلنا
منه على مائع طيار ولا لون له يقبل الالتهاب فهذا هو الالكول
وهو يستخرج من كل ما فيه مادة سكرية كعصارة العنب والتفاح
والكمثرى والكريز ونحو ذلك وهذه لا تحتاج لوضع خميرة فيها لان
في ضمن تركيبها مادة ازوتية متى مسها الهواء انقلبت الى خميرة
وتحللت المادة السكرية التي في العصارة الى الالكول واذا تقطر
التبيد او البوزة او نحوها من الانبذة يتحصل مائع تختلف فيه كمية
الالكول بكثرة الماء وقتله فان قطرناه مرة ثانية قلت كمية الماء
وزادت كمية الالكول وهكذا

وللمشروبات الروحية اسماء مختلفة في التجارة بحسب مقدار
الالكول الموجود فيها فما كان الكوله النصف او اقل قيل له
عرفي وما كان الكوله اكثر قيل له روح فالعربي عبارة عن ماء
ممزوج بالالكول والالكول الخالص هو المجرد عن الماء بالكلية
ولا يتحصل عليه الا بعد تقاطير عديدة وهو عديم اللون اكثر
مبوعة من الماء يلتهب منه الفم رائحته لطيفة ولهبه باهت ضعيف
النور

شيء من ذلك لانها تمنعنا عن الاطلاع على باقي ما هو في هذا
البستان من انواع النباتات الغريبة وايضا فمعرفة عمل المشروبات
الروحية لا تخصصكم في شيء

فقال الشيخ لا يلزم من العلم بالشيء استعماله ولا يخفى عليكم
قولهم العلم بالشيء ولا الجهل به فحيث تكلمتم على كيفية استخراج النبيذ
فلا باس بشرح عمل الالكول ونحوه

المسامرة (١٢٤)

الكول

فقال الخواجا الالكول مائع يوجد في تركيب السكر ويخلص
منه بالتخمير مثلاً لو اذينا قطعة سكر في قدح واضفنا اليها بعض

فلما قام مقامها شربه غالب اهل فرانساً ومنها وصل الى الالمانيين
والانكليز والروس وامريكا حتى بلغ مقدار المستخرج منه في السنة
الواحدة ثمانية ملايين هيكتولتر وقيمة ذلك ستون مليوناً من الفرنك
وانواع التفاح المستعمل في ذلك ثلاثة المحلو السكري والحامض
والغض وهو الذي يستخرج منه احسن الاشربة ويبقى زمناً بخلاف
المستخرج من النوعين الاخرين فانه لذيذ الطعم ولكنه قليل البقا
وليس في عمل هذا الشراب صعوبة فانه بعد جمع التفاح
يترك نحو ستة اسابيع حتى يتم نضجه وتكثر مادته السكرية ثم يهرس
في مهاييس كبيرة ثم يوضع في الهواء كي يانا اربعا وعشرين ساعة
فيكسبه الهواء اللون الكهربائي ثم يعصر ويوضع في براميل قائمة
يخمر فيها ويخلص من المواد الباقية فيه فبعضها يرسب في القاع
لثقله وبعضها يعوم على السطح لثفته فاذا خالص من ثقله صبوه من
حنفيات في براميل ليم تخميره فيها ثم يستعمل

ومن الشراب ما يستخرج من الكثرى واستخراجه كالذي
قبله الا انه يبقى له لون البياض الحاصل من عصر المواد بعد
هرسها من دون تعريضها للهواء وهذا الشراب كلما عتق كان اشد
اسكاراً من جميع الانبذة

واما المشروبات الالكولية مثل العرثي والكونياك والكرش
والجن فتستخرج من النبيذ والسكر والبنجر (اي الشمندور) ونحو
ذلك ويستخرج منها انواع اخر من المشروبات ولا حاجة لنا الى

المسامرة (١٢٢)

شراب التفاح والكمأري

وطريقة استخراج شراب التفاح تقرب من طريق استخراج
 نبيذ العنب وأكثر استعماله في البلاد التي لا ينبت بارضاها العنب
 ويغلو فيها سعر النبيذ وكان العرب مدة اقامتهم بالاندلس يستخرجونه
 فتعلمه منهم سكان المديرية المجاورة لهم من فرانساً مثل اهالي توار
 وغيرهم وقال بعضهم انه كان معروفاً من زمن قديم وفي بعض
 الكتب ان الملكة رادغوند ملكة فرانساً كانت تشربه دائماً وكانت
 في القرن السادس من الميلاد والمحقق انه لم يظهر بجهات النورماندي
 في فرانساً الا في القرن الرابع عشر وكان مشروبهم قبل ذلك البيرا

وعمليات استخراج اربع الاولى تقطيع العنب قطعاً صغيرة
 ثم يعصر بين اسطوانتين من حديد تدور كل منها على الاخرى
 والعمليّة الثانية تصفية المائع الخارج وذلك بعد تركه ثمانية ايام
 حتى يتخمر ثم يصفى في براميل ولا يملأ البرميل بل يوضع فيه الى
 نحو اربعة اخماسه ويترك حتى يصفو ويرسب ثقله وهذه العمليّة
 تكون في شهري مايو وابريل وربما استعانوا على كمال صفائه بتقليل
 من الدم او بياض البيض هذا هو النبيذ الجاري بيعه بين الناس
 سواء كان ابيض واحمر والنبيذ الابيض يتحصل من الاحمر ولا
 تختلف طرق عمله الا بفصل المائع عن الثفل في اول الامر وقت
 الدوس ولا يترك ليتخمر معه بل يجري تخميره وحده فيكون ابيض
 لان المادة الملونة ليست حينئذ في العصارة وكذلك النبيذ المعروف
 بالشبانية وابذة اخرى يحصل عند فتح قارورتها فرقعة فطرق
 استخراجها كما وصفنا مع اختلاف قليل وانما عند ملء القارورات
 يضعون في كل قارورة قطعة من السكر النباتي ثم يحكمون سدادها
 فيتخمر بالسكر بعد عدة اشهر ويزيد النبيذ جودة ويحدث منه
 في القارورة جزء كبير من غاز الكربون فهذا هو سبب الفرقعة
 التي تسمع واعلى انواعه واغلاها ما عصر بعد التذيب والجفاف
 لانه بذلك يقل ماؤه وتكثر مادته السكرية

الشاخنة مثل جبال القوقاز وجبال ارارات وجبال توروس، وهو
 الان يزرع في غالب اقطار الدنيا ولكن منه ما يزرع للتفكه رطباً
 ومنه ما يجفف واغلب جهات اوروبا وامريكا وبعض الجزائر
 يستخرجون منه النبيذ والمشروبات الروحية وليست خواص النبيذ
 واحدة بل متفاوتة طعماً ورائحة وتأثيراً على حسب الارض والهواء
 وكيفية زرعه وعصره وقدر الارض المشغولة بزرعه في فرنسا مليونان
 هيكتاراً وهو عبارة عن خمسة ملايين فدان مصري وبحسب الرغبة
 في النبيذ الفرنسي رغبت الاهالي في زيادة زرع العنب واتسعت
 متاجره حتى سار الى جميع بقاع الارض وقدر ما يتحصل من عصير
 المزروع منه بفرنسا يبلغ ستة واربعين مليوناً هيكتولتر (مائة لترا)
 من النبيذ الاحمر والابيض ومليون وربع من العرقي وكل ذلك
 قيمته تبلغ اربعمائة وستة وسبعين مليوناً من الفرنك وبهذا السبب
 تعد مملكة فرنسا اول مملكة بالنسبة لزرعه ويوجد منه ببلاد
 الاندلس والبرتغال وايطاليا انواع مقبولة عالية الاثمان ولكن نبيذها
 العادي لا يفوق النبيذ العادي الفرنسي وفي بلاد النمسا والمانيا
 والموسكو والفلمك وامريكا يزرع العنب ويستخرج منه النبيذ غير
 ان الزائد عن لزوم الاهالي قليل جداً وفي هذه الايام الاخيرة صار
 تجربة زرعه في جهات الجزائر فنجح نجاحاً تاماً فاتسعت زراعته
 وحصل لزراعه ارباح عظيمة خصوصاً لما ظهر لهم في نبيذه من
 الخواص الجيدة فلذا ترى اهل اوروبا وغيرهم يرغبون فيه

المسيح بستمائة سنة والذي غرسه هم الفينيقيون حين توطنوا مرسليليا
ثم تنوع انواعاً كثيرة ويؤكل اخضر وناشفاً والتجار يرسلونه الى
جميع جهات الدنيا واصل شجرة البرتقال هذه من الصين والهند
وهو انواع كثيرة ومنها اليوسف افندي ويزرع في الاندلس من
زمن مديد وغالب هذه الخضروات وهذه الرياحين الزكية نقلها
السياحون الى اوروبا الا انهم تفننوا هنا في زرعها حتى كثرت
انواعها

المسامرة (١٢١)

العنب

واعظم الشجر عندنا نفعاً والذو طعماً شجرة العنب هذه ومنبتها
الحقيقي بلاد المجرستان نبتت فيها بالطبيعة في صخور الجبال

من الشام الى رومه ايام القيصر لوكولوس قبل المسيح بثمان وستين سنة وانتشرت في ظرف خمس وعشرين سنة بجميع جهات اوروبا وانتقلت من ايتاليا حتى وصلت جزيرة الانكليز الباردة والان يوجد منها انواع كثيرة وعند اثمارها تجد عناقيدها مدلاة نحو الارض نابتة من جدور الاوراق تجذب اعين الناظرين بلطيف لونها ومنها نوع عظيم الساق يبلغ في الطول عشرة امتار عناقيده سود ويستخرج منه شراب الكرز وشجرة اللوز الموجودة في جميع جهات اوروبا اصلها من بلاد افريقيا ومنها الحلو والمر ويستخرج منها دهن اللوز وهي مغذية ومبردة وتدخل في الطب ويوجد دهن اللوز بجميع الاجز اخانات واما شجرة الخوخ فاصلها من بلاد الفرس ويوجد منها ثلاثة انواع نوعان على ثمرها وبرة خفيفة والثالث لا وبر على ثمه واخذنا من الارمن شجر المشمش

واما شجر التفاح والكمثرى والسفرجل والمشملا فهي تنبت بطبيعتها في بلادنا وليست محنلة من الجهات ومن التفاح نوع حريف الطعم يستعمل في بعض جهات فرانس بدل العنب ويستخرج منه شراب يسد مسد التبيذ ومن الكمثرى انواع كثيرة منها نوع يستخرج منه الشراب والسفرجل اصله من جزيرة بريد وهذه الشجرة الصغيرة المسماة بالقشطة واردة من امريكا الجنوبية والتين من البلاد المشرقية وكان ابتداء وروده في الجهات الجنوبية من فرانس قبل

المسامرة (١٢٠)

الثمار

ومن حقق النظر في الأشجار والنباتات المغروسة في هذا
البيستان وجد أكثرها انما وصل الى هنا من بلاد العرب او من
بلاد المشرق بواسطة السياحين مثلاً شجرة البرقوق هذه
اصلها من الشام من ارض دمشق وقد تكلم عليها بلين المؤرخ
فذكر ان اول دخولها في ايطاليا كان زمن قاطون وانها باوروبا
انواع منها الاصفر والاخضر وما بعضه اصفر وبعضه احمر وتارة
تكون كروية وتارة مستطيلة وتوكل طرية وناشفة ويسمونها
القرافية وهي تجارة عظيمة لجهات كثيرة من ارض فرانسوا وكذلك
شجرة الكريز المعتدلة القد الملساء الجلد وارده من جهة سيرازونه

ربا المال المنصرف ثلثائة مليون فيبقي للارباح والاجر المتنوعة
٢٩٥٠ مليوناً من الفرنك

ومقدار الشغالة بورش اوروبا والائتازوني ١٢٥٠٠٠٠
نفس وباعتبار اجرة الشخص في السنة الواحدة خمسمائة فرنك
يكون المدفوع للشغالة كل سنة ٦٢٥ مليوناً من الفرنك
ومن حين انتشار هذه النباة والتفات الناس اليها قل
زرع الكتان والتيل وصار اغلب الملابس والفرش منها بواسطة
الالات المخترعة للغزل والنسج حتى وصل سعرها الى قيمة واهية
ولذلك تمكن الفقير من شراماقيه البرد بادنى القيمة وانتفع بذلك
عموم الناس لاننا نعلم في التاريخ انه في سنة ١٨١٦ كانت قيمة
الكيلو ١٢ فرنكاً وفي سنة ١٨٢٤ نزلت الى ستة فرنكات ثم في
سنة ١٨٥١ نزلت الى ثلاثة فرحم الله من عرف الناس بشجرة
القطن ومن علمهم زرعها وصناعتها وعلى الاوروباويين ان
يشكروا فضل العرب اثناء الليل واطراف النهار فانهم هم
الذين نقلوهم من خشونتهم الى السعادة التي هم فيها الان

جميع جهات الدنيا وقد نسبوا الوارد من القطن لفرانسا الى الوارد منه الى الانكليز فوجدوا النسبة بينها كنسبة مائة الى ٤٧٩ ونسبوا ما تصنعه الايتازوني في ورشها الى ما يصنع في ورش فرانسا فوجدوه كنسبة ١٧٢ الى ١٠٠ ونسبة المستهلك في ورش الانكليز الى المصنوع في ورش الايتازوني من محصول تلك البلاد كنسبة ٢٧٢ الى ١٠٠ ونسبة المصنوع في الايتازوني الى المصنوع في اوروبا كنسبة ١٠٠ الى ٤٥٢ ومن سنة ٥٠ الى ٥٧ ورد ثلثا محصول الايتازوني الى الانكليز والثلث لجميع جهات اوروبا منه الى فرانسا ثلثه وثلثاه لباقي اوروبا ومن تامل حركة الورش وقوتها ببلاد الانكليز حكم بان في قدرتها ان تكفي جميع اهل الدنيا وليس في طوق دولة من الدول مشاركتها في تجارة هذا الصنف وصناعته لانها باستعداد ورشها وكثرة مراكبها وقوة الاتمها يمكن لها ان تنقص السعر حتى لا تتجاسر دولة على مجاراتها مع ان مدة الشغل عندهم عشر ساعات ونصف بخلافها في الدول الاخر فانها اثنتا عشرة ساعة بل ثلاثة عشر وفي سنة ١٨٥١ كان قدر المصنوع من القطن باوروبا والايتازوني ٤٨٥ مليون كيلو وقيمه ذلك بلغت ثلاثة الاف مليون فرنك فزاد قدر المشغول سنة ٥٧ حتى بلغ سبعائة وخمسين مليونا وبلغت قيمته اربعة الاف مليون من الفرنكات من ذلك قيمة القطن الخام ثمانمائة مليون من الفرنك. وقدر

وفي بلاد الفلمنك وبلجيكا ٥٩ الف بالة وفي باقي بلاد أوروبا
 ١٤٧ الف بالة وفي ألمانيا ٢٤٩ الفا وفي الروسية ١٢٠ الف بالة
 فجميع بلاد أوروبا لم تصنع الا ثلاثة اضعاف ما تصنع بلاد الانكلترا
 وفي سنة ٥٧ كان مصنع بلاد الانكلترا ضعفي مصنع
 جميع بلاد أوروبا تقريبا لانه كان الوارد في هذه السنة الى جميع
 بلاد أوروبا من جميع الجهات قريبا من ثلاثة ملايين من بالات
 قطن الشعير وفي السنة المذكورة كان محصول اليتازوني وحدها
 ثلاثة ملايين من البالات نصفه يسافر الى الانكلترا والربع يبقى
 في البلد يصنع في فوريتاتها والربع يوزع على سائر جهات الدنيا وقد
 امعن بعض المؤرخين النظر فيما يرد للانكلترا من بلاد اليتازوني
 فوجده آخذاً في النقص عددهم وفي الزيادة في باقي الجهات مثلاً
 وجد متوسط الداخل الى بلاد الانكلترا في مسافة سنتين من ابتداء
 سنة سبعة وعشرين ٥٩٦ جزءاً من الف من محصول اليتازوني
 والموزع على الدنيا جميعها اربعمائة واربعه اجزاء من الف وفي السنين
 الخمس التالية الى سنة ٢٨ كان وارد الانكلترا ٥٦٥ والموزع على الدنيا
 ٤٢٥ وفي السنين الخمس كان وارد الانكلترا ٥٢٨ والموزع على
 الدنيا ٤٦٢ ومن سنة ٤٥ الى سنة ١٨٥٠ كان وارد الانكلترا
 ٥٠٦ والموزع على الدنيا ٤٩٤ ثم من سنة ٤٨ الى
 سنة ٥٠ كان داخل الانكلترا ٤٨٧ والموزع على الدنيا
 ٥١٢ فيعلم من ذلك ان صناعة القطن اخذت في التقدم في

الفين ومائتين وعشرة وكانت القوة المستعملة في ادارتها ٩٧ الفا و١٢٢ حصانا منها بالبخار ٨٨ الفا وبالماء ١٢٢. وهذه القوة تعادل مليوناً وبصفا من الرجال وقد بلغ عدد الشغالة بالورش في تلك المدة ٢٨٠ الف نفس نساءً ورجالاً صغاراً وكباراً والمستغلون بتجارته بانواعها ببلاد الانكليز يقربون من مليونين اي جزء من اربعة عشر جزءاً من الامة الانكليزية وما من يوم الا وتظهر ورش جديدة ويزيد ما يصنع بها ومن ثم ترى الاجتهاد متزايداً في جلب القطن الشعير الى الورش. ففي سنة ١٨٥٧ بلغ الوارد لها اربعمائة مليون كيلوغرام صنع منه ٢٦١ مليوناً قمشة وخرج منه غزل ٨٥ مليوناً والباقي وهو ١٨٤ مليوناً صنع شيتا وغيره وخرج للتجارة واستهلك في البلد ٩٢ مليوناً وتحصل من ذلك ١٤٢٨ مليون فرنك وقدّر بعض العارفين قيمة جميع ما صنع من القطن ببلاد الانكليز سنة ١٨٥٦ بنحو ٦٥ مليون جنيه يخرج منها قيمة القطن الخام المشتري اربعة وعشرون مليوناً فيبقى للربح والمصاريف نحو اربعين مليوناً وقد قارن بعض المهندسين بين عمل الآلات والادوي فوجد انه لو بقي الامر في صناعة القطن على عمل الرجال للزم لذلك واحد وتسعون مليوناً من الرجال وذلك قدر اهالي فرانس والبروسيا والنمسا واحصى بعض المؤرخين جمع ما يصنع من القطن بجهات اوروبا فوجد ما يصنع منه ببلاد الانكليز مليون ونصف مليون بالة وفي فرنسا ٢٢٦ الف بالة

وبعد اشتهاره بامريكا تركت اكثر هذه البلاد زرعه لكثرة تكاليفه
ورخص الوارد من امريكا لقلّة المصرف عندهم لان عبدهم تشغل
تقريباً بلا اجرة والجهات التي تزرعه الان الهند الانكليزي ومصر
والدول المتجمعة من امريكا وجهات من بلاد المشرق

فقال الشيخ على حسب ما نسمع ببلادنا ان اكثر الاقمشة
الواردة اليها ولسائر جهات الدنيا هو من ورش الانكليز وجزء
قليل من ورش الدول الاوروبية وذلك يقتضي ان يكون
عدد الورش بتلك المملكة والشغالة بها شيئاً كثيراً جداً

فقال الخواجا قد استحوذ الانكليز على جميع انواع التجارة لا
سيما تجارة القطن ففي سنة ١٨٥٠ حرر كشف بامر البرلامتوا تضح
منه ان الورش بالمملكة كانت الفاً وتسعمائة والشغالة ٢٢٦ الف
شخص وان ما يرد لهذه الورش من قطن الشعر ٢٧٧ مليون
كيلوجرام ويخرج منها اقمشة وغزل ٢٤٧ مليون كيلوجرام يباع
منه على البلاد الاجنبية ١٧٤ مليون كيلوجرام ويستهلك في
داخل البلد على الاهالي ٧٢ مليوناً باعتبار ان كل شخص يستهلك
كيلوغرامين ونصفا وفي تلك الازمنة كان جميع ما يخرج من بلاد
اوروبا لا يعدل عشر ما يخرج من بلاد الانكليز فكان ما يخرج
من بلاد فرانساسته ملايين كيلو ومن بلاد السويس سبعة ملايين
ومن باقي اوروبا مليونين فقط ومع ذلك فلم تقف الانكليز عنده
بل اجتهدت كل الاجتهاد حتى صار عدد الورش سنة ١٨٥٦

عظيمة بعد ان كانت قرى صغيرة لا يلتفت اليها وبلغ اهلها من
الثروة اعلى درجة وفي مبداء الامر كانت انواله متفرقة في جهات
كثيرة وكان كل صاحب نول يشتري لنفسه ويتجر بمصنوعه فكان
يحصل لم تعطيل وضياع اوقات فتيقظت اهالي منشستر الى ذلك
وتحميت حتى احكرته وصار فيها الان نحو مائتي ورشة تدور كلها
بالبخار وعدد الشغالة يبالغ الفا وخمسمائة نفس في الورشة الواحدة
ويوجد غير ذلك مائتا ورشة للغزل فقط وهذا غير ورش كثيرة
بالضواحي ولو حصرنا الورش الموجودة في المدينة وضواحيها مع
جميع الورش المخصصة بالغزل والحياكة في جميع بلاد الانكليز
لوجدنا الثلاثة الاخماس لهذه المدينة ويتحصل من اثمان ما يصنع
فيها ويوزع على جميع الجهات والاقاليم نحو الف مليون من
الفرنكات كل سنة ومقدار ما يدخل في ورشها من القطن الشعر
كل سنة مائتا الف طن اي اربعة ملايين واربعمائة الف قنطار
مصري وجميع ذلك وارد من مدينة ليوربول لانها المينا العمومية
لهذا الصنف وكانت الورش في بادىء الامر تدور بالحيوان ثم
كثرت الاختراعات لتسهيل صنعه ولم توجد الواپورات الا سنة
١٨٢٠ وسنة ١٨٢٣ فتاب الواپور مناب الآلات القديمة جميعها
وقبل كثرة زراعته بامريكا كان يرد لمعامل اوروبا من الهند التابع
للانكليز ومن الاندلس ومن نابولي من ايطاليا ومن المرتينيك
وغواديلوب التابعين لفرنسا وقبل قليل كان يجلب من جزيرة صقلية

١٤٥٥

محصول	كيلوجرام
الايثاروني	٥٨٨٠٠٠٠٠٠
البريزل	٣٣٠٠٠٠٠٠٠
جهات من اميريكاجنوبية	٩٠٠٠٠٠٠٠
الهند الشرقي	٤٢١٠٠٠٠٠٠
بلاد الصين وبلاد سيام	٧٥٠٠٠٠٠٠٠٠
بلاد مصر	٣٩٤٥٠٠٠٠٠
بلاد الجزائر	١٨٠٠٠٠٠
سياراليونا من افريقيا	٤٥٠٠٠٠
بلاد التركستان والقرني	٥٠٠٠٠٠٠٠٠
جهات من افريقيا	٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠
اوروبا الجنوبية	٦٠٠٠٠٠٠٠٠
كيلوجرام	<u>١٩٣٦٦٧٥٠٠٠</u>

واول ظهور قطن امريكا ببلاد الانكليز كان في سنة ١٥٦٩
 واكثر من اشتغل به اهل مدينة منشستر في المركز العمومي لصناعة
 القطن وتجارته في جميع بلاد الانكليز وبعد ان كان عدد اهلها
 في القرن السابع عشرين الف نفس اتسعت حتى بلغ اهلها الان
 زيادة عن اربعمائة الف نفس وابتداء صناعة القطن بها سنة ١٧٨٩
 ايام ثورة الفرنسيس الاولى ومن ذاك العهد اخذ يظهر في المدن
 المجاورة وفي مدة قليلة كثرت ورشه وصارت تلك البلاد مدنا

ولما رأوا صعوبة ذلك اخترعوا دواليب الحلاجة وبها تمكن
الرجل ان يبلج في اليوم الواحد ثلاثين كيلوجرام ثم اخترعت الات
تدور بالحويان او بالماء فصار يحصل بواسطة ثلاثة اشخاص اربعمائة
وخمسون كيلوجرام في اليوم الواحد ثم في سنة ١٧٦٢ اخترعت
الآت احسن من تلك واستعملت الى الان في جميع امريكا
الجنوبية

وبعد انفصال الحب من الشعر ينقون الشعر ما خالطه من الاجسام
الغريبة بتتفه في دواليب اسطوانية تدور بسرعة ثم يكبسونه بمكابس
في اكياس تجعل بالات وينقلونه في مراكب بنهر المسيسيبي الى
اورليان الجديدة وهناك كل من له شيء يضع عليه اسمه ونمرته
وهكذا فمن يرى المدينة من بعد يراها كأنها مدينة من القطن
مقسومة حارات ممتدة مسافة عظيمة

وقد علم من دفاتر الاحصاء ان قدر العبوات المتحصلة من
زراعة جهات الجنوب كل سنة خمسة ملايين بالة
فقال الشيخ هل يمكن معرفة مقدار القطن المتحصل من كل
بقاع الارض

فقال الخواجا يوءخذ من دفاتر الاحصاء سنة ١٨٥٨ ميلادية
انه تحصل ١١٤٠٠٠٠٠٠ بالة ووزن البالة يختلف من مائة
وثمانية وستين كيلوجرام الى مائة وسبعين اي وزن محصول سنة
١٨٥٨ كان ١٩٣٦ مليونًا و ٦٧٥ الف كيلوجرام وبيانها

رءوس اشجاره فيشتغلون من الصباح الى المساء ويرخص لهم في
 ترك الشغل ساعة وقت الزوال للاستراحة والاكل وذلك في
 غير وقت الصيف ففيه يرخص بساعين ويرخص لهم ايضاً بالذهاب
 الى منازلهم لياكلوا فيها ويعطى لكل عبد مقدار من الذرة او من
 الارز ومقدار من العسل والسك ولحم الخنزير ويؤذن لهم في اخذ
 بعض فواكه من الاشجار ومدة بذره تستمر من اول شهر مايو الى
 نصفه وبعد تمام زرعه يشتغل العبيد ايضاً بتنقيته من الحشائش
 الغريبة والشغل عندهم بالمقطوعة ويعطى لكل عبد قطعة ارض
 يزرعها ما شاء ويتفع بما يخرج منها اما ببيعه لسيدة او انه يرعى فيه
 ماشيته وفراخه وما اشبه ذلك ومن ذا يتحصل العبد على بعض
 دراهم يشتري منها ملابسه وما يلزم له فجميع اشغال القطن على
 العبيد فلذا يقتنون العبيد بكثرة فقد يجتمع عند بعضهم نحو الف
 عبد فتراهم عند توجههم الى الشغل يكونون فرقا الفرقة عشرون
 عبداً او عشرة وعلى كل فرقة رئيس منهم او من غيرهم فان كان
 منهم كان شديد التسوة ويخافونه والمفروض على الرجل منهم في
 كل يوم ان يجمع مائتي ليورا وعلى كل صبي من ثلاثين ليورا الى
 اربعين وكل ما جمع يوضع بالمخزن عند غروب الشمس
 وكان الناس في مبداء الامر يفصلون الشعر من البذر بايديهم
 فكان الشخص الواحد يفصل في اليوم ليورا واحدة من الشعر
 ووزن البذر ثلثا وزن الاصل

حللوا ببلاد الانكليز تراب عود القطن وبعد حرقه وجدوا في
 المائة جزء اربعة وستين جزءاً من المواد القابلة للذوبان في الماء
 وهي ٨٨ و ٤٤ كربونات البوتاسة وعشرون اجزاء موريات البوتاسة
 وتسعة اجزاء سلفات البوتاسة ووجدوا الباقي وهو ستة وثلاثون
 جزءاً لا تذوب في الماء وهي تسعة من فوسفات الجير واحد
 عشر كربونات الجير وثمانية عشر فوسفات المغنيزيا وثلاثة اجزاء
 بروتو اكسيد الحديد والباقي من الشب وبناء على هذا التحليل
 يظهر سبب جودة خواصه في سواحل الجزائر المحنطة بالبحر الملح
 وفي بعض الجزائر يسمونه بالطين المخرج من قاع البرك المالحمة
 كالطين الذي يخرج من قاع بركة المنزلة مثلاً وفي جهة الكارولين
 يستعملون في السباخ الجيراو الطين الذي يرسب في قرار البرك
 والمخجان بعد نضوب مائها

فقال الشيخ الاهالي عندنا كانوا لا يعرفون امر تسيينه والان
 عرفوه واستعملوا لذلك اتربة التلال القديمة وما يخرج من تحت
 البهائم وحقيقة وجدوا تسيينه فائدة عظيمة

ثم قال الخواجا وشجرة القطن تعيش في الهند اربع سنين او
 خمسا وفي الايتازوني سنة واحدة وابتداء جنيه اول شهر سبتمبر
 ويستمر الى اخر السنة فاذا جاء الثلج مات لوزه وكلما قلت صعوبة
 الشتاء وقصر زمنه كان محصول القطن كثيراً واذا فتح اللوز رايت
 كأن الارض مستورة بثوب ابيض والعبيد هم الذين يجعونه من

لهم بذره رجل فرنساوي اسمه جوميل سنة ١٨٢٠ بامر المرحوم محمد علي باشا فاتي به من دنقلا ببلاد النوبة ثم جلب بذراً من الجيورجي من امريكا من قطن يسي بقطن سيا اسلند اي قطن الجزائر (وقد حرفتم الكلمة وقلتم سيلان) وهو احسن الموجود المرغوب فيه كثيراً بالفوريات ولذلك تزيد قيمته على غيره بنحو الربع بل اكثر

فقال الشيخ انواع القطن بمصر كثيرة مختلفة لونا وحجما فمنه الاسمر والابيض والاصفر والاهالي لا تفرق بينها بل كل يبذر بارضه ما تيسر له من غير تحرر ولكن الان ابتداءً ان يميزوا بين الانواع وتنبهوا لزرع السيلان وكثير منهم لا يزرع الا ما لبذره وبر لما راوا من فائدته وتركوا البذر الاسود لانه قليل المحصول وسمعت من بعض الناس ان القنطار من ذي البذر الاسود اذا حلج يخرج منه تسع كيلات بذراً ومن ذي الوبرخمس ووزن البذر الثلثان والشعر الثلث

فقال الخوجا ان الوان الاقطان النابتة بسواحل الكارولين الجنوبية والجيورجي تميل الى الصفرة بخلاف النابت داخل ارض تلك الجهات فانه ابيض ناصع واقل من الاول جودة لثقة صلابته فلا يتحصل منه على الغزل الدقيق ولون اقطان الهند يقرب من لون الزبدة الطرية واما اقطان الجهات المشرقية كقطن بنغال ومدراس وازمير ورودس وسالونيك فضعيفة اللون باهتة وقد

الف وستائة واثنين وخمسين كان لا يلبسه غير الخدم والرعاة
 وإلى سنة الف وسبعمائة وثلاثة وسبعين كانوا يجعلون منسوجاتهم
 قيامها من الكتان واللحمة من القطن ومع ذلك لم يكثر
 كثرة عظيمة إلا من وقت ورود محصول أمريكا إلى
 بلاد الإنكليز

وما يستغرب من أمر القطن أن أول من زرعه بكثرة بأمريكا
 للتجارة قوم مهاجرون من أوروبا استوطنوا راس فيار من أرض
 الغلوريد ولما رأَت الأهلِي نجاحه أخذوا يزرعونه وأكثروا منه
 شيئاً فشيئاً إلى أن صار أساس الزراعة بأمريكا الجنوبية والشمالية
 وأولاً كانوا يزرعونه خطوطاً متباعدة ثم رأوا أن التقارب يفيد
 محصولاً أكثر فصاروا يقربون الخطوط من بعضها ويمدونه فزاد
 المحصول وحسن الزرع ومكثوا زمناً يفضلون في نقاويه البذر
 المجرد عن الوبر ثم اتضح لهم من تجارب عديدة أن البذر المكسو
 بالوبر أكثر محصولاً واجود لأنه أكثر شعراً وأصغر بذراً فمن
 ذلك العهد صاروا لا يستعملون إلا البذر المكسو بالوبر ثم تحصلوا
 على نوع منه طويل الشعر ذي صلابة ونعومة فوجدوه اجود
 أنواعه لأن شعره يتصل بعضه ببعض في النسج بسهولة ويتيسر
 تدقيق غزله إلى الغاية المطلوبة وقد تحصلوا من نصف كيلوجرام
 من قطن السيلان على فتلة رقيقة جداً بلغ طولها قريباً من ثمانين
 فرسخاً وقطن مصر من هذا الجنس الطويل الشعر والذي جلب

فيها ان هذه الشجرة كانت معروفة ببلاد الاندلس ايام كانت
 في يد المسلمين وانها كانت تزرع في جهات كثيرة منها وكان
 لنسجه معامل في مدن عديدة منها كغرناطة وكوردو وغيرها
 وكانت الاتقنة الاندلسية تساوي الشامية وربما فاقتها في الجودة
 وحيث كانت الاندلس من اوروبا فلا بد ان الاوروباوين
 انما اخذوا منافع هذه الشجرة عن الاندلسيين وقد سمعنا من
 ساحوا بافريقية الداخلية وبلاد الحبشة ان القطن نبت في
 ارضهم بنفسه

فقال الخواجا ان ذلك حق فان السياحين كتبوه
 وذكروا انه يوجد بالسواحل القريبة من افريقه مثل ارض السينيغال
 وعنام وغيرها

واما وجوده في اوروبا فكان في اواخر القرن العاشر
 وكانوا قد اخذوه عن العرب ولكن كان غير مستعمل بسبب
 اوهام دينية كانت تدخلها النصارى على الناس لكرهتهم في دين
 من نشر زراعته

واول ظهور معامل نسجه كان في اواخر القرن الرابع
 عشر من الميلاد ببلاد ايطاليا واول من نقل منه الى بلاد الانكليز
 تجار البندقانيين

وفي سنة الف واربعمائة وثلاثين ابتدا ظهور اقمشته ببلاد
 الانكليز ورغبت فيه الناس وكثرت معاملته من حيثئذ والى سنة

قدر ما يستهلكه اهل اوروبا بقامها والياتازوني من
الامريكا

والى الان لا يعلم قدر ما تستهلكه اهل الهند بالضبط بل
اختلف فيه المؤلفون وقدر لكل شخص من المائة والخمسين
مليوناً من الاهالي عشر ليورات انكليزية وبناء على ذلك جعل
اللازم لهم من القطن الفاً وخمسة مائة مليون ليوره في
خصوص الكسوة ونحوها خلاف الاشياء التي تصنع منه
ثم ان وجود القطن في الازمان القديمة بجهات امريكا
لا شك فيه والدليل على ذلك ان اكفان الموتى الذين اخرجوا
من قبورهم كانت من القطن

ولما استكشف كرسوف كلومب الامريكا وجد اهلها لابسين
من اقمشة القطن ولما استكشف الشهير فيرناند كورتيز ارض
المكسيك وجده مزروعاً بها وارسل الى الملك شركان هدية
من اقمشتهم منه وكانت مناديل وثياباً ملونة باجمل الالوان
متقنة الصنعة والصبغة وقد قيل انه كان يصنع بهذه البقعة
ورق الكتابة من القطن في سالف الازمان وكذلك كان القطن
معروفاً عند اهالي بربيزيليا كما اشار الى ذلك ماجيلان الملاح عند
استكشافه البغاز المسمى باسمه ووجد السياحون شجرة القطن نابتة
بنفسها بشواطئ نهر الميسيبي

فقال الشيخ وقد وقع لي بعض رسائل في هذا المعنى فرايت

الارمن والعجم ولم يعرفه الصينيون الى اخر القرن الثالث عشر مع
 انهم بجوار الهند ومن ذلك الوقت اشتغلوا بزراعته اشتغالا كلياً
 حتى تركوا من اجله جميع المزروعات وتسبب عن ذلك قحط لم
 يسمع بمثله فصدرت اوامر سلطانية بتحديد قدر ما يزرع منه ومنع
 الزيادة عليه وعقاب من تعدى بالموت فقل الاحفال به
 شيئاً فشيئاً حتى صار يزرع ما يلزم لاهالي تلك المملكة منه
 وفي وقتنا هذا يشترونه من خارج مملكتهم وقد حصروا ما يتحصل
 لهم من زرعه كل سنة فوجدوه خمسمائة الف بالة وذلك عبارة
 عن خمسة وسبعين مليوناً كيلوجراماً وهذا قليل جداً بالنسبة
 لما يكفي لوازمهم فحصروا ما يرد اليهم مخلوجاً من جهة الاينازوني
 فوجدوه خمسة واربعين مليوناً كيلوجراماً غير ما يرد منها ومن
 الهند مشغولاً وذلك نحو عشرة ملايين كيلوجرام فجميع محصول
 زراعتهم وما يرد لهم من الخارج مشغولاً وغير مشغول نحو مائة
 وثلاثين مليوناً ولا شك ان هذا القدر قليل بالنسبة لهم لان
 عدد اهالي بلادهم يبلغ نحو اربعمائة مليون ويؤخذ من سير
 السياحين ان تسعة اعشار الاهالي من نساء ورجال يلبسون
 القطن وكلمهم يجعلون منه بنطلونات واسعة فاذا اعتبرنا ذلك
 مع ما يستهلكه كل شخص من جهات الدنيا غيرهم يمكن
 ان نحكم بان قدر القطن المصنوع في ورش الصين والوارد
 من الخارج يقرب من سبعمائة وخمسين مليوناً كيلوجراماً اي

برغم انها بعد ان عين المرحوم محمد علي باشا لذلك مفتشين
 وحكاماً وعين مقادير تزرع كل سنة في كل جهة وتوعد كل
 من تاخر في شيء من ذلك بالعقاب الشديد فكانوا يعدون ذلك
 از ذاك ظلماً فلما علموا فوائده رغبوا فيه بانفسهم ولولاه ما امكنهم
 التحصل على ما يسدون به ما يطلب منهم لهيري وغيره

فقال الخواجا هكذا كان حالنا مع اهل الجزائر وحصل مثل
 ذلك ايضا في جهات كثيرة وفي الازمان القديمة كانت هذه النباتات
 النافعة معلومة في بلاد الهند وكانت تنبت وحدها بارض مصر
 والشام وبلاد العجم وهي التي تكلم عليها استرابون الجغرافي وبلين
 المؤرخ وسمياها صوفاً حيث قال انه يوجد في هذه البلاد الصوف
 على الاشجار بكثرة وكان قسيسوا مصر في زمن الفراعنة والبطلموسيين
 يجعلون منه الملابس الرسمية وثيابه معروفة في الهند وقد تكلم
 عليه المؤرخون كثيراً وكانت العرب تجر به الا ان اليونان
 والرومانيين الى اخر القرن الاول من الميلاد كانوا لا يعتنون
 به في الملابس بل كانوا يلبسون حسب درجاتهم فبعضهم يلبس
 الكتان وبعضهم الصوف وبعضهم الحرير وبقية اوروبا ثلاثة
 عشر قرناً ميلادياً لا تعرف القطن ولا اقمشته وانما كانوا يستعملونه
 فتائل للفناديل

وفي سنة ١٢٥٢ ميلادية ظهر ببلاد القريم والمسكوف وكان يجلب
 اليهم من بلاد التركستان وكان له في تلك الازمان ورش ببلاد

فقال الخواجا موريس انواع القطن ثلاثة احدها يكون
شجراً كهذه ولوزه قليل ولكنه اجود الانواع والثاني النوع الهندي
وهو الذي يزرع بارض مصر والثالث نوع اقصر من الهندي
واغصانه تمتد على الارض ويعطي محصولاً كثيراً ثم تأمل في
الحوض الذي فيه شجرة القطن فوجد النوعين الاخرين وبقرهما
التيل والكتان فقال هذه النباتات المباركة وردت لنا من الشرق
فالتيل ورد لنا من جهات العجم ومن زمن قديم يزرع باوروبا
واول من زرع الكتان المصريون كما قال مرسيانوس وفي زمن
موسي بن عمران كانت اقمشة الكتان معروفة وفي زمن الرومانيين
كان المدوح اقمشة الكتان المصرية وفي جميع الجهات قبل اشتهار
زراعة القطن كان لباس الناس الكتان او الصوف ولكن الان
صار القطن هو المستعمل غالباً لكثرة زرعه في الجهات فبعد
ان كان لا يوجد باوروبا اصلاً كثر الان حتى صار يزرع في
الجهات الجنوبية من ايطاليا وفي بلاد الاندلس وجزيرة صقلية
وجزائر اليونان فقال الشيخ ان اول من ادخل في مصر القطن
الذي هو بها الان المرحوم محمد علي باشا وقبل ذلك كان يزرع نوع
منه يعرف بالقطن البلدي كانت الاهالي تزرعه حول اراضيها
وفي قطع ارض قليلة فتأخذ الاغنياء منه لكبس المساند والوسائد
والطوالات وكان بعض الاهالي يغزلونه ويصنعون منه اقمشة غليظة
للملابس وما يتعجب منه ان الاهالي لم تزرع القطن الهندي الا

المسامرة (١١٩)

القطن

ثم رجعوا وكان برهان الدين متغيراً مشغولاً بالمخاطر بالغرام ولما
وصلوا وجد والده مع الخواجه موريس يتمشيان في طرف البستان
قريب شجرة ارتفاعها نحو خمسة أمتار وهي كثيرة الأغصان والورق
وعليها ما يشبه القطن الهندي وكان بيد والده شيء من ثمرها فناوله
لابنه وسأله عنه فقال هذا يشبه ثمر القطن فقال الخواجه موريس
هذه هي شجرة القطن التي تنبت في الهند والصين
فقال الشيخ إن القطن يزرع بمصر ولكن لا يكبر لهذا الحد
فإن غاية ارتفاعه متر ونصف أو متران ومع ذلك ثمره أكبر من
ثمر هذا

عليهم زرعهم وتهلك ضرعهم من غير ان يكون في قدرتهم منعها
فكان نصف الارض للوحوش ونصفها الاخر تشارك فيه الاهالي
لانها كانت تسطو عليهم فتهلك الاطفال والزرع وتقطع السبيل
ومن شغف الملوك والامراء بها كانوا يتهادون بها فيما بينهم فمن
كان في قسمه وحش ليس في قسم الاخر هاداه به فيرسله في غابته
ويخلي سبيله ليتج فيها ويكثر واستمر الامر على هذه الحال الى
القرن الرابع عشر من الميلاد ثم اخذت الغابة في التقص وارض
الزراعة في الزيادة وبعد ان كانت هذه الغابة وغابة وانسين
وبولونيا متصلة ببناء باريز صار بينها وبينها ما ترى هذا حاصل
ما قيل في هذا المكان وما كان عليه من اول الامر الى ما هو
عليه الان

فقال ابن الشيخ هكذا الدهر كله عبر ولكن لمن تامل واعتبر
الدهر لا يبقى على حالة فطوراً يضر وطوراً يسر



لا تفتر عن النظر اليه كما قال الشاعر
نظر العيون الى العيون هو الذي

جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا

ثم وصلوا الى مخدع سقفه غصون الاشجار وفرشه انواع العشب
والازهار فاطمأنوا فيه برهة ثم نزلوا من فوق الائمة وداروا في ارجاء
الغابة الى ان وصلوا فضاءً بين ثلاث اكمات فصعدوا احداهما
فراى برهان الدين حول الغابة ارضاً منزرعة ليس فيها شيء مما في
الغابة فسأل الخادم عنها فقال هذه الارض كانت قبل الان مغطاة
بالاشجار المرتفعة وفي كتب التاريخ ان اشجارها كانت متواصلة
وكما تعطف الى الشمال تزداد التحاماً والتفافاً وارتفاعاً والارض
الخالية من الاشجار كانت بركاً ومناقع كما قاله استرابون فكان
البرد يزداد بسببها حتى يبلغ درجة يعسر معها نبت شجر الزيتون
والتين والعنب ولم تكثر بها الزراعة الا بعد استيلاء الدولة
الرومانية عليها فزرع بعضها وبقي بعضها غابات ياوي اليها
الفارون من ظلم الرومانيين فلما انت دولة القوم المتبريرة وهم
الالمانيون وذلك سنة ٢٥١ للميلاد واستولوا على ارض الجول قسم
روء ساوهم تلك الغابة بينهم وبقوها على ما هي عليه وجعلوها محلاً
للصيد ومنعوا غيرهم من الصيد منها وجعلوا قصاصات شديدة على
من يخالف ذلك فكان كل من قتل حيواناً يقتل فيه فكثرت
بها السباع والوحوش والضباع حتى كانت تفترس الناس وتفسد

نظره مع الفصاحة والمعرفة ولكن ما انساه حب باريز واهلها
 زيادة الابنة لهم تسمى مريم كانت تدخل وتخرج معه وكانت ذات
 حسن وجمال وقد واعندال تخيل البدر بطلمعتها تعلق قلبها به
 وتعلق بها حدت تهواه ويهواها ويرى خيالها اذا غابت عن عينيه
 حتى كان اذا جاء يوم التوجه الى باريز للدرس يتعلل بتعللات
 موجبة للتخلف بعد ان كان لا يوتر شيئاً على التوجه الى باريس
 فكان يترك والده مع يعقوب عند الست ويذهب الى الدرس
 فيكون تارة مع الست وتارة مع البنات ويقضي الاوقات في انواع
 المسرات وازداد افتنانه بالبنات وتمكنت بينهما الالفه وكان كما
 قال القائل

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقر به لم يطق
 رأى لجة ظننها موجة فلما تمكن منها غرق

وفي ذات يوم توجه والده الى باريز للدرس واخذ معه يعقوب
 وترك ابنه في البيت فامرت الست خادمها انطوان ان يخرج به
 وباولادها الى التنزه فاركبهم جميعاً عربة وسار بهم واخذ برهان الدين
 ومريم باطراف الاحاديث والمفاكهة ثم نزلوا ومشوا وهي تحادثه وتساله
 عما اعجبه في فرانساً ويحبيها وهو غريق في بحار جمالها الى ان وصلوا
 هضبة كسيت بالاشجار ونبع ماؤها من بين الاحجار فصعدوا عليها فكانت
 مريم تري برهان الدين نهرالسين والبلاد التي عليه والطرق الموصلة
 لباريز فكان نظره في خلال وصفها لا يفارق وجهها وكذلك هي

ما بين هواء هذه الدار وهواء مدينة باريز وان شاء الله نقيم هنا مدة
فقال لابيه وماذا تصنع في الدرس الذي وظفته على نفسك فقال
انها الايمان في الجمعة وقد اخبرني حضرة الخوجا ان بين ما
هنا والمدرسة بباريز بعض دقائق في السكة الحديدية فتوجه
للدروس ونعود مع الخوجا وفرح ابنه بذلك لانه كان يحب الاقامة
بباريز لكثرة ما بها من المستغربات

ثم حضر الخوجا الانكليزي وبعده ان سأل عن صحته
قال يلزم ان تقسم الايام التي نقيها هنا على الاشياء التي
تحب ان تراها فهل نجعل وقت التفرج قبل الظهرام بعده فقال
الشيخ الامر لك فانك ادرى ولكن اظن ان جعلها بعد
الظهر اولى لنجعل ما قبل الظهر للمراجعة والتصحيح وافهم صاحب
البيت على ذلك ايضاً وقال ان اكثر التفرج يكون في الغابة
فتارة نمشي على الاقدام وتارة في العربية بحسب قرب الاماكن
وبعدها وتارة نستعمل الاثنين معاً وقد اخذت من الان في
ترتيب الفرج وكيفيةها حتى تطلعوا على جميع ما يلزم
فكانوا كل يوم يخرجون على هذا النسق وكانت تخرج صاحبة
المنزل مع ابن الشيخ ويخرج زوجها والخوجا مع والده واقاموا نحو
شهرين على هذه الحال حتى نسوا ألم الغربة وفراق الاهل والاحبة
لان ابن الشيخ كان عند صاحبة المنزل بمنزلة اولادها خصوصاً
وقد كانت تعلمه اللسان الفرنساوي وتشرح له جميع ما يقع عليه

الفرنساوي فقال الشيخ هذا من اعجب المصادفات وانسر لذلك
واكثر من شكر الخواجا على تعريفه بهم فقال صاحب البيت ان
فرحنا بك اشد من فرحك بنا فاني مولع بحب مصر واهلها وكثيراً
ما تحدثني زوجتي باخبارها فتزداد رغبتني في التوجه اليها ولا بد
ان شاء الله ان نسافر اليها ونجتمع هناك فان الست مشتاقة الى
زيارة قبر اخ لها مدفون هناك بل كلما جاء الشتاء واشتد البرد
وتجردت الاشجار من زيتها وكسيت غصونها بالثلج تحن الى مصر
وطيب هوائها وتذكر كثرة خيرها وقناعة اهلها وما زالوا يتحدثون
في هذا المعرض حتى حضرت المائدة فاكلوا ثم دخلوا البستان
وطافوا في نواحيه فكانت الست نتكلم مع ابن الشيخ فتارة تصف
له ما يستغربه من الشجر والنبات وتارة تحادثه في مصر واحوالها
الى ان رجعوا فقال صاحب المنزل للشيخ لا بأس ان تستريح هنا
من وعناء السفر واخذ بيده وادخله غرفة مهيأة وقال له كن
عندنا كما تكون في بيتك وها هو انطوان الخادم تحت امرك وطوع
يدك ونادى انطوان وامره بطاعة الشيخ في كل ما يريد وكان
يعرف اللسان العربي تعلمه بالجزائر فشكر الشيخ هذا الصنيع ودخل
الغرفة ونزع ثيابه وطلب ماء فتوضأ وقام فصلى ثم نام فلما اصبح
دخل عليه ولده وقبل يده كعادته فقال له والده ماذا رأيت
في هذا المكان وكيف صحتك فقال احمد الله على كمال الصحة
ووالدي كيف كان نومه الليلة فقال من احسن ما يكون وشتان

خروجي من العسكرية ورجوعي الى بلدي مرسليليا وهي اعلم باللغة العربية مني فقال لها هل كانت اقامتك بالقاهرة نفسها او بقرية من قراها فقالت كانت ولادتي باسكندرية وكانت بها اقامتي الا ان والدي كان في فصل الشتاء يتوجه الى مصر وياخذنا معه فنقيم بها مدة الشتاء بسبب متجر كان له وكثيراً ما سافرت معه الى دمياط والمنصورة ووطندتا والمولد الاحمدي وسافرت معه مرة الى الوجه القبلي ورأيت الاثار القديمة التي باسنا وادفو والكرنك فقال لها الشيخ لانت بارض مصر اعلم مني فاني لم اسافر الى الجهات القبلية بل يظهر ان علمك بتلك البلاد اكثر من علم اهلها بها فقال زوجها وكذلك كان لها علي حق التعليم فاني ما تعلمت المخط العربي ولا المطالعة في الكتب العربية الا منها لاني حين خرجت من العسكرية ببلاد الجزائر كنت لا اعرف الا الكلام المتعارف دون القراءة فقال الشيخ وحيث انك تعرف الست القراءة والكتابة فقالت نعم كان والدي حال صغري يرغب في تعليمي اللغة العربية فاحضر لي معلماً فكان يأتيني كل يوم فعلمني القراءة والمطالعة وقرات عليه القران والاجرومية وشرح الشيخ خالد في علم النحو وعندني بعض من كتب العربية بخط اليد ساطلعت عليها وكان معلمي عليه الرحمة بارعاً في فن الخط فتعلمت منه الثلث والرقعة والنسخ ولكن الان ضاعت مني القاعدة ومع ذلك اكتب خطاً مناسباً واغلب مما اكتبه هنا الخط

الى ان وصلوا مدينة عالية البنا واسعة الارحاء تشبه باريز في
 طرفها وحوانيتها واسواقها فسأل الشيخ عنها فقيل له انها تسمى
 باللغة الافرنجية فتبين بلوأي العين الزرقاء ولها شهرة عند الامة
 الفرنسية وذكر في تاريخهم لما فيها من الاثار الغربية ثم وصف
 الخواجا لسائق العربية المحل الذي يقصدونه فسار حتى وقف
 ببابه وكان صاحب المنزل غائباً فخرجت لهم زوجته وقابلتهم بالبشر
 وحيّتهم وادخلتهم الى محل الجلوس فاجلستهم وامرت لهم بالقهوة
 ثم ارسلت الى زوجها فحضر فسلم عليهم ورحب بهم وزاد في اكرامهم
 وقال للخواجا لقد طوقني منناً لا اقوم بشكرها حيث شرفت منزلي
 بحضرة الشيخ وولده فاجابه الخواجا بكلمات تستجلب المحبة وتجري
 في العادة بين الاحبة وكان ذلك كله باللغة الفرنسية فلم
 يفهم الشيخ منه شيئاً فلما رأى صاحب المنزل عدم فهمه لكلامه
 حول الكلام الى اللغة العربية الا انها بلسان اهل المغرب لانه
 اقام بالجزائر عشر سنين فلما سمعه الشيخ قال للانكليزي لقد
 قلدتني قلائد الامتنان اذ عرفتني بمن يعرف هذا اللسان فقال له
 الخواجا هذا بعض ما يجب علينا وسنرى منك في بلدك ما تراه منا
 هنا فتبسم الشيخ وقال لانت اعلم مني باحوال بلدي
 ثم التفت الى ابنه فرأى سيدة البيت تتكلم معه ايضاً
 باللغة العربية فقال لزوجها اظن ان الست كانت معك حين
 كنت بالجزائر فقال لا ولكنها ولدت بمصر ولم اتزوجها الا بعد

عبارة عن مغارات واؤها تحت الارض بنحو خمسمائة قدم وطولها
مائتان وعرضها ثلاثمائة وخمسون بقولون ان سبب تلك العنابر
زلازل حصلت من قديم الزمن وفي قاع بعض البرك المعدنية
حجارة عجيبة اصلها رمل يرتفع عند طغيان الماء فتلتف عليه المواد
المعدنية فيثقل ويقع في القاع وياخذ في الكبر بما يرسب فوقه منها
وبعد مدة يصير صخوراً ضخمة عبارة عن تجمع حجارة كروية
كأراءوا ذلك في بركة ويشي وكرلسبادوني تيفولي قرب رومة

المسامرة (١١٨)

فصححة خارج باريس

وبيناهم في الحديث وقفت بهم السفينة فانزلوا واحض يعقوب
لم عربية فركبوا وسارت بهم وسط غابة واسعة ارضها غير منتظمة

الجيرية وكلما نزلت نقطة حصل لها مثل ما حصل لما قبلها فيزداد بذلك الحجم والارتفاع وبعد زمن تكون تلك النقطة في هيئة ساق ريشة طائر قاعدتها وهي ما غلظ منها بسقف المغارة ورأسها نحو أرضها وبانضمام هذه الصور الى بعضها يكون لها هيات وأشكال لطيفة وبعد مدة ينسد الثقب ويسيل الماء عليها من ظاهرها بعد ان كان يسيل من باطنها وتصير مخروطية بعد ان كانت اسطوانية وما نزل منها الى الارض يتشكل باشكال تعلو فوقها وتكون مقابلة للاولى منها ما يكون طويلاً ومنها ما يكون قصيراً غليظاً او رقيقاً وبعضها يتصل بالاولى او يقرب منها حتى ان من لاخبرة عنده بذلك اذا دخل تلك المغارات ورأى تلك العمد على هذه الهيئات ظن ان ذلك من اعمال القدماء الذين محيت اثارهم وغابت عنا اخبارهم وامثال ذلك كثيرة منها ما هو في مغارات جبال البيريني قرب بيزنسون من فرانساً ومنها ما هو بمجزائر اليونان بمغارة انتباروس ومغارة حان ببلاد الفلمنك ومغارة ارسى في بلاد سفوا ومغارة كردال ببلاد الانكليز وبالمديرية التي بها مغارة حان نهير صغير يجري الى ان يصل جبلاً شاهقاً هناك فيسير تحته الفا ومائتي متر ثم يظهر صافياً لاكدورة فيه بعد ان كان محملاً بالطين والمواد الارضية فالمواد التي كانت فيه شربتها الصخور التي مر عليها فكانه في سيره يشي فوق تلك المغارة وهي مركبة من اثنين وعشرين عنبراً

هذا الماء فكثير واما انقلاب الحيوانات وغيرها فقد كثر فيه كلام المتقدمين والمتأخرين فمنهم من زعم انها تمسخ وتقلب حقيقتها ومنهم من قال ان تغيرها ليس الا في ظاهرها فقط وهي باقية على حتماتها وهذا هو الموافق للعقل لان في تلك المياه مواد جيرية مكيفة بحيث لو لمست شيئاً لصقت به والبسته ثوبا غير ثوبه وعلى طول الايام تستحجر تلك المواد ومن هذا القبيل ما وجد بهيرون نابعة جهة كليرمون وسانتالبر وسانتنكتير من فرانسامتي التي فيها شيء كسي بمادة جيرية على قدر صورته ثم يستحجر وفي اسيا الصغرى بمدينة هير وبوليس عين بسفح الجبل من هذا القبيل يتكون عنها شلالات بسفح الجبل وكذلك بعض مياه الامطار التي تبتلعها الارض متى قابلت فجوة في الارض او مغارات دخلت فيها وحدثت عنها اشكال عجيبية وسبب ذلك ان الماء يكون محملاً بجمض الكربون فيصادف في طريقه مواد جيرية فتحملها وتاخذها معها فتمتصت في مغارة او فجوة صادمت الهواء الجوي فينصاعد حمض الكربون وترسب المواد الجيرية في هيئات كثيرة وفي بعض المغارات الطبيعية يشاهد في سقفها اشكال على هيئة الابرنازلة الى اسفل وهي حادثة من ماء معدني نفذ في خلال احجارها فيميل الى السقوط نحو ارضها لكن يبقى معلقاً زمناً قبل السقوط وفي زمن تعلقه يفعل عليه الهواء الموجود في المغارة فيتبخر ويتخلص حمض الكربون وتبقى المادة

النهر شيئاً فشيئاً ويدخل المالح في الاراضي ويتكون عنه خليج كبير
ومينا عظيمة وقد يكون النهر قوي السرعة والحجم ويدافع عن
مواده الراسبة في مصبه الا انها تكون على التدرج ارضاً وتدخل
في البحر كما شوهد ذلك في مصب نهر الكنج فانه تولد منه في
البحر المالح لسان من الارض طوله نحو ثمانين فرسخاً في عرض
اثنين وسبعين وفي خلاله خلجان مالحه كبيرة وصغيرة وصار ارضاً
تأوي اليها الوحوش وكما ان الانهر تكسب الارض خصوبة وعماراً
واهلها ثروة كذلك قد يحصل منها القحط وغلاء الاسعار وخراب
البلاد وهلاك العباد وذلك اذا زاد فيضانها عن حده المعتاد
وسبب الفيضان اما كثرة السيول واما الزلازل التي تنقلها عن
مواضعها واما زوبان الثلج المحابس لمستودع عظيم من المياه وكثيراً
ما شوهد ان السيول تكسو الارض الخصبه بالاحجار والزلازل
والحصى وجذوع الشجر ونحوه فتصبح قحلة بعد خصوبتها ومثل ذلك
يحصل من زوبان الثلوج وتيارها واهل كل بقعة تعلم اسباب
فيضان نهرها ولم طرق ووسائل لوقاية بلادهم من مضاره وتحصيل
منافعهم من فيضانه

ومن عجيب فعل الماء ان منه ما يقلب كل ما التي فيه سواء
كان حجراً او نباتاً او حيواناً او غير ذلك
فقال الشيخ واين يوجد ذلك وهل تخرج تلك الاشيا عن
حقيقتها الاصلية عند صيرورتها حجراً فقال له الجوابا اما وجود

هذا وذكرها المؤرخون فمن ذلك برج تيومين الذي كان بناؤه سنة ١٧٣٧ من الميلاد فانه كان فوق البحر فصار بينه وبين البحر الان الف وستائة متر وكذلك نهر البرونهر الارجح اللذان يصبان في البحر الادرياتيكي فقد حصل عن مصابها اراضي متسعة حتى ان بعض المين التي كانت تقف عندها السفن زمن اغسطس رُدمت بالطين وصارت مدينة بعيدة عن البحر عدة فراسخ وكذلك مدينة سينا وكانت قبل الميلاد على شاطئه فصار الان بينه وبينها نحو اربعة فراسخ وخليج ايزوتروا فانه تحوّل عن مجراه الاصلي وسلك طريقاً في غربي مجراه الاصلي بنحو فرسخ وامثال ذلك كثيرة

وهناك انهار لا تحول عن مجراها ولكنها برسوب الطين في نفس المجرى تأخذ في العلو والارتفاع وترتفع شواطئها فيكون النهر دائماً منخسباً فيها كنييل مصر ونهر المسيسيبي ففي وقت الفيضان يكون سطح مياه النهر اعلى من سطح الارض بحيث لو انكسر جوفه لغرقت الارض وبسبب كثرة ما به من الطمي يرسب على سطح الاراضي طبقة منه فتعلو بها كل سنة وذلك هو السبب في ضياع كثير من الاثار القديمة والمباني فلو كان انصباب الانهر واقعا في البحر المحيط عوضاً عن انصبابها في الانهر المتوسطة لدخل البحر الملح في الانهار بالمد والجزر الى بعد عظيم من النهر فلا يتمكن النهر من احداث اراضي بقرب مصبه لان البحر ياخذ حينئذ جميع ما تأتي به الانهر من المواد ومن تماذي هذا الفعل ياء كل مصب

وتشرح الخاطر ومن اعمال الماء ايضاً ما يعمله في بعض السنين وهو انه اذا فاض من الثلوج او الامطار والسيول يعلو البرور والشواطىء ويهجم على اراضي الوديان ويكسوها بطبقة منه ولا يرحل عنها الا وقد ترك فيها طبقة من الزبد او مما كان اتى به من الطين ونحوه ويتوالي ذلك ترتفع الارض او قاع البحيرات وبحوار المالح تحدث ارض جديدة تزيد بالتدريج بما يلقيه البحر من جوفه فيها فتسكنها الناس وتكون مديرية في ولاية او ولاية كاملة جديدة يستحوذ عليها الناس وتكسى رونق العارة بالمزارع والمباني والمنشآت الفخيمة وما يحدث من المواد الراسبة من المياه ثلاثة انواع من الاراضي الاول في قاع البرك والثاني في الاجر المتوسطة والثالث في اقواه البحر عند مصبها في المالح وقدر الطين الراسب من نهر الرون عند مصبه كبير جداً حتى ان مدينة برتوس بعد ان كانت على شاطئ بحيرة جنوه قبل الان بثمانية عشر قرناً صار بينها وبينه نحو الف متر وكل حين تاخذ في الزيادة بما يلقيه النهر في البحيرة وفي الامريكا الشمالية في ارض كندا يرسب من البحيرة العليا التي هي اكبر بحائر الدنيا وهي قدر سعة اوربا بتمامها كمية عظيمة كل سنة من المواد فطمت ارضها واتسعت واستمرت آخذة في الزيادة والاراضي التي تتكوّن في مصاب الانهر تختلف بحسب الانهر فنهر الرون كوّن من رسوبه ارضاً متسعة عند مصبه في البحر الرومي ويمكن قياس تلك الاراضي ومعرفة مساحتها من الاثار الموجودة الى يومنا

انحدرت في مضيق هناك مع السرعة الشديدة والمزاحمة فمن تلاطم
المياه ترى فوق الصخور سخابة من الزبد والرغوة وبسبب تراكم
الصخور في ذلك المجرى الضيق جداً ترى المزاحمة والملاطمة تكثر
وتزداد فيرتفع الماء عن قاعه ويفيض على الشواطئ وتارة ينحبس
في تلك الفوهة ويفعل في قاعها مع الشدة فيجفرها ويقلقل صخورها
وبتمادي ذلك يتسع المجرى

وفي ارض السينيغال شلال نهر فيلو فان مائه ياخذ معه
حجارة حمراء من حجارة شواطئه ومن كثرة ثقلها فيه وشدته
واستمراره يؤثر فيها ويصنعها على صور مختلفة فقد راوا على شواطئه
في وقت التحريق احجاراً مثقوبة واحجاراً تشبه الصور والتماثيل
واحجاراً عليها رسوم تشبه المعابد وصور حيوانات واشجار حتى اغتر
بذلك العبيد القاطنون هناك وغلبت عليهم الاوهام الفاسدة
فعبدها ويوجد ببلاد سويجيرة وجبال اليريني مصاب عجيبة الطفها
شلال نهر الران القريب من شافوز والطف من ذلك الاثنا
عشر مصبا النازلة من جبل باستدارة تعرف باستدارة جواراني
وهي عبارة عن حائط في شكل قوس ارتفاع دائره نحو الف
ومائتي قدم وفي اعلاه الثلج دائما وفي خلاله اثنا عشر فتحة
كالطاقات تسيل منها المياه بالمامسة للحائط فلا يسمع لها الا صوت
لطيف مع انها نازلة من مسافة اربعمائة واثنين وعشرين متراً فاذا
هب عليها النسيم لعب بها فيكون لها عند ذلك روية تسر الناظر

وبعضه يلقيه الماء على الشاطئ فيتراكم كالبناء فانظر كيف تسلطن
الماء على ما انخفض وما ارتفع وفرق ما كان مجتمعا وجمع ما كان
متفرقا فسبحان من خص ما شاء بما شاء وعم باחסانه من احسن ومن
اساء ثم لا يخفى ان جريان الماء بهذه الكيفية يوجب غور مجراه وتاخر
المصب عن موضعه

وقد شوهد سنة الف وثمانمائة وعشرين ان مصب نهر نياجارا
المذكور تأخر عن موضعه الذي كان فيه منذ خمسين سنة نحو
اربعين متراً فلو فرض ان التاخر في الماضي كان على هذا النسق
كانت مدة حفره للعشرة الاف متر التي حفرها نحو عشرة الاف
عام وان كان لا يقال ذلك الا بعد علم ما كان عليه الوادي في
مبداء امره نعم ان استمر التثقب على هذا النسق امكن معرفة الزمن
الذي كان يصب فيه ببحيرة ايريه وان استمر الحال على ذلك فعما
قريب تجف البحيرة المذكورة لان غاية عمقها لا يزيد عن ارتفاع
الشلال ومن هذا القبيل نهر زنبير بافريقيه لان به شلالات مرتفعة
جداً يسمع لمائها دوي من بعيد ويرى على النهر بخار ورغاوي
ترتفع وتخفض وعرضه الف وستائة متر فاذا وصل الى محل
الشلالات تقطع وخرج من بين الصخر وهبط الى مكان عميق
حوله جبال فيكون للماء حينئذ دوامات وتلاطم امواجه فيسمع
لها صوت مزعج ويصعد منها عهد من الماء بيضاء القواعد سوداء
الرؤوس فاذا وصلت تلك العهد الى اعلي الصخور المحيطة به

مستوية وتحد من المحلات الشاخنة بسرعة شديدة واهل تلك البلاد لا يخشون الملاحة فيها وفي كثير من الجهات يفعل تيار الماء على الارض فياخذ معه الطين منها وفي سيره يتلف الشواطئ والبرور وياخذ فيه الطين بالتدريج حتى يصير نهراً من طين وفي سنة ١٨٥٢ شوهد تيار من الطين في جهة جبال الالب فكان اسود اللون قليل الماء وانصب في نهر الرون فاجب فيضانه

وكثيرا ما شاهد السياحون من ذلك تيارات في بلاد البيرو وجاوى حتى صارت طبقة جديدة على وجه الارض وقد تجهد انهار البلاد الباردة فينجبس فيها كثير من الاحجار وغيرها ويتقل معها حيث سارت

وفي كثير من الانهر توجد شلالات مختلفة ينشأ عنها نقل المواد الترابية وغيرها وتغير شكل الاراضي فمن ذلك انهم رأوا قطعة الثلج طولها سبعة امتار فكسروها فوجدوا في جوفها حجرا ضلعه نحو متر

ومن ذلك نهر النياجارا بامريقة الخارج من بحيرة ايريه فانه بعد اثني عشر فرسخاً منها ينصب من علو في منخفض عظيم الانخفاض وينحدر ويسيل حتى يختلط ببحيرة اوتاريو وهناك يتقسم بجزيرة الى هدارين عظيمين يسمع لدويهما صوت كصوت الرعد فياخذان ما قابلهما من حجر ومدرفبعضه يرسب في مجراها

الطبيعية وتلك المحكم اودعت فيما ينبت في قاعه وشواطئه من
النباتات فانها تاخذ الاملاح المعدنية وتقصرها على نفسها فيتخلص
منها الماء ويكون على حالته الاولى موافقاً لطبيعة ما فيه من الحيوانات
وحوانات المحار والشعوب لا تغذى الا من المواد الجيرية
فبعد ان تاخذها في جوفها وتسديها جرعتهما تقذفها في البحر محاراً
وشعوباً فانظر الى نقط المطر الصغيرة الواقعة فوق قم الجبال في
سيرها كيف تتحمل المواد الجيرية وغيرها لتكون طعمة للحيوانات
الاخطبوطية الصغيرة ثم تقذفها تلك الحيوانات من اجوافها فتجعلها
مسكناً لها ثم تتراكم شيئاً فشيئاً فتصير حجراً ثم شعباً الى ان تصير
جزيرة وتكسى بالنبات ويستحوذ عليها الانسان فيكون منه مسكنه
وقوته

ثم ان اندفاع مياه الامطار بخلف قوة وضعفا باخلاف عظم
الانحدار وقلته وفي اندفاعها قد ثقل الصخور الكبيرة وكثيراً ما
تسحب معها احجاراً قدر الحجر منها متر مكعب فاكثر فمن الحجارة
ما يتراكم بعضه على بعض ومنها ما ينحدر مع الماء حتى يستقر في
اودية بعيدة ومنها ما يجره السيل حتى يلقيه في البحر فيفتته حتى
يصير ملاً فيدفعه الموج الى الشاطئ او الى الجزائر فيكون في
وسطها او في سواحلها وكنيات الرمل التي نشاهدها في السواحل
انما هي حاصلة من الصخور التي جلبها السيل من الجبال البعيدة
وفي الدنيا الجديدة انهر عظيمة العرض تجري في ارض غير

الطين واما نهر الكنج الذي يصب في الملح وقت فيضانه ففي كل ثانية من الماء الفان وثمانمائة وخمسون طولوناته فيصب من الطين في كل عشرة ايام ما قدر ضلعه الف متر واما في غير وقت فيضانه فيقذف هذا القدر في ثلاثة اسابيع وقد قدروا حجم ووزن ما يلقيه هـ ذ النهر في كل سنة فوجدوه قدر الهرم المصري الكبير باثنتين واربعين مرة وما يلقيه في اربعة اشهر فيضانه قدر اربعين هرماً وهذه المقادير التي يلقيا هذا النهر في البحر ولا يشاهدها الانسان تحتاج في نقلها الى مائة سفينة كل سفينة تحمل مليوناً واربعائة الف طولوناته وذلك بالنسبة لما يقذف به هذا النهر في وقت الفيضان فما بالك لو اضيف الى ذلك ما يقذفه في السنة وكذا ما يقذفه كل نهر وخليج من الانهر والخلجان الموزعة على سطح الارض فان ذلك يوقع الفكر في الحيرة ويحقق ان الماء من آيات الله القوية الموكول اليها تغيير احوال الارض واوضاع الخلق

وحيث كانت مياه جميع الانهار مجمعة من جهات مختلفة بعضها على سطح الارض وبعضها خفي يجري تحت الارض فيلزم ان تشمل المياه على مواد كذلك ذائبة فيها كالجير والجبس وانواع الاملاح كالمنيزيا والسلجم وتراكيب حديدية وغيرها وبانصباب تلك المياه في البحر تغيير ملوحته وتضر بحياة ما فيه من الحيوانات ان لم يكن هناك من حكم الله تعالى ما يمنع ذلك ويبقي له حالته

ويلقيها في الوديان وفي الارض اللينة يذيب المواد القابلة للذوبان
ويأخذها معه في سيره وبلامسته للصخور المشه والاحجار اللينة
يدخل بين جواهرها فيحملها ويزيل تماسكها فتفتت وتعدم وتنتقل
اجزائها الى غير مواضعها والمحصى والاحجار المسخوبة مع الماء تنبري
بلامستها لقاع مجرى الماء واحتكاكها مع ما يوجد به من الحجارة
وغيرها ودائماً تأخذ في صغر الحجم وقلة الوزن حتى تدق وتعلق
بالماء فالصوان وجميع انواع الاحجار مهما كان تماسكها وشدة صلابتها
لا تقاوم قوة الماء ويقلب الماء في سيره المستقيم المواد العائمة فيه
وبلامسته للبرور يسويها وينظمها وبدخوله في اخلية الاجسام
ومسامها يفتتها وكذلك اذا انتقل الماء من السيولة الى الجمودة
ومن كل هذه الامور تتغير صورة الارض ولا ريب في ان الماء
يأخذ معه كل ما اذابه من الاحجار لما هو مقرر من ان زنة الشيء
في الماء اخف من زنته في الهواء وقد اثبت ارشميد الحكيم ان الجسم
اذا وضع في الماء خف بقدر زنة الماء الذي حل الجسم محله
وحيث كان الثقل النوعي لكثير من الاحجار لا يزيد عن
ضعف الثقل النوعي للماء علمنا ان كل ما يأخذه الماء معه
ينقص من ثقله قدر نصفه

وقد اختبروا الانهار بالنسبة ما فيها من المواد الطينية
فوجدوا في كل مائة وستين جزءاً من وزن ماء نهر (البو) جزءاً
من الطين وفي كل مائة جزء من ماء النهر الاصفر جزءاً من

دليل على انها لم تثبت زمنا في باطن الارض وان للماء الذي على وجه الارض اتصالاً بما في باطنها وقد يحصل في بعض العيون زيادة ونقص ولكن لا تظهر الزيادة الا بعد نزول سيل في جهات بعيدة فيعلم ان تلك الزيادة من ذلك السيل ويختلف سير الماء في جوف الارض سرعة وبطئاً وكلما بعد عن سطح الارض اشتدت حرارته فلذا تجد ما العيون يتفاوت في الحرارة ويختلف ايضا في كثرة المواد الذائبة فيه وقتها والان قد استعمل الاطباء كثيرا منه في معالجة علل مختلفة

وقد بلغني عن بعض السياحين انه رأى عيوناً في اسلنده تنفجر من باطن الارض فتندفق دقات بين الدفقة والاخرى نحو نصف ساعة وكل دفقة عمود من الماء غلظه نحو ثمانية عشر قدماً فيرتفع في الجو نحو مائة وخمسين قدماً ثم ينحني وينزل على الارض فيخني في جوفها فتنتفع لها عيون فتبتلعها وقبل تدفقها يسمع لها دوي وقرقرة وقد ينتشر فوق تلك العيون من الابخرة سخابة حاصلة من نجر الماء وفي زيلنده الجديدة لا حصر للعيون التي تدفق الماء والبخار وبعضها عظيم جداً تملأ الدفقة منه حوضاً يحيطه نحو ثمانين متراً فمن كل ذلك يعلم ان الماء كما يجري على وجه الارض يجري في باطنها وان له اعمالاً في باطنها كما له في ظاهرها فاذا كان على وجه الارض دخل في اخليتها ومسامها فان تسلطت عليه البرودة جمد واثر في الصخور فيفصلها عن الجبال

ثم تغوص في باطنها بعد مسافة عظيمة من سيرها ومنها ما يخفي ولا يعلم امره ومنها ما يخفي مسافة ثم يظهر كنهر جوديانا ببلاد الاندلس يخفي في ارض مستوية مكسوة بالعشب والمرعى ثم يظهر ثانياً بعيداً عنها ونهر الموز في فرانسا يخفي بالقرب من بلدة باروى ونهر الدروم منها ايضاً في ولاية النورماندي يخفي في وسط ارض مستوية وينصرف في جوف الارض في فتحة قدرها عشرة امتار وامثال ذلك كثيرة ومن الجائر ما يحف في بعض الازمنة ويغور مائه في جوف الارض ويزرع موضعه ثم في الوقت المعين ينبع الماء فيملأها ثانياً كما كان كبحيرة كيركينثز من ارض الكارينول وقدرها فرسخ عرضاً وفرسخان طولاً فتكون في فصل الشتاء غامرة بالماء وفيها من السمك والسفن ما لا يحصى فاذا جاء الصيف تفتحت لها عيون من اسفل الجبال المحيط بها فتبتلعها بعد اربعة اسابيع وتزرع ارضها فاذا تم الحصاد تفتحت تلك العيون بعينها وجرى الماء حتى تمتلئ وتعود كما كانت وكان بالقرب من قرية سبله في ولاية الانجو عين ماء قطرها من خمسة امتار الى ثمانية كانت تغور تارة فتظهر معها انواع شتى من السمك وسطح الارض مركب بطبقات بعضها فوق بعض فيها مجاري للماء متنوعة على ابعاد مختلفة وقد قابل المحس بقرب ناحية ديب في قرية سنيقولا مجاري مياه تقرب من ماء يجري مفصلاً بعضها عن بعض بطبقات الارض ووجدوا بها اغصاناً عليها ورقها وهذا

سبحانه في هذا الجودر العظيم ففي شواشي تلك الجبال تكون
منابع الانهر والخجان الجارية في جميع الارض وهي عبارة عن
بحائر صغيرة بين جبال فيجتمع في تلك البحائر ما ينزل من السماء
وما يذوب من الثلج الدائم المكسوة به روؤس الجبال الشاخنة
فترى للجبال حكمة تجمع المياه التي استعارتها السماء من البحر بواسطة
الشمس وحكمة ردها الى البحر ثانياً بواسطة الانهر والخجان
ومحوها فوضع الجبال على الارض تابع لقاعدة ثابتة وقانون لا
يخجل به نظام العالم فترى سير الانهر دائماً تابعاً لسير الجبال
فسلاسل الجبال الاصلية من الدنيا القديمة خط سيرها من الغرب
الى الشرق وفروع الجبال الخارجة عنها من الشمال الى الجنوب
فنهر الفرات وخليج لعجم والنهر الاصفر والنهر الازرق وسائر انهار
الصين اتجه سيرها من الشرق الى الغرب وانهر اوروبا وافريقيا
واسيا والبرك والابحر المتوسطة كبحر الروم والبحر الاحمر تسير من
المشرق الى المغرب او من المغرب الى المشرق ولم يخرج عن ذلك
الا نيل مصر وبعض خجان ببلاد المغاربة وماء المطر الذي
ينزل على سطح الارض منه ما تشربه الارض ومنه ما تبتلعه فيجري
في جوفها الى ان يصادف طبقة لا يقدر على النفوذ منها فيتبع سطحها
ويتجمع ويتكون منه ما متسع فاما ان ينصرف الى البحر او الى
الانهر او يبقى في هيئة برك تفعل عليها احوال موضعية تردها الى
سطح الارض وهناك انهار وخجان تكون اولاً على سطح الارض

فقال ابن الشيخ فالماء الذي تستعمله الاطباء اي نوع هو
فقال الخواجا ذلك ليس منها وان كان لا يخرج عنها لان لم فيه
قبل استعماله اعمالا وذلك بان يضعوه في معوج من زجاج ثم
يوقدوا عليه نارا فيصعد منه بخار فيجمعونه في زجاجة موضوعة
في اناء فيه ماء بارد فمن ترك بعضه على بعض وفعل البرودة
عليه ينخل الى الماء المطلوب ويسمى بالماء المقطر وهذا اذا كان
اللازم منه قليلاً فان كان كثيراً قطروه بالانبيق وهو عبارة عن
اناء من نحاس له غطاء مثقوب ركب على ثقبه ماسورة قد سلطت
على كرة من زجاج موضوعة في ماء بارد وفي تلك الكرة ماسورة
حلزونية تدور على نفسها داخل ذلك الماء البارد فحين يصل اليها
البخار ينقلب ماء فيصب في اناء اخر ويقرب الالة ماسورة اخرى
لتغيير الماء اذا ضعفت برودته فالماء المقطر خالٍ عن الرائحة
والاملاح والهواء ولذلك يكون ثقيلاً على المعدة ولو التي فيه سمك
لمات وبالجحمة فلا حصر لما اودع في هذا الجوهر اللطيف من
الاسرار

فقال الشيخ وحسبنا في ذلك قول الله تعالى وجعلنا من
الماء كل شيء حي حيث لم يقيد الماء بعذب ولا غيره ولا الشيء
بانسان ولا غيره

فقال الخواجا ومن وصل الى شواشي الجبال الشاهجة الموزعة
فوق كرة الارض يطلع على الحكم العظيمة التي اودعها البارئ

الحبيس حينئذٍ يلتف عليها كالغلاف بعد تصاعد الماء فيمنع نضجها
 ويمنع ايضاً ترغية الصابون واما الماء الذي لا يروي فليس فيه
 من الهول الا شي يسير وبه مواد نامية متحللة فيه وذلك كما البحر
 المالح وما غالب الابار وما البرك الراكدة واصفى المياه وانقاها ماء
 المطر الا انه لا يصلح للغذاء لخلوه عن القدر الكافي من الاملاح
 والهواء الذي يجعله سهل الهضم فبناءً على ذلك تقدر ان نحكم بان
 جميع المياه الموجودة غير نقية فاذا كان الماء متكررًا بالطبي والاتربة
 ونحوها ترك مدة حتى يروق بنفسه او بشيء يضاف عليه فان ظهر
 له رائحة كريهة حاصلة عن تحليل بعض المواد النامية وضع فيه
 قليل من فحم العظام المكلسة في افران مخصوصة داخل اوانٍ مقفولة
 فتشرب تلك الروائح وتلتقط ما فيه من المواد التي ينشأ عنها
 ذلك وتخلص الماء وتجعله نافعًا للاستعمال ويلزم تغيير الفحم متى
 ضاعت خاصته ومن المياه ما يشتمل على معادن متنوعة وغالبًا
 لا يشتمل الماء الواحد على اكثر من ثمانية او سبعة منها ولكن
 الحكم لاكثرها فيه ظهورًا فيسمى الماء باسمه كالمياه الكبريتية
 تعرف لكثرة الكبريت فيها برائحة تشبه رائحة البيض المذر
 واذا غمس فيه شيء من الفضة اسود والمياه الحديدية طعمها كطعم المداد
 ومنها ما يكون حارًا ومنها ما يكون باردًا وتختلف حرارة الحار
 منها بسبب بعد الطبقة الارضية النابع منها عن سطح الارض
 وعدم بعدها

ذلك النهر الذي نحن فيه فان اصله كما قال حضرة الخواجا قطرات تصاعدت الى السماء ثم نزلت متفرقة فاجتمعت حتى صارت نهراً يجري على وجه الارض يقتلع ما قابله من نبات وشجر واذا مرّ بارض تلون بلونها فتارة يكون اصفر او الى الصفرة اقرب وتارة يكون اخضر او الى الخضرة اقرب وكلما قرب من مصبه وهو البحر الملح تشعبت مجاريه وربما رجعت الى خلف ثم استقامت وكما تختلف الوانه بحسب الارض التي يمر بها كذلك تختلف اسماءه على حسب ما على شواطئه من الجزائر والعيوان واذا جرى رويت منه الاشجار وشربت منه الزروع فضلاً عن الاستعانة به في الاسفار وتقريره ما بعد من الاقطار فسبحان من دبر الكون بحكمته وسخر ما شاء كما شاء بقدرته لا اله الا هو الفرد الصمد المنزه عن الشريك والمعين والولد ثم التفت وقال للخواجا ارجو من جنابكم الاطياب في هذا

الباب

فقال ان ثلاثة ارباع الدنيا مغمورة بالماء ولكن منه المغذي يرتوى به ومنه غير المغذي فالاول لا رائحة له وانما فيه جزء من الهواء ذائب فيه وان طبخ به الخضراوات نضجت وصلحت وان حلل به الصابون تحلل سريعاً وان غلي لا يتكدر وان قطر لا يرسب في اسفل انائه الا شيء قليل من مواد جيرية تلزم لتكوين الحيوان ونموه فان كان فيه جبس فلا تطبخ به الخضراوات لان

ان لا يفوتك فضل ذاك المغرس -

واعلم بان العلم ليس يناله

من هم في مطعم او ملبس -

واحرص لتبلغ فيه حظاً وافراً

واحجر له طيب المتام وغلس -

لتعز حتى لو حضرت بمجلس

اكرمت فيه وصرت صدر المجلس -

ان الخلي من العلوم مقامه

عند النعال له صموت الاخرس

فالعلماء مصابيح الازمنة كل عالم مصباح زمانه وذلك انه

لا يرى شيئاً الا ببحث عن اصله وسببه وما يؤول اليه امره وما

يترتب عليه من خير وشر ونفع وضر هكذا دابه وديدنه ما دام

حياً فان مات بقي ذكره واما الجاهل فتراه لا يلتفت الى شيء الا

عند احتياجه اليه فيشرب الماء ولا يعلم من امره الا عذوبته او

ملوحنه ويسقي به الزرع ولا يعلم سبب نموه منه وبقاء كل الثمر

ولا يدري من اين ائته الحلاوة واذا مر بنهر عجب من اتساعه

وتلاطم امواجه وتغير لونه وفيضانه ولا يبحث عن سبب ذلك

فكم من خلق تولد وتلد وتموت على شاطئه وهم على فطرتهم الاصلية

من الجهل بخلاف اهل العلم فان احدهم متى وقع بصره على شيء

لا يهدأ له سر الا ان وقف على سره وكشف حقيقته امره فمن

ويض الحشرات من ارض الى ارض وتقلب الرمل والتراب
 والزلاط وتقلع الحجر والشجر وتحرق الارض وتهدم الجبل وجميع
 هذه الاعمال لاسباب دبرتها الارادة والقدرة لبقاء نظام هذا الكون
 والكلام في شرح ما وصل اليه علم الانسان من ذلك طويل وان
 شاء الله نجعل بقية الكلام في ذلك بكرة فوق نهر السين ثم اوى
 كل الى فراشه وكانت ليلة ماطرة فناموا الى الصباح فاخذوا
 ملابسهم واشياءهم وتوجهوا الى النهر فركبوا السفينة وكان يعقوب
 قد اتخذ لهم في مقدمها خزانة فسيحة بامر الخواجا له فدخلوها وبعد
 برهة اخذت اطراف السفينة وشرعت تسبح فوق الماء واخذت
 كفات الطارة تضرب في الماء فيحدث فيه زغوة ويزيد والسفينة
 تسرع في سيرها فصار الشيخ وولده ينظران الى البر والى الجبال والاشجار
 التي على طرفي النهر ويسرحان الطرف في النهر وما حواليه
 وخرير الماء يسمع بين الحشائش واحجار البر وتذكر الشيخ ما
 ذكره الخواجا بالامس وما ابداه من الاسرار والحكم واللطائف
 التي تتراح لها النفوس وتطمئن لها القلوب فالتفت لابنه وقال
 له يا بني العلم رأس مال الانسان وتجارة لا يعتريها كساد ولا
 خسران وبه حياة النفوس وهو اجل ما تحلت به الطروس وبه
 استنارت البصائر وهو الذي تنافست فيه الاوائل والواخر ولقد
 احسن من قال

العلم يغرس كل فضل فاجتهد

الارض الهشة وبين الاحجار وفي جذور النبات وسيقانه وفي هذه
السياحة تذيب ما فيها من المواد المعدنية الخفيفة في جوف الارض
ثم تاخذها معها وتوزعها الى انواع الحيوان والنبات وقد تتحد بغيرها
فتكون مواد يسميها الكيماويون الادرات او انها تكون في المناقع
فتحلل البواقي النامية او تساعد في تعفين المواد النباتية وتخميها
ويتحصل عنها مواد فحمية وليس من دايها الدوام على حالة من
الحالات وبعد ما تكون في جسم الحيوان والنبات بالصورة السائلة
تخرج منه في صورة بخار وترجع الى الجو ومنه ترجع الى سائل
او ثلج او برد او جليد ثم تنقل عن ذلك وتكون بخارا ثم تتقل
الى ان تكون سائلا وهكذا فهي السائل الذي يجري في جذور
النبات وعروقه والندى الذي يرى على ورق الشجر والدم الذي
يجري في جسد الحيوان والرطوبة التي نحس بها والبخار المحرك
للوابورات والضباب المرتفع من اراضي المراعي وغيرها فهي المنبع
الذي ياخذ منه كل حي قوامه فتكون جامدة وسائلة وبخاراً فلا
تغير من صورة من هذه الصور الا لتاخذ ما بعدها فاذا تركت
البحر كانت على الارض لنفع الخلق وان تركت الارض ترجع الى
البحر فتعلو الى الطبقات العليا من الجو وتنزل الى الطبقات
السفلى من الارض وتصابح الريح وتنبع ميل الارض وتكون
في جوفها فتكتسب حرارتها وتخرج منها حامية حاملة من ذخايرها
فلا يعوقها الصخر حتى تصقله وفي سيرها تنقل نعاوي النباتات

فقال الخوجا وازيدك انك اذا تأملت في المطرحال نزوله
وجريانه في مجاريه وجدت ذلك شبيهاً بتقطير الماء في
الانبيق فان اشعة الشمس تكون كأنها الفرن له والبحر الملح كأنه
الانبيق والجو المرتفع كأنه تاجه والمجھات الباردة من الجو وشواشي
الجبال الشمالية المغطاة بالثلوج والبحور المنجمدة هي المبرد له والانهر
والتلجان والبرك ونحوها هي الاوعية التي ترد الى المالح جميع ما
اخذته منه وهذا مستمر الى ما شاء الله فكلما اندفقت مياه الاوعية
في الانبيق تصاعدت ثانياً ورجعت الى الاوعية ثم منها الى الانبيق
وهكذا فللماء الحلو الزلال الذي يشربه المصريون من نيلهم
والباريزيون من نهرهم بل وسائر انهار العالم اصله من البحر الملح
وانما حلا بتكرير الصعود والهبوط كما ذكرنا لانه يصعد اولاً بخاراً
ثم يتعقد سحاباً ثم ينقلب بخاراً ثم ماءً ثم ينزل ويجري في مجاريه
ثم يعود الى البحر كما كان وهكذا ولذلك شبه بعضهم البحر برجل
يخيل لان جميع ما يخرج منه لا بد ان يعود اليه حتى البخار الذي
يخرج من الفم فانه يرجع اليه في صورة قطرة ماءً

ومن عجيب لطف الله ان الابحر الاستوائية بفعل حرارة
الشمس الشديدة على مياهها تسخن وتكون لها من ذلك درجة كافية
تحفظها حتى تصل معها الى البلاد الباردة لتلطيف شدة بردها
وقبل ان تكون مياه الامطار في الانهر والتلجان تقع على سطح
الارض فتكون في المجاري الصغيرة التي في خلالها وتدخل في

المالح ومتى سقطت مياه المطر على ارض اثرت فيها الحرارة وتسحب معها
 في سيرها بواقي حيوانات وحشرات وحشائش فتكون غير صالحة
 لمخزن بخلاف المطر المأخوذ من فوق سطح المالح فانه يصلح للتخزين
 لخلوه من ذلك ولذلك لما حلل بعض الكيماويين ماء المطر في
 جهات مختلفة وجد فيه مقادير مختلفة من الاتربة ففي بلاد الانكليز
 وجد فيه من تراب الفحم وقد يوجد فيه مركبات نشاديرية
 كالكربونات والنترات وذلك اكثر مما يكون منها في ماء الانهار
 وهذه المواد وان كانت سريعة التطاير والصعود الا انها تنزل ثانيا
 مع ماء المطر

فقال الشيخ سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا فان هذا من
 الحكم الربانية والاسرار الالهية التي لا يقف على حقيقتها عقل ولا
 يحيط بكنهها نقل فالانسان وان بحث ودقق واستكشف وحقق
 فمثله كمثل طائر تفر في البحر نقرة فهو وان روي بها ما اخذ منه
 مثقال ذرة ويكفي في ذلك دليلاً قول الله تعالى وما اوتيتم من
 العلم الا قليلاً ومن استنارت بصيرته وخالصت سيرته يرى جميع
 ذلك ما اندرج تحت مفهوم قوله تعالى ان في خلق السموات
 والارض واخلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما
 ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد
 موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر
 بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون

مدة مائة سنة وفي تلك البلاد مما يلي حماليا كان ارتفاع ما سقط في شهر يوليو سنة الف وثمانمائة وسبعة وخمسين ثلاثة امتار وثلاثة ارباع المتر وفي بعض تلك الجهات لا يتقص متوسطه في سبعة اشهر من السنة عن اثني عشر متراً ونصف متر وقد شوهد في هذه النواحي سيل عظيم استمر اربع ساعات فقط فغطى الارض بطبقة من الماء قدرها ثلاثة ارباع المتر واذا نسبت ذلك الى ما يقع على ارض فرانساً وجدته مقدار ما يقع فيها في سنة كاملة وارتفاع ما يقع في سواحل الهند متر واربعه اخماس المتر وما يقع على الجبال الداخلة فيها يكون قدره ثمانى مرات ثم انهم بالتجربة وجدوا اللتر الواحد من ماء المطر يشتمل على ثلاثة وعشرين ساتي متر مكعبة من الغاز الذي في كل مائة حجم منه اثنان وثلاثون من الاكسوجين وثمانية وستون من الازوت بعد تنزيل اثنين واربعه اعشار من غاز حمض الكربون

وهذه المقادير تختلف باختلاف الارتفاع ففي الارض المساوية لسطح البحر يكون قدر الازوت والاكسوجين خمسة وثلاثين وفي الارض المرتفعة عنه بنحو الفين وستمائة واربعين متراً يكون قدر هذين الغازين اربعة عشر فقط وفي الارض المرتفعة عنه بنحو ثلاثة الاف متر يكون قدرها احد عشر فقط وكذا حمض الكربون يختلف قدره في ماء المطر بحسب الارتفاع ايضاً وقد يكون في المطر ايضاً ملح الطعام وذلك فيما يقرب من البرك وسواحل البحر

وتكون مدة المطر في هذه الجهات اكثر من غيرها وتكثر الرطوبة في الجو وتكون ملطفة لحرارته بخلاف الاقطار التي يكون زمن نزوله بها قليلاً ودفعة واحدة كالبلاد الحارة وقد استدلوا على ان للبقعة تأثيراً في قلة المطر وكثرته بما شاهدوه في جهة السنجال حين وجدوا كمية المطر النازل بها في كل السنة اقل ما ينزل بغيرها من البلاد البعيدة عن الاستواء ففي جزيرة كيين تكون مدة المطر ثمانية اشهر او تسعة وارتفاع ما يسقط منه في السنة مائة وثمانية اصابع مع ان ارتفاع الساقط في جزيرة بوربون تسعة وثلاثون اصبعاً وفي جزائر اللانتي ثمانية وسبعون ويقع اكثره في الزمن القليل ولبس في الجهات اكثر مطراً من سواحل مالابار واركان وجبال حملايا لان اكثر اسبابه موجودة بها لشدة الحرارة وارتفاع الجبال فيصعد من بحر الهند وحده من الابخرة اكثر مما يصعد من جميع الابحر وتسير به الرياح الى سواحل افريقية وسواحل اسيا فاذا مرت بجبل ارتفعت به حتى تصل الى الطبقة الباردة وعند ذلك يتحلل وينزل حتى يملاً الاودية وتفيض منه الانهار وقد قدروا ما نزل بجهة هناك مرتفعة عن المالح بقدر الف وثلثمائة وستين متراً فوجد بعد عدة تجارب عملت في اربع عشرة سنة ان متوسط ارتفاع المطر سبعة امتار وثلثان في السنة الواحدة وفي بلد اخر من هذه الجهة كان متوسطه في السنة الواحدة خمسة عشر متراً الا خمس متر وذلك مقدار ما ينزل بالاسكندرية في

فيبتدىء سقوطها في المنطقة الحارة متى سامت الشمس الرأس
 بتقدمها الى المنقلب الصيفي وتنتهي الامطار متى رجعت الشمس الى
 المسامته الاولى وتكون متوسطة في شهر يوليو الا فرنجي وتقوى في
 شهري اغسطس وستمبر وتقل في شهر اكتوبر وعلى العموم تظهر
 الامطار وتقوى في فصل الخريف ففي مصر تبتدىء من شهر اكتوبر
 وتستمر الى شهر دسنبه وفي الاقطار التي في عرض ثلاثين درجة
 الى عرض خمس واربعين كبلاد اليونان والاندلس والبرانس
 من فرانس يكون اكثر نزولها في فصل الخريف واما في فصلي
 الربيع والصيف فتضعف حرارة تلك الجهات بسقوط الندى
 الغزير ويقل مطرها وفي الجهات التي من عرض خمس واربعين
 الى خمسين كبلاد فرانس والمجر تنزل الامطار الغزيرة في فصل
 الربيع وتكون مدتها قليلة وفي البلاد التي من عرض خمسين الى
 خمس وخمسين كبلاد الفلمك والمانيا ينزل المطر ويكثر الضباب
 في فصل الخريف والتي من عرض خمس وخمسين الى ثمان
 وستين كبلاد الدانمرك وسويد ونورويج اكثر مطرها في فصل الربيع
 مدة قليلة ايضاً والتي من عرض ثمان وستين الى عرض سبعين
 كبلاد لابوني وسبسيور وكشكا اكثر نزول مطرها في فصل
 الصيف وما ينزل باوروبا ليلاً اكثر مما ينزل بها نهاراً والاقاليم
 الموارية على العكس من ذلك وغير المنظمة تقع في غير فصل
 الشتا وهي قليلة عند دائرة الاستواء كثيرة في الاقاليم المعتدلة

والولايات التي بها جبال فوجدوا النازل بالولاية المستوية باعتبار سنة واحدة خمسمائة وخمسة وسبعين مليمتراً والنازل بغيرها ألفاً وثلاثمائة مليمتراً واختبروا ما نزل في وادي نهر الران فوجدوه من خمسمائة وستين إلى خمسمائة وثمانين متراً مع أن ما ينزل في جبال الغوج يختلف من ألف مليمتراً ومائة جزء إلى ألف مليمتراً ومائتين وما يفعل في درجة الرطوبة بالقلّة والكثرة القرب أو البعد من الغابات الكبيرة والمياه العظيمة ومهابّ الرياح وجنس الأرض التي تمر عليها ولذلك كان ما يقع من الأمطار على سواحل البحار أكثر مما يقع في داخل الأرض وبالتجربة وجد أن ما يقع في المديرية الواقعة بين نهر الرين ونهر الساوون في السنة الواحدة خمسة وأربعون اصبعاً مع أن ما ينزل بباريز لا يزيد عن اثنين وعشرين والرياح الجنوبية والغربية تأتي بالبحر الاطلنطي والمتوسط إلى أوروبا وكثرة الغابات واتساعها وعلو الجبال الشامخة يشاهد بمجرات نورويج وسواحل أفريقيا الغربية ضباب مستمر وأمطار كثيرة ولعلو جهة مدينة مدريد بالأندلس على سطح البحر الملح كانت في جفاف تام ثم إن الأمطار تنقسم إلى منتظمة وغير منتظمة تبعاً لكيفية سقوطها في الولايات المختلفة فغير المنتظمة تكون غالباً في الأقاليم المعتدلة الحرارة بسبب تقلبات الفصول فيها مع مناسبة هيئة الأرض فيقع منها في الأوقات الحارة أكثر مما يقع في الأوقات الباردة وأما المنتظمة

وتسعين وفي ونديك واحدا وثمانين وفي لوندرة ثلاثة وخمسين وفي باريز مثلها وفي مرسليليا سبعة واربعين وان ما ينزل بالجبال اكثر ما ينزل بغيرها بسبب ان الجبال لارتفاعها وشدة بردها تجذب السحاب اليها فيساعد البرد تكوين الامطار والناس في البلاد الجبلية يهتدون في معرفة احوال الوقت بالنظر الى شواشي الجبال الشاخة لانها قبيل تغيير الوقت تحيط بها دخنة عظيمة رطبة حاصلة من تراكم السحاب حولها فيعلمون بذلك حالة الجو وكمية المطر في البقعة الواحدة تابعة للارتفاع فقد قدر اهل رصدخانه باريز ما نزل على سطوح الدور وما نزل بساحتها فوجدوا ما نزل بالساحة اكثر ما نزل بالسطح وذلك ان حبات المطر كلما طالت مسافة نزولها انضم بعضها الى بعض فيكبر حجمها كلما قربت من الارض وقد تحدث دوامات هوائية تجمع حب المطر بعضه الى بعض وكذا في مدينة باريز وجد ارتفاع ماء المطر فوق السطوح خمسمائة مليمتر وعلى سطح الارض خمسمائة وستين وفي برلين يزيد النازل في الساحات عن النازل على الاسطحة بنحو التسع وكلما ارتفعت ارض الولاية عن سطح البحر الملح كانت بعيدة عن الابخرة البحرية ولهذا كان ما ارتفع من الجبال في غاية الجفاف ولا يحصل من السحاب الملائم لسفحها والابخرة الفاعلة في طبقاتها السفلى فعل على الثلج الدائم المتكون بها وقد اخبروا مقدار المطر النازل بالولايات المستوية الارضية باوروبا

فتارة تكون الرياح قريبة من المساكن وتارة تعلقو روؤس الجبال وتارة ترتفع في الجو وأكثر ما يبلغ ارتفاعها احد عشر الف متر وخمسمائة واربعين متراً كما اعنبر بالوسائط الفلكية وذلك يفوق على ارتفاع اعلى جبل في الارض بثلاثة الاف متر وبعض السحاب يرتفع في الجو أكثر من ذلك بكثير وارتفاع السحاب في اوروبا يختلف بين ألفي متر وثلاثة الاف فلا يقطع من جبالها الا جبال البيرني وجبال الالب وهذا الارتفاع يكون كثيراً في فصل الصيف قليلاً في فصل الشتاء ويختلف ايضاً سمك طبقات السحاب فتارة يعظم عظامها تارة يقل عمقه وعلى العموم فختلف حالته الوسطى في جهات البيرني من ثلثمائة متر الى خمسمائة بحسب البقاع وكثيراً ما تكون طبقات السحاب متراكمة بعضها فوق بعض بابعاد ثقل وتكثر على حسب الاحوال وكمية الامطار الساقطة سنوياً على الارض تختلف قلة وكثرة بحسب الممالك او جهات المملكة الواحدة وبالتجربة قد وجدت مناسبة لدرجة عرض الجهة وارتفاعها عن سطح البحر المالح وانها كثيرة في جهة القطبين قليلة عند دائرة الاستواء وسبب ذلك اختلاف درجة الحرارة وظهر من التجارب العديدة ان كمية المطر بمجزائر الانتي تبلغ مائتين واربعة وستين متراً مكعباً وبجهة بونباي تبلغ مائتين وثمانية وفي كلكتا تبلغ مائتين وخمسة وفي كاندا من بلاد الانكليز تبلغ مائة وستة وخمسين وفي نابولي من ايطاليا تبلغ خمسة

لجبل يسقط ثلج ونحوه بحسب زيادة الارتفاع وقلته وتصادم تيارات
 الهواء بعضها ببعض فوق سطح البحر المالح يحصل منه مثل ما يحصل
 بمصادمة الاهوية للموانع المارة فسقوط المطر حينئذٍ تابع لحركة
 الهواء وكل سحابة شاهدناها انما هي تاج لعمود من الابخرة صاعد
 من الارض الى السماء ثم ان المطر يكون اول نزوله تقطاً صغيرة
 بحيث لو اجتمع منه ثلاثون نقطة لا تزيد عن مليتر وبسبب
 تحرك الهواء تتلاطم تلك النقط فيلتحم كل جملة منها وتصبح نقطة
 كبيرة وكلما قربت من الارض كبرت حتى تكون النقطة الواحدة
 قدر سائمتير فاكثر لان النقطة كلما كانت صغيرة لعب بها الريح
 شمالاً ويميناَ فاذا نزلت انضمت الى غيرها وكبرت وزادت ثقلاً
 بحسب قوة الهواء ولا تنزل في خط رأسي بل تكون في نزولها
 مائلة قليلاً او كثيراً وقد يشاهد عند سكون الريح سحب مرتفع
 ارتفاعاً عظيماً وذلك ناشئ عن تبادل حاصل بين السحابة وما
 تحتها من الابخرة فيقع من الطبقات العليا نقط ما الى اسفل منها
 فاذا وصلت الى طبقة حارة تجرت وارتفعت ثانياً وهكذا فيكون
 بين السحاب والابخرة ذهاب واياب فاذا تغيرت درجة الحرارة في
 جو السحابة يأخذ شكلها في التغير ومن يتأمل في السما بعد الظهر
 يرى السحاب يتجمع ويتفرق او يأخذ في الزوال ويتكون عن
 ذلك صورة بهجة حسنة وارتفاع السحاب وانخفاضه يخلف باختلاف
 البلاد تبعاً لطقس الجو واتجاه الرياح في جميع فصول السنة

ثم تمزق ثانياً وكثيراً ما يفصل السحاب ما ينزل على الأرض
مطراً قليلاً أو كثيراً فذلك الماء هو البخار الذي يحمله الجو
فقال الشيخ وما الذي يفصل ذلك البخار من السحاب حتى
يسقط على الأرض فقال له قد عرفنا ما سبق انه لا بد لفصل
الماء من الهواء من تبريد الهواء فالبرودة هي التي تفصله عنه والحرارة
تبقيه فيه وبانكماش الهواء وانضمام بعضه الى بعض تزداد حرارته
وبانبساطه وتمده يبرد وقد جربوا ذلك بان وضعوا قطعة صوفان
في انبوبة مسدودة من احد طرفيها وادخل فيها من الطرف
الآخر مكبس فكلما زهد في كبسه انضم الهواء وتناقص وازدادت
حرارته فما انتهى الكبس الى الآخر الا وقد انتهت الحرارة فاحرقت
الصوفانة فدل ذلك على ما قلنا من ان انضمام الهواء ونقص حجمه
يزيد حرارته وبضدها تميز الاشياء في الطبقات العليا من الجو
تكون درجة الحرارة اقل منها في الطبقات القريبة من الأرض
لاتساع العليا وقلة البخار فيها فلا يكون بينهما توازن فترتفع
طبقات الهواء القريبة من الأرض الى الاعلى فتنبسط وتترك ما
فيها من الابخرة فتسقط ثلجاً او برداً او مطراً على حسب شدة
البرودة وضعفها فلو هبت ريح فصدتها جبل لم تقف عن سيرها
بل ترتفع في الجو وحينئذ يقل الضغط عليها وتنبسط وتبرد
وتنفصل عن اجزائها فتصير الابخرة مطراً ونحوه ومن المشاهد انها
عند مصادمتها لنحو غابة يحصل سقوط المطر وعند مصادمتها

الى الابخرة المتصاعدة من دسوت الآلات البخارية فانه يرى البخار يرتفع ثم ينزل على الارض في هيئة مطر خفيف هذا ما تيسر ايراده من الكلام على البخار

واما السحاب والضباب فكل منهما عبارة عن تجمع كرات صغيرة حاصلة في الجو ولم تنفق اراء الحكماء من الطبيعيين في تلك الكرات على شيء فمنهم من يقول انها هوائية وفي جوفها ماء ومنهم من يقول انها نفسها ماء ثم ان بعض الناس يقول الضباب مناف للصحة وموذي للاجسام وهذا حق لان الضباب علامة على كثرة الرطوبة في الجو وانها متكونة في هواء راكد قريب من سطح الارض تتجمع فيه الابخرة المتصاعدة من القرى والمدن والمستنقعات واكثر ما يكون الضباب في الليل بسبب برودة الجو وقد يكون فوق المراعي الواسعة بقرب غروب الشمس ومتى صادف تكوّنه في الجو سقوط ريح باردة من الطبقات العليا من الجو حبسته اياماً واسابيع ومن وقف على مرتفع من الارض رأى الجبال بارزة نافذة من خلاله فيرى السماء صافية لخلو الجهة العليا منه

واما السحاب فهو ضباب كثير العلو فوق سطح الارض يتميز عن الضباب بارتفاعه عنه في الجو وكثيراً ما يتكون من ابخرة ثلجية ولا حصر للصور والاشكال التي يكون عليها وتقطع السحابة الواحدة الى قطع عديدة تسير في جهات مختلفة وينضم لها غيرها

الارض ويمنعها اذا كانت منعكسة منها فهلا منعها جميعا او لم
يمنع واحداً منها

فقال الخواجا هذا لا يرد الا لو كانا على صفة واحدة اما
اذا كانا على صفتين مختلفتين كما هنا فلا وذلك ان الاشعة المنبعثة
من الشمس الى الارض حارة مضيئة بخلاف المنعكسة من الارض
الى الجو فانها مظلمة خالية من الضوء فلذا كان تشرب البخار
للاشعة المنعكسة اكثر من تشربه للاشعة المنبعثة الا ترى انا
لو عرضنا لوحا من زجاج الى الشمس لنفذت اشعتها منه سريعا
ولا يسخن الا بعد مدة وما ذاك الا لنعته حرارتها دون ضوءها
فكذلك بخار الماء في الجو فانه يمنع اشعة الشمس المنعكسة من
الارض لظلمتها ولا يمنع اشعتها المنبعثة منها لوجود الضوء فيها

ومن الحكمة الالهية والالطاف الربانية وجود البخار في الجو
لانه يجعل الدرجة المتوسطة للحرارة في كل بقعة اكثر من حرارة
اشعة الشمس وحدها اي بدون بخار الجو لا صعوبة في تخليص
الهواء من الابخرة المائية المتزجة به فان ذلك يحصل بتبريده كما
لو أخذت قلة ماء مثلاً وجعلتها في مكان حار وتركها برهة
من الزمن فانك ترى سطحها قد كسي بابخرة كالندى فكذلك
يكون الجو اذا برد الهواء بعد غيبوبة الشمس فان الابخرة المائية
تتجمع وتصير ندى رقيقا ومن تأمل في الخارج من فهمه من
النفس في وقت البرد رأى بخاراً ظاهراً للعيان وكذا اذا نظر

في الاخرى ففوق ارض بلاد الانكليز يكون الجو متشعبا بالبخار او قريبا من ذلك وفوق صحاري آسيا يكون جافا ليس له الا خمسة عشر جزءا او عشرون جزءا من مائة ما يمكن ان تشربه وعلى العموم فمقدار البخار في جو الارض القارة ثلاثة اخماس مقدار التشبع ومع كونه على هذه القلة فوجوده في الجو من اهم المهمات وبيان ذلك ان الارض تميل الى ضياع ما تشرته من الحرارة مدة النهار برده ثانيا الى الجو في الليل فاذا ردت التقطته الابخرة المائية فتزيد حرارة الجو ولاحاطته بكرة الارض احاطة الظرف بمظروفه كان لها كغطاء حافظ لها من البرد ولولا هذا البخار هلك ما على وجه الارض كما مر وكما جف الجو اشتدت حرارة الارض ففي النهار توثر اشعة الشمس في الارض فتلبسها حرارة وفي الليل ينبعث من الارض نحو الجو ما كمن فيها من تلك الحرارة فكلما اشتدت درجة الحرارة في النهار في بقعة كان ليها شديد البرد لان كمية البخار في تلك البقاع تكون قليلة جدا فلا تمنع الاشعة المتصاعدة من الارض من النفوذ فيها الى جهة السماء وما سبق يعلم ان البخار المائي ملطف لحرارة الاشعة الشمسية الساقطة على الارض ومانع لها عند انعكاسها من الارض الى الجو من ان تضيع في السماء ومن فوائد ذلك حفظ درجة الحرارة الكافية للحياة

فقال الشيخ لماذا لم يمنع البخار اشعة الشمس الساقطة الى

قلة وكثرة باختلاف درجة الحرارة التي في الجو ففي درجة عشرين تحت الصفر لا يكون في المتر المكعب من الهواء زيادة عن غرام واحد اي ثلث درهم وفي درجة ذوبان الثلج يكون فيه خمسة غرامات ومن درجة عشرة الى ثلثين تكون غرامات البخار التي يتصها الهواء موافقة لارقام اقسام الترمومتر فان زادت درجة الحرارة عن ثلاثين زاد قبول الهواء للبخار فاذا بلغت مائة قبل من البخار بقدر حجمه وساوت حينئذ قوة الهواء قوة البخار وبعد ذلك تزيد قوة البخار على قوة ضغط الماء فيحصل الغليان في الماء ثم ان كمية البخار التي في الجو ولوانها قليلة وتابعة لدرجة الحرارة لكنها مع ذلك قد تكثر كمية البخار المتصاعد من احد مائعين متساويين في الحرارة عن تصاعدها من الاخر بسبب هبوب الريح على احدها دون الاخر او كثرته عليه اكثر من الاخر فكلما مر عليه ريح تشبع منه وترك مكانه الى غيره وهكذا بخلاف ما اذا كان واقفاً او قليلاً وحينئذ فتصاعد الابخرة وتوزعها في الجهات تابع ايضاً لكثرة هبوب الرياح ثم ان الهواء يكون فوق سطح البحر متشبعاً من البخار او قريباً من التشبع وكلما صعد من جهة الاستواء الى جهة الاقطاب يأخذ في النقص وكذلك يكون تشبعه في السواحل اقل منه فوق البحر وفي داخل الولايات اقل منه في السواحل وذلك بحسب توزيع الانهر والنجبان والبرك والجبال والغابات واختلاف الرياح واتجاهاتها فمقدار البخار في جو كل بقعة يخالف مقداره

البرد حتى تجهد منه الانهار وتكسى الارض بالثلج وتكثر الامطار
وربما تستمر اشهرًا وفي تلك المدة يضطراهل تلك الجهات الى الاستمرار
على ايقاد النار فيكون في كل مكان متقداو اكثر ويلبسون ثقل
التياب كالفراء والمضربات وكلما نزل الانسان الى الشمال ازداد
عليه البرد والثلج وكلما صعد قل برده وادرك الحرارة

وشرح تلك المسئلة بجناس الى مقدمة اقصها عليك اذا اوينا
الى مبيتنا فلما هداً المطر وركبوا الى محل اقامتهم قال الشيخ
لخوارجا انجز لي ما وعدتني فقال اعلم ان الهواء ولو كان في غاية
من الصفا لا بد ان يحمل معه ابخرة مائية متصاعدة من الانهار
والبحار والريح توزعها في الجهات فزرقة الجو المتد في السماء الى
ستين الف متر ناشئة من هذا البخار المتصاعد وذلك الجو محيط
بجميع كرة الارض والخلق على اختلاف انواعهم تعيش فيه ومن
فوائد البخار تلطيف حرارة الجو فيكون الهواء صالحا للاستنشاق
وكل حين يتصاعد من البخار مقدار من البخار لاجل تلك
الفوائد الجليلة ولولا ذلك لهلك ما على وجه الارض من حيوان
ونبات وقد غلط من جعل البخار والضباب والسحاب شيئاً واحداً
بل هما متغايران فان البخار عبارة عن غاز يرتفع من الانهار
والبحار الى الجو بكمية ثقل وتكثر فعلى كل مستودع ماء من نهر
او بركة وكذا على الثلج ونحوه يتكون البخار فاذا تشبع الجو منه
تحول بواسطة الهواء الى رطوبة محسوسة ودرجة التشبع تختلف

المسامرة (١١٧)

الهوا. والماء

ثم استأذنوا في الانصراف وقاموا فودعهم الى الباب ووقف
هناك الى ان ركبوا وكانت الشمس قد أذنت بالغروب والسماء
مطبقة بالسحاب وبعد ان ساروا مسافة قليلة خرجت عليهم ريح
باردة من جهة الشرق فقال الانكليزي هذه علامة المطر فالاولى
ان ندخل قهوة نستكن بها حتى يسكن فادخلوا القهوة الا والمطر
قد نزل كافواه القرب

فقال الشيخ ان اهل مصر الان يشكون من الحر ونحن نشكو
من البرد فقال الخواجا ذلك ناشىء من اختلاف الاوضاع الجغرافية
للبلاد ارتفاعا وانخفاضا ففي بعض الجهات المنخفضة قد يشتد

فقال المأمور للشيخ ألا أخبرك بأصل هذا المكان قبل ان
يعد لما رأته به من انواع النبات والحيوان قال نعم فقال اصله كان
فضاءً من فضآت باريز فلما جاء لوزير الثالث عشر اصدر امره
بانشاء جنينة في خطة من خطط باريز تكون ادارتها ونظارتها
بعده لمن يقوم مقامه من عقبه فانشأ هذه الجنينة ثم ما زالت تتقدم
كل سنة عن السنة التي قبلها الى ان جاءت سنة الف وستمئة
واثنين وثمانين فجعلها بوفون مؤلف كتاب حياة الحيوان والتاريخ
الطبيعي في هيئة جديدة وقسم طرقها واحداث فيها مدرسة لتدريس
العلم

ثم في سنة الف وسبعمائة واثنين وتسعين عمل لها مجلس الملة
لوائح وقوانين وامر بنقل جميع الحيوانات التي كانت بويرساي اليها
فازداد بذلك رونقها ومن ذلك العهد لا يمر عليها عام الا ويجلب
اليها من المستغربات وانواع الطير والحشرات ما لا يحصى

والافاعي ثم الى عنبر الحيوانات الوحشية ثم محل المواد
الكبائية ومنها الى محل الالات وارايم بعض خواصها فكان كل
ما انتقل بهم من مكان الى مكان يرى على الشيخ عدم رغبته في
الانصراف من المكان الاول حتى يستوفي البيان عما فيه الا انه
لضرورة المرافقة كان مجبوراً على الموافقة وكان في جملة ما رآه
في عنبر الافاعي ثعابين (حيات) ممتدة في السقف ففزع منها فزعاً
شديداً ولكنه تجلد حين رآهم لم يكثرثوا بها وما رآه في عنبر
الحيوانات الوحشية انواع السباع والضباع والنمورة والظبا والقردة
والقيلة والزرافة والأيل والحمر والبقر الوحشية وكذلك انواع
الطير والحيوانات البحرية كالدرفيل وفرس البحر والتمايح فأوا
حولها اطفالاً ترمي لها خبزاً فتجتمع عليه ورأوا حول بيوت القردة
خلقا كثيرين يضحكون على العابها ثم طاف بهم في البستان واطلعهم
على خواص ما به من نبات وشجر واخبرهم باسم نبات كل بلد
ودرجة حرارتها وما يستخرج منها من الزيوت والادهان العطرية
وغيرها وارايم نباتاً مغطى بسقف من زجاج وبين لهم الطرق التي
تزيد في الحرارة وبالجملة فلم يدع شيئاً بالبستان الا اطلعهم عليه
وذكر لهم ما يعلمه من خواصه ثم رجع بهم الى مكانه وطلب لهم
قهوة فشربوا ثم قال المأمور اريد ان اتشرف بحضرة الشيخ في يوم
غير هذا لاربه ما يجب ان يراه مما لم يره في هذا اليوم فقال
الشيخ لا بد من ذلك لاحظى برؤيتكم واستفيد من معلوماتكم

ذخائر فرانسا وكانوا قد عثروا به علي بعد خمسة واربعين
 فرسخاً من جنوبي جلو كند ووزنه غشياً قبل حكه كان اربعمائة قيراط
 وعشرة قراريط واقاموا في حكه سنتين وبعد الحك صار مائة
 وسبعة وثلاثين قيراطاً وبلغت قيمه ذلك الحجر ثلاثمائة واثنى
 عشر ألفاً وخمسمائة فرنك وصرف عليه في الحك مائة وخمسة وعشرون
 ألفاً فاشتره الدوك دورليان بثلاثة الاف الف وثلاثمائة وخمسة
 وسبعين الف فرنك وهو الان يساوي ثمانية الاف الف
 فرنك

ومن الحجارة المشهورة حجر يعرف بالنظام عند ملك جلو كوند
 غشيمه اوزنه ثلاثمائة واربعون قيراطاً وقدروا قيمته خمسة
 ملايين فرنك وفي ذخائر الروسية حجر وزنه مائة وثلاثة وتسعون
 قيراطاً وكان معمولاً عيناً لصم بمعد براهمة فاخذه احد عسكر
 الفرانساوية وباعه بخمسين الف فرنك ثم صار يتقل من يد الى
 اخرى حتى وقع في يد القراليجة كاترين فاخذته بالنفي الف ومائتين
 وخمسين الف فرنك

وفي ذخائر انمسا حجر وزنه مائة وتسعة وثلاثون قيراطاً
 ونصف قيراط وبقال ان عند ملك البرنتال حجراً قدر بيضة
 الدجاجة وزنه الف وستائة وثمانون قيراطاً ولم يره احد
 من اخبر عنه

ثم دخل بهم عنبر الطير وراهم ما فيه ومنه الى عنبر الحشرات

وآلة حكه عبارة عن قرص من الفولاذ اقي الوضع يتحرك
 بسرعة شديدة وفوق القرص تراب الماس المحاصل من حك
 حجرين منه طبيعيين غير قابلين للتصليح ولهم في ذلك
 طرق والمعلوم الان ان الماس المستعمل بين الناس على
 هيئتين

الاول الشكل المعروف بالروزة ومعناها الوردة
 والثاني المعروف بالبرلاتا فاول وجهه الظاهر هرمي الشكل
 ذو اسطحة مثلثية والوجه الثاني مستوي يخفي في مادة التركيب سواء
 كانت من الفضة او الذهب واما النوع الثاني وهو البرلاتا فكلما
 وجهه مسطح الوسط وفي دائر ذلك السطح اسطحة مثلثية او معينة
 والمجموع عبارة عن هرمين ناقصين والعادة ان يتي مكشوفاً في
 تركيبه مع الفضة او الذهب ويرى من الاعلى كما يرى من الاسفل
 واختلف قيمته باختلاف مائه وصفائه وكبره وشكله والحجارة
 التي لا تصلح للاستعمال يساوي قيراطها ثلاثين او ستة وثلاثين
 فرنكاً وقدر القيراط مائتان وخمسة ونصف من الميليغرام وقيمة
 القيراط المستعمل في الحلّي تساوي ثمانية واربعين فرنكاً اي ان
 قيمة الغرام منه تساوي مائتين وثلاثة وثلاثين فرنكاً وذلك اذا
 كان وزن الحجر قيراطاً فان زاد وزنه عن ذلك فتقدر القيمة
 بضرب مربع الوزن في ثمانية واربعين واما المصوغ قيمته
 تابعة لهيأته وكبر حجمه كما ذكرنا واكبر حجر منه ما وجد بخزانة

التكوين المتقولة بالمياه ومن مدة ثلاثة قرون صار الحجد في استخراجه من محاجرهِ ويوجد ايضا في نواحي ديكان وجلوكوند وبانجال وجزيرة بورنيو واستكشافه في بريزيليا كان في القرن السابع عشر في مديرية ميناسجييري والمستخرج منه غشيا كل سنة في جميع الجهات يقرب من ستة كيلوغرامات الا انه اذا صفي وتقي لا يبلغ الا نحو مائة وثمانين غراما

وكيفية استخراجهِ بالبريزيليا ان تفتت الصخرة التي يظن وجوده فيها ثم تغسل في حيضان ما عمق الماء فيها متر ويجلس الغسال على حافظها ويده قطعة خشب مجوفة تسع اثنين او ثلاثة من الكيلوغرامات من الرمل فلا يزال يحركها في الحوض حتى يعثر بشيء منه ومن اعتياد العبيد على غسله لا يفوت الواحد منهم شيء منه ولو صغيراً جداً ومن عاداتهم ان كل من وجد شيئاً منه ينادي باعلى صوته قائلاً قدس الله روح المسيح . ثم يسلم ما وجد للملاحظ فان كانت قطعة كبيرة كافأ عليها وربما اعنته في نظير ذلك

وقال بعض المؤرخين ان حك الاملاس واستعماله قديم لكن كان على غير قانون من حيث الانتظام والشكل وقال بعضهم لم يكن ذلك الا من سنة الف واربعماية وستة وسبعين من الميلاد فان المخترع له رجل من اهل نروج مع ان هذا الحجر وجد في بركة الدوك دنجوس سنة الف وثلثمائة وثمانية وستين محكوكا فلذا حكم بقديم طرق حكه

مغروساً في الصخر

واما الباقوت فهو هذا الحجر الاصفر وهو حجر زجاجي صلب يوجد في اجواف الصخور وانواعه كثيرة منها الاصفر والسمائي ومنها الاحمر الثاني البهرماني واعلى انواعه ما يجلب من بلاد الهند وما يرد من السكس ومكسيكو ثم اشار الى حجر ذي اللون متعددة بتعدد طبقاته فقال واما هذا فهو الحجر الياباني والصنّاع تخنل على تعاقب طبقات الوانه فتجعلها في التحضير قائمة او منحنية او غير ذلك ويوجد ذلك بفرانسا والمانيا واحسنه من بلاد العرب

وحجر اليشم هذا يستعمل في خواتم وقلائد وبعض حلى واقداح للشرب ونحو ذلك ومحل وجوده الطبقات القديمة التكوين من طبقات الارض

ثم قال واعلى هذه الحجارة حجر الماس وهو حجر زجاجي شفاف مجرد عن اللون له لمعان الماسي وهو سهل الكسر صلب يوءثر في جميع الاحجار ولا توءثر فيه ولا يجلي الا بمسحوقه وثقله النوعي قدر ثقل الماء ثلاث مرات ونصف مرة ويتركب من كربون اعني فحمًا نقيًا خالصا واول من ظن فيه قابلية للاحتراق العالم نتون ومن بعده سلط عليه بعض الكيماويين تيارًا كهربائيا شديداً فانحرق وصار فحما كالذي يوقد به ويوجد هذا النوع في بلاد الهند وبريزيليا والسبيريا ويوجد بين صخرارض الرسوب القديمة

فنزّلوا واخذ الخواجا بيد الشيخ حتى وصلا حجرة المامور فلما رأها قام
لها واجلسها وامر لها بتهوة ثم اخبره الخواجا عن سبب مجيهم وان
التصد الزيارة فرحب بهم وقام معهم واراهم عنابر المعادن واحداً
واحداً ثم وقف بهم على طاولة ممرّدة من قوارير وفيها من
جميع الاحجار التي يتعلّى بها وقال للشيخ ان هذه الاحجار هي مثال
الاحجار النفيسة التي يتعلّى بها وفي ترتيبنا هنا ان اولها هو حجر
الفيروزج وهو نوعان نوع سماوي اللون مركب من اوكسيد
الحديد والنحاس والنوع الثاني عظم قد استخرج مع فوسفات الحديد
وهو يوجد عروقاً في مادة طفلية في الارض بنواحي نيسابور من
بلاد العجم والجمهورية والصاغة يؤلفونه مع الماس واللؤلؤ والذهب
وحجر العقيق هو هذا الحجر الاحمر اللطيف وهو مركب من
ألومين وبعض مواد اخرى ويتنوع لونه فمنه ما يكون احمر
يوجد في بلاد البهم والحجر في الصخور البرقانية وله معامل في
بلاد الحجر والبهم والتيرول

والزمرذ المشهور ببلاد المشرق وهو مركب من سيليس وألومين
وبعض مواد وانواعه كثيرة منها الاخضر الصافي وهو زمرد مصر
والبيرو ومنها الاصفر والازرق واعلاها الاخضر وهو المرغوب
بمصر وغيرها

واحسن زمردة معلومة الان هي الموجودة في خزانة الامتعة
ببلاد الموسكو والزمردة الموجودة في تاج البابا ويوجد الزمرذ عادة

وقد دلت التجربة على ان طول الاقامة فوق الانهر التي
 بالبلاد الحارة مضره ضرراً بيننا ودلت التجربة ايضاً على انه اذا
 مات واحد من خمسة وثلاثين من سياحي البحر الملح يموت
 واحد من ثلاثة من سياحي نهر السنجال بخلاف اهل البلاد
 المعتدلة والباردة

والحكيم التي اودعت في المياه كثيرة لم تقف الا على بعضها
 وعلى الانسان ان يبحث عن خواصها وخواص غيرها على حسب
 الامكان فان الرب الخالق لم يخلق شيئاً عبثاً

المسامرة (١١٦)

الاحجار الكريمة

وها نحن قد وصلنا فلندع الكلام في هذا الباب الى وقت
 غير هذا وكانت العربية قد وقفت بهم على باب عظيم مرتفع

بالنسبة لكمية مجسم الماء الجاري في كل جهة من الدنيا فان كان نهر بعيد العمق جداً اثر ذلك في الجوف فتتقص درجة الحرارة في وقت الشتاء تدريجاً ويستحكم البرد الى ان يجهد ماء النهر فان كانت الاقطار متوسطة البرودة في الشتاء بان كانت لا تزيد على ثلاث درجات ونصف مئبية لم يجهد الماء الا اذا بلغت درجة البرودة ثماني درجات او عشرًا تحت الصفر

واما البلاد الموضوعة في ثمان وخمسين الى ستين درجة من العرض فان بردها يكون شديداً وقت الخريف لتأخر ذوبان الثلج فان كانت الانهار كبيرة العرض والعمق والسرعة تأثر الجوف بها وفي الغالب تتبع الرياح اتجاه الانهر وينبني على ذلك ان اتجاه الانجرة الرديئة تتبع اتجاه الانهر وهذا هو السبب في وجود الحمى عند سكان السواحل والدليل على ذلك المشاهدة فانه في سنة الف وثمانمائة وتسعة عشر ظهرت الحمى في الاندلس وانتشرت حتى سرت الى مدينة سوبل لان تمهري سان لوران وجوادي الكبير قد نشرا في داخل المديربات انجرة السواحل فالانهر وان كانت يمرورها تاخذ عفونة المساكن معها الا انها لفيضانها وحصول النشع منها وشدة نقصها ورسوب المواد الطينية منها ينشأ عنها مضار كما يحصل من النيل والكنج والمسيبي والامزون فانها بعد نزولها تترك منافع وبركاً فيتولد عنها امراض بسبب الانجرة الرديئة المتصاعدة منها

وأفضل المياه ماء قد نبع
بين اصابع النبي المتبع
بليه ماء زمزم فالكوثر

فنيل مصر ثم باقي الانهر

وللنيل مزايا انفرد بها منها انه يكتفى بسقيه فانه يزرع عليه ثم لا يستقى الزرع حتى يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك في نهر سواه ويزيد عند الحاجة وينقص كالعامل المدبر الشفوق فياتي الى الارض في اوان اشتداد القيظ والحروببس الهواء وجفاف الارض فيسقيها ويرطب الهواء وهو موزون على ديار مصر بوزن معلوم وتقدير مرسوم لا يزيد عليه ولا يخرج عنه ولا بطغى على البلاد بالفساد والانهار تأتي من جهة المشرق الى المغرب وهو ياتي من جهة الجنوب الى الشمال فيكون فعل الشمس فيه دائما واثرها على اصلاحه متصلاً وليس في الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص ثم ينضب على الترتيب والتدرج غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجيء من خراج غلة زرعه ما يجيء من خراج غلة زرع النيل وهو اخف المياه واحلاها وارواها واعمها نفعا واكثرها خراجا وبالجملة فبطون الدفاتر مشحونة بمزايا النيل ومدحه نظماً ونثراً قديماً وحديثاً فقال الخواجا نحن لا ننكر فضل النيل ولا كثرة مزايا ولكن لو تأمل الانسان لوجد ان كل نهر في الدنيا لا يخلو من خواص ومزايا منها تلطيف حرارة الجو

ويلاند المار من ابحيرة ايرية الى بحيرة اونتاريو بعد ان
 يجاوز شلالات نياجارا وطول هذا الخليج خمسة واربعون
 الف متر وعرضه ايام زيادته مائة متر وايام نقصه تسعة وعشرون
 متراً وثلاثا متر وعرض قاعه ثلاثة عشر متراً وثلاثا متر وعليه
 سبعة وعشرون هويساً موزع عليها الانحدار الكلي بين البحيرتين
 وهو سبعة وعشرون متراً واما من خصوص عظم السرعة والجريان
 فليس هناك نهر اعظم من نهر دجلة والاندوس (سيجون)
 والدانوب (الطونة)

وفي جميع هذه الانهر تنصب انهر كثيرة فنهر الدانوب
 ينصب فيه مائتا نهر بين صغير وكبير ونهر وولجا ينصب فيه
 ثلاثة وثلاثون نهراً وهذه الانهر كلها مع كثرتها وغزارة مائها
 واتساعها طولاً وعرضاً ليست شيئاً بالنسبة للبحر الملح فانه
 لو فرض جفاف البحر الملح ونضوب الماء عنه وسلطت
 عليه جميع انهر الارض فلا ثملاء كما هو الان الا في اربعين
 الف سنة

فقال الشيخ قد اقدتني في الانهر ما لم يكن يخطر بالبال ولا
 كان له في النفس خيال فلهه درك من حبر خبير وعارف بصير
 ولكن مع ذلك فالنيل اعظم الانهار بركة واكثرها فائدة وقد
 ورد عندنا في السنة المحمدية والشريعة الاسلامية انه افضل انهار
 الدنيا كما قيل في ذلك

في بعض المواضع من خمسة عشر متراً الى عشرين ويبلغ في بعض الجهات ستين متراً وثمانين ويمر بارض تقرب من مائة وثمانين الف فرسخ مربع اي مقدار سعة فرانسوا سبع مرات ويقطع في الساعة الواحدة ايام تقصيره اربعة اميال انكليزية وايام زيادته يعسر ركوبه لشدة جريه وفي كل مائة متر من طوله يكون انحدار مجراه جزءاً من مائة جزء من المتر واكبر فروع نهر المصوري وعرضه من الف متر الى الفين وسرعته في الساعة الواحدة الفا متر وهناك انهار اخرى منها نهر الاورينوك طوله خمسمائة وخمسة وسبعون فرسخاً ونهر البلانا طوله نحو ثمانية فراسخ

واعظم من جميع ذلك نهر الامزون فانه يجلب الى المالح جميع الامطار الواقعة على الوادي المتسع العظيم الذي قدر مساحته سبعة ملايين كيلو متر مربع وهو عميق جدا لان المحس الذي طوله مائة متر لا يصل الى قاعه وعرضه كبير جدا حتى ان اكبر سفن المالح تصعد فيه الي مسافة الف فرسخ وفي جميع هذه المسافة لا ترى شواطئه لعظمه وسرعته شديدة يقطع في الساعة الواحدة ثمانية الاف متر وما يصرفه في اللحظة الواحدة من الماء قدر ما يصرفه ثلاثة الاف نهر مثل نهر السين في تلك اللحظة وفي ارض كندا بامر يقا نهر سانلوران عرضة عند مصبه عشرون الف متر وبعد اربعمائة وخمسين الف متر من المصب يكون عرضه اثني عشر الف متر ويخرج منه ثمانية خلجان اكبرها خليج

بأوروبا نهر فولجا طوله ثلاثة ملايين وثلاثمائة وأربعون ألف
 متر ومنافعه ببلاد الروس كثيرة لأنه اعظم طريق لنقل تجارتهم
 الداخلة والخارجة من المديرية الى التخت فضلاً عن نقل
 التيل والكتان والحديد والطوب والشاي والمشروبات وكذلك
 نهر الدانوب (الطونة) بألمانيا فان طوله مليونان وسبعائة وخمسون
 ألف متر ونهر الدون بالدال المهلة ببلاد روسيا طوله مليون
 وسبعائة وثمانون ألف متر ونهر الدينير في بلاد الروس ايضاً
 طوله مليونان من الامتار ونهر يانج تسي كيانج باسيا طوله
 خمسة ملايين وثلاثمائة وثمانون ألف متر ونهر الكنك وطوله
 مليونان وأربعمائة ألف متر وعرضه خمسمائة وخمسون متراً وهذا
 النهر اعظم طريق لسير المراكب للتجارة في هذه الجهات وقد
 قدروا عدد الملاحين به فوجدوهم ثلاثمائة ألف نفس وقيمة
 ما ينقل منه في السنة الواحدة من البضائع قريب من ثلاثمائة
 مليون من الفرنكات وقد اخذت منه الشركة الانكليزية
 خابجاً كبيراً لاصلاح زرعهم طوله ألف وأربعمائة واثان وثلاثون
 كيلو متراً

وبافريقيا انهار غير نهر النيل منها السنجال طوله ألف ومائة
 وخمسة وعشرون فرسخاً واعظم من ذلك كله انهار امريقاواكبرها
 نهر مسيسيبي فان طوله سبعة ملايين متر وعرضه في اضيق
 طريقه ثلاثمائة متر ويعظم الى ان يبلغ الفاً وخمسمائة بل ٢٥٠٠ متر وعمقه

الف متر وينصب فيه من جانبه انهار صغيرة فعلم ما ذكر ان
 نهر السين ليس اكبر انهار فرنسا وان كان اكثر منها نفعاً
 لكثرة المدن ذات الصنائع والمعامل والتجارة على شاطئه لاسيما مدينة
 باريس هذا هو سبب شهرته

فقال الشيخ في هذا الاوان يفيض نهر النيل ويروي ارض
 مصر عموماً صعيداً وبحيرة وتبتدىء زيادته بعد النقطة القبطية ويتم
 ارتفاعه في شهر توت بخلاف باقي الانهار وللنيل خواص كثيرة
 منها انه لا يعلم مبداه ومنها ان سيره من الجنوب الى الشمال مع
 ان جميع الانهار تجري من الشرق الى الغرب او بالعكس ومنها
 انه من الخرطوم الى ان ينصب في بحر الروم لا ينصب
 فيه غير نهر ادبرا

وما اخص به هذا النهر ما ياتي معه من الزبد الذي
 لولاه ما كانت ارض مصر ولا سكنها انسان ولا عاش بها حيوان
 حتى قيل انه اعظم الانهار طولاً وجرياً واكثرها للارض فائدة ورياً
 وخصباً وطمياً

فقال له الخواجا هناك ما هو اعظم منه طولاً واسرع جرياً
 لان غاية ما يبلغ طول النيل من مبتدئه الى مصبه تسعمائة
 وسبعون الف متر واكثر اتساعه الف متر ولا تزيد سرعته
 عن اربعة كيلو مترات في الساعة الواحدة وغاية ما يصرف في
 الدقيقة الواحدة تسعة وثلاثون متراً مكعباً وربع متر مع ان

عن احد نهيراته وعليه بلاد ومدن وقلاع وحصون كثيرة كغيره
من الانهار وفي ذكرها تطويل على حضرتكم

واما نهر السين فمنبعه من الكوتدور ومصبه البحر الملح وارتفاع
منبعه عن مصبه اربعمائة وستة واربعون متراً ويمر من جهة الجنوب
الشرقي الى الشمال الغربي مستقيماً الى ان يتجاوز مدينة تروى
فيأخذ من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وهناك يصلح لسير السفن
وهو يمر بمدن شهيرة وبلاد كثيرة وارض متسعة الى ان يصل
باريس ويتجاوزها فيمر بمدينة سانكلو التي فيها منتزهات الملوك
وعلى يساره على بعد ثمانية الاف متر مدينة ورساي التي كانت
مقر الملك لويز الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر وهي
المشهورة بمجادثة قيام فرانسوا وعلى بعد اربعة الاف متر من جهة
الغرب مدينة سانسير المشهورة بمدرسة البياده المعدة لتخضير
ضباط البياده الفرنسية ويمر ايضاً بمدينة ساندينيس المعدة من
قديم الزمان لدفن ملوك فرانسوا الى الان ومدينة روان التي
كانت في الزمن القديم مقر حكومة النورمندي وهي من
المدن الشهيرة وعدد اهلها مائة الف نفس وفيها ورش ومعامل
وكانت سابقاً من القلاع المحصينة وجميع السفن ترسو عندها ثم
ينعطف هذا النهر انعطافات كثيرة الى ان ينصب في البحر
الملح قريباً من مدينة هافر وطوله من مبدئه الى مصبه ستمائة
واربعون الف متر والقابل لسير السفن منها اربعمائة وثمانون

كانت تغلبت على ارض الغول عند تضعع دولة الرومانيين
وعند تقسيم مملكة شارلماني كانت تخناً لمملكة البرغوني ولم تدخل
في حكم مملكة فرانسوا الا سنة الف وثلثائة واثني عشر ايام الملك
فيليب الملقب بالجبيل فلما قامت الفرنسية ارادت الخروج عن
الطاعة فحصرها حتى دخلت تحت طاعتهم وفيها معمل بارود
ومدرسة وورشة للطوبجية وهذا النهر بعد خروجه من المدينة
ينعطف نحو نهر الساوون على زاوية قائمة وبعد ذلك ينعطف
من الشمال الى الجنوب وهو نهر كبير العرض قوي الانحدار لحبسه
بين الجبال التي ترسل له تيارات قوية من السيول فيزيد بها
بغته وتكبر سرعته وجريانه فيمرّ بمدن وقرى وحصون كثيرة الى
ان يصل مدينة ارل ثم ينقسم قسمين احدها يسمى الرون الكبير
يسير الى الجنوب الشرقي والاخر يسمى الرون الصغير يسير الى
الجنوب الغربي ثم ينقسم الكبير قسمين احدها يسمى الرون العتيق
والاخر يستمر على اسم الرون الكبير ثم ينقسم الرون الصغير قسمين
احدهما يستمر له اسم الرون الصغير والاخر يسمى الرون الميت وجميع
هذه الاقسام تصبّ في البحر المالح وطول النهر من مبدئه الى
منتهاه ٨٠٠ الف متر منها ما هو صالح لسير السفن وهو خمسمائة
وعشرون الف متر ومنها ما لا يصلح وهو الباقي ولا نعلم باوروبا
نهرًا اقوى منه جريا لكثرة الانهار التي تنصب فيه ويمر من
ارض فرانسوا على تسع عشرة مديرية ونهر الساوون المذكور عبارة

واربعة وخمسين متراً واولاً يكون في وادٍ ضيق عميق ويتجه بين
 الشمال الغربي والجنوب الغربي في وسط جبال الالب الشاخنة
 وفي طول مائة واربعة واربعين الف متر من ابتداء مصبه يكون
 اللسان المتكلم به على ضفته الشرقية اللسان الالماني وفي الاخرى
 اللسان الفرنساوي وله انعطافات كثيرة وفي مروره يخترق ليمان
 العظيمة وطولها من الشرق الى الغرب اثنان وسبعون كيلومتراً
 وعرضها اربعة كيلومترات في اضيق محل منها وفي اوسع محل منها
 اثني عشر كيلومتراً وارتفاعها فوق سطح المالح اربعمائة متر تقريباً
 ويفصل ما بين فرانسوا واقليم سفولا واقليم سويسرا وينصب فيه
 اربعون نهراً جميعها من الجهة الجنوبية وليس عليه في هذه المسافة
 مدينة كبيرة سوى مدينة يقال لها لوزان وبعد خروجه من تلك
 البحيرة عند مدينة جنوه يدخل ارض فرانسوا ويأخذ نحو الجنوب
 ويسير بين الجبال وبعد مسافة كبيرة من سيره يتكوّن عنه مع
 نهر اخر يقال له نهر الساوون بحيث جزيرة بها مدينة ليون التي
 تلي باريز في الشهرة بفرانسوا فيكون جانب من تلك المدينة على
 احد النهرين والجانب الاخر على النهر الاخر وعليهما قناطر للمرور
 وكانت هذه المدينة ايام الرومانيين تحت تسلط الغول وعدد اهلها الان
 مائة الف وخمسة وستون الف نفس وهي مدينة عظيمة ذات
 ورش ومعامل خصوصاً للحرير وقد مر عليها من الحوادث الطيبة
 وضدها ما لم يمر على مدينة غيرها خصوصاً ايام الامم المتبربرة التي

فقال كنت وأنا بمصر اذا رأيت المراكب التي على سواحلها اعجب من كثرتها والان لا اعدھا شيئاً بالنسبة لما اراه هنا فقال الخواجا ومع ذلك ما تراه ليس شيئاً بالنسبة لما يرد ويصدر بسكة الحديد وذلك لان باريز صارت الان مخزناً عاماً لكل ما يلزم لسائر الجهات

فقال الشيخ وهل بفرانسا نهر غير هذا فقال انها رها كثيرة احدها نهر السين وهو هذا وليس هو معدوداً من الانهر الكبيرة وبها نهر يسمى نهر اللوار يخرج من جبال يقال لها جريدجون مرتفعة عن سطح المالح بقدر الف وخمسة واثنين وستين متراً ويسير اولاً من الجنوب الى الشمال بين جبال شامخة كانت قديماً بركانية ويمر على مدن وقرى وقلاع وله فيضان عنيف حتى انه يتسبب عنه في بعض الاحيان خراب البلاد كتيل مصر اذا فاض وينصب فيه من جهته خلجان كثيرة ويمر بثمانية عشرة من الجبال المحددة لواديه وله انعطافات كثيرة ويمر بثمانية عشرة مديرية ثم يصب في بحر يقال له البحر الاطلنطيقي ومن منبعه الى مصبه تسعمائة كيلومتر الصالح للملاحة منها الثلثان وارتفاع منبعه عن سطح المالح ستة وثلاثون الفا واربعمائة متر وليس عميقاً وارض قاعه رملية وجزوءه المنحط جسوره عالية لوقاية اراضي الزراعة وبها ايضاً نهر يقال له نهر الرين منبعه جبل سانجوتار ومصبه البحر الابيض المتوسط وارتفاع منبعه عن مصبه نحو الف وسبعمائة

فما ابطاء كما فاخبراه بتقابلها مع الخوaja موريس وما صنعه معها من توجهه معها الى الحكيم واخذه منه خطابا للحكام الاستباليات فقال لها الخوaja قد اصبتا وفعلتما فعل العقلاء ونحن الان متوجهون الى بستان النبات ثم امر بالعربة فركبوا جميعا الى ان وصلوا الى قصر الملك فقال الخوaja للشيخ هاهنا طريقان احدهما من وسط البلد من المحارات والاخر على شاطئ النهر ولكل مزية فايها احب اليك فقال الشيخ اظن ان الذهاب على شاطئ النهر اشرح للصدر واجلي للبصر فاشار الى السائق بتوجيه العربة اليه وكان بالطريق قنطرة فلما جاورها عدل بالعربة الى الشاطئ وقال الانكليزي ان البلدة التي سنسكنها هي بشاطئ النهر وبعدها من باريز يوم في البحر ونصف ساعة بسكة الحديد فخير الخوaja الشيخ بين النزول في البحر وركوب سكة الحديد فاختر طريق البحر لما فيها من الاطلاع على الفوائد الجمّة بخلاف سكة الحديد فلا يطلع معها على شيء فركبوا البحر في مركب تسر الناظر وتشرح الخاطر ثم ان الشيخ كلما التفت يمينا رأى منازل مشيدة وتحتمها دكاكين وخانات منظمة ملئت باصناف البضاعة وكلها التفت يساراً نحو النهر رأى اناسا كثيرين ما بين بائع كتب واوراق حوادث وبائع لعب اطفال ودفاتر سجارة وما يشبه ذلك منهم من وضع بضاعته على الارض ومنهم من هياها دكاكين من خشب واذا نظر الى البحر لا يرى الا مراكب صادرة وواردة لا يرى الماء من خلالها لكثرتها

اشهى واجود وما يلزم التنبيه عليه انه ينبغي سرعة تبريد البن بعد
التحميص بان يفرغ دفعة واحدة على رخامة وما اشبهها وذلك
لاجل ان لا يتنجس مقدار كبير من الدهن الذي هو السبب في جودته
ولذته وكذلك لا يصب الماء المغلي على المسحوق منه لئلا يتصعد
كثير من بخار القهوة وتضيع اكثر مزايها وللناس كلام في شرب
القهوة فمنهم من ذمها ومنهم من مدحها والانصاف التفصيل بحمل
كلام من ذمها على الاكثر منها وكلام من مدحها على التقليل
قال ابن الشيخ واختلف فيها ايضا علماء الشريعة الاسلامية
بالمجاز وعدمه والحق انها يعترها الاحكام بحسب ما يترتب عليها

المسامرة (١١٥)

الانهر

ثم انها تذكر الوقت المقدر لها فكراً راجعين فلما دخلا على
الشيخ والانكليزي قال لها الخواجا لقد تجاوزتما الوقت المقدر لكما

خشب او حجر فاذا جف دقوه بها فيخرج من جوزه ثم ينشرونه في الشمس ثانياً وهناك من يستعين على فصله من جوزه بالماء فيضعه فيه يوماً وليلة او يومين وليلتين ومنهم من يدشه بالرحى وبعد ذلك كله يجففونه ثم يضعونه في طرود وزنايل يجعلونها متباعدة غير متجاورة لئلا يتعفن البن بتجاوره فتقل جودته وتخبث نكهته وكذلك يفعلون في نقله الى الجهات والاقطار البعيدة

واما تحميمه وسحقه ووضع في الماء او صب الماء عليه وغليه بالنار عند ارادة شربه فمعلوم عند كل من يتعاطاه كل على حسب رغبته فمنهم من يباليغ في تحميمه ومنهم من لا يباليغ ومنهم من يسخنه في مسخن من فخار باآلة من خشب ومنهم من يدقه بمدقة من حديد ومنهم من يطحنه بيده في طاحونة ويتغير طعم القهوة ولذتها تبعاً لطرق التحميم والعلامات الدالة على جودة استواء تحميمه هي نقص الرائحة التي تظهر في مبدأ التحميم ونداوة الحب ولعانه وميله الى لون بين السواد والحمرة وبالتجربة علم ان الحبة بعد السواء يزيد حجمها بقدر الثلث وينقص وزنها بقدر الخمس واذا بلغت استواءها وسحقت في الحال صارت القهوة جيدة وكلما تأخرت نقص ذلك منها واذا مكث البن زمناً في المخازن ضاع كثير من مزايه وبن مخا تضعيع اكثر خواصه بعد سنتين واما غيره فينبغي ان يكون مكثه في المخازن سنة فان اقام اقل من ذلك كانت قهوته شديدة المرارة كريهة الرائحة وان بقي اكثر من ذلك كانت

وقد احصي البن المشروب سنة الف وثمانمائة وسبعة وخمسين
فبلغ ٢٤٠١٨٠٥٥٥ كيلوجراما في بلاد الانكليز والمشروب في
تلك السنة بعينها ببلاد فرانس ٢٧٠٩٨٥٦٠٠ فما بالك بغيرها من
بلاد الدنيا فانك لا تكاد تجد مدينة ولا قرية ولا حلة ولا كفا
ولا عزبة في الدنيا الا ولاهها اشغف بشرب القهوة الا انها لا يصلح
لزراعها ولا نمو شجرتها الا الارض البعيدة عن البحر المحفوظة من
هوائه المعرضة لجهة الشرق التي لا تزيد حرارة جوها على ثلاثين
درجة مئئية ولا تنقص عن عشر درجات وكيفية زرعها ان
تزرع الشتلة في ارض جيدة اولاً فلا تنبت الا بعد خمسة اسابيع
ثم تنقل بعد سنة او اربعة عشر شهراً فاذا نقلت جعل بين كل
شجرتين ثلاثة امتار ويخالف بين اشجار الصف الاول واشجار
الصف الاخر بحيث تكون شجرة الصف الاول مسامتة للمتصف
بين اشجار الصف الاخر ولا تثمر اشجاره الا بعد ثلاث سنين او اربع
ويلزم لها الاستمرار على الخدمة بالسقي والتنقية فانها تحتاج الى
شرب الماء كثيراً وما دامت مخدومة فلا تزال تثمر الى ثلاثين عاماً
او اربعين وزهرها وان كان لا ينقطع في اكثر السنة الا ان المعول
عليه زهر فصلي الربيع والخريف ولا ينضج الحب الا بعد سقوط
الزهر باربعة اشهر فاذا نضج جمع بالايدي وفي بلاد العرب من
يفرش له تحت الشجرة ثيابا او حصراً ثم يهزها فيسقط منها على الفرش
ما طاب فيجمعونه ويتمون تجفيفه في الشمس وله مدقات من

شجرة بن من مدينة أمستردام فاستنبتها فلما طلعت وازهرت ارسل
منها الى جزيرة مرتينيك ثلاث شتلات لتزرع هناك فبات اثنتان
منها في الطريق وسلمت واحدة فغرسوها فلما اثمرت اخذوا منها
وزرعوا فلما اثمرت اخذ منها اهل جزيرة جوادلوب وجزيرة سندومناك
الى ان ملأت اشجار البن اكثر بلادهم وصارت من انفس تجاراتهم
ولولا ذلك لعزت حبتها وغلت قيمتها

ولقد رأيت في بعض جرائد الحوادث ان المتحصل منه في
سنة الف وثمانمائة وخمسة وخمسين مائتان وخمسة وستون مليوناً
كيلوجراماً

وبيانه من بلاد البريزيلا مائة وثلاثون مليوناً ومن بلاد
جافا خمسة وخمسون مليوناً

ومن جزيرة سيلان اي سرنديب سبعة عشر مليوناً
ومن جزيرة هايتي ستة عشر مليوناً ومن جواترا خمسة عشر مليوناً
ومن كوبا اربعة عشر مليوناً ومن سومترا خمسة ملايين ومن
كوستاريكا مليونان ونصف مليون ومن جنوب مخا مليونان ونصف
مليون ومن جزائر اللاتي الانكليزية مليونان ونصف مليون ومن
جزائر اللاتي الفرنسية والمولاندية مليون ونصف ومن ماني
مليون واحد ونصف ومن بلاد افريقيا وغيرها ثلاثة ملايين
فترى البن اليمني وهو بن مخا قليلاً جداً وهو اطيب انواع البن
والذها واكثرها مادة

ايضاً اعتاد شربها وانكب عليها انكباً زائداً فكان من شدة حبه لها ونحن بمصر يطلبها قبل النوم ثلاث مرات فضلاً عما كان يشربه طرفي النهار ووسطه وفي كل مرة لا اقل من ثلاثة فناجين او اربعة فقال يعقوب فماله هنا ترك هذه العادة واقلل من شربها فقال سببه رداءة البن هنا وضعف نكهته بخلاف بن مصر فانه جيد مجلوب من اليمن ولا يرد اليها من بلاد الفرنج الا القليل ومن يشتري البن الفرنجي لا يقصد به الا الغش حتى ان من يعرف به من القهوجية عندنا يقف حال بضاعته

فقال يعقوب ان شجرة البن ايضاً عمّت بها البلوى في جميع الجهات وصارت من المكيفات التي لا يمكن الاستغناء عنها عند كثير من الناس وقد رأيت في كتب المؤرخين ان هذه الشجرة كانت معروفة عند اليونان والعبانيين وذكروا انها تنسب الى البلاد الحارة كبلاد الحبشة والعرب وانه لم يظهر استعمالها ببلاد المشرق الا سنة ثمانمائة وخمس وسبعين من الميلاد اي سنة مائتين واثنين وستين من الهجرة وان اول ظهورها كان باليمن ثم ظهرت ببلاد الهند ثم باوروبا ثم بامريكا ولم تظهر بايطاليا الا سنة الف وستائة وخمس واربعين ميلادية وبلوندره الا سنة الف وستائة واثنين وخمسين وبميسيليا الا سنة الف وستائة وواحد وسبعين وباريز الا في سنة الف وسبعائة وسبع وستين وفي القرن الثامن عشر ايام الملك لويز الرابع عشر اهدي اليه

اليه ويصرف ثمن ذلك على هذه الشجرة فانحك نصيحة اخ مشفق
ان لا تشربها ولا تقربها

المسامرة (١١٤)

البنّ

فقال ابن الشيخ اما الان فانا على يقين من كراهتها واما في
المستقبل فلا ادري ما يقدر عليّ واخشى ان طالت بنا الاقامة
هاهنا ان تغلب الموافقة على الطبع وتقلب المعاشرة الوضع ولقد
اخبرني والدي انه لم يتعاط النشوق الا للاستعانة على السهر في
طلب العلم ثم لما تمادى به الحال لم يمكنه تركه وكذلك القهوة فانه

وحجازي ويقولون ان العجبي احسن كيفاً من الحجازي والان شربه
بمصر على حسب درجات الناس رفاهية ورغبة فمنهم من يشرب
في نرجيلة محلاة بالذهب والفضة ومنهم من يتخذها مرصعة بالجواهر
ومنهم من يجعل انبوتها من القصب الفارسي ومنهم من يجعل لها
نريج (لياً) قد امسك بسلك من نحاس وفي طرفه قم من خشب
او عظم او كارم ومنهم من يكسوه بجوخ ومنهم من يكسوه بحريز
زرکش بذهب او فضة وكذلك الشبكات منهم من يتخذها من ياسمين
ومنهم من يشرب في عيدان من كرز ومنهم من يشرب في عيدان
من الجرمشق مكسوة بالحريز او غيره ويتخذون مباسم تسمى تراكيب
منها الكارم الصّرف ومنها الكارم المرصع بالجواهر كالملاس ونحوه
ومن المترفين من يكسوها بالحريز المنظوم في اللؤلؤ والمرجان كل
على حسب رغبته ودرجة رفاهيته سواء في ذلك الرجال والنساء
ومن اعناء المشرقين بشرب الدخان يجعل له بعض الاغنياء
خدمة خاصين به

فقال يعقوب اظن ان تولع المشرقين بالدخان واعنائهم به
هو السبب الاعظم عندهم في الاكثار من العبيد والخدم والجواري
ولقد طفت البحار وجبت القفار فهاً اجتمعت بقوم الا
وجدتهم يشربونه او يعضونه او ينشقونه فما قدر لي ان اتعاطى
شيئاً منه خصوصاً لما رأيته من حال رفعتي الذين يتعاطونه من
الفاقة وسوء الحال وربما كان بعضهم يبيع ثيابه وبعض ما يحنج

ثلاث مرات وتارة يكتفى بمرتين فيتكون عن ذلك نشوق على درجات مختلفة على حسب اختلاف الرغبة فيه ويقال ان تخميره وتكرار نقله ما يضعف مادته السمية فلا يحصل منه ضرر للمعاطيه وبعد هذه الاعمال كلها ينخل وكان اولاً ينخل بالايدي واما الان فبالآلة بخارية وبعد نخله يخزن في المخازن ثم يعرض للبيع

واما دخان المضع فعمليته اسهل من ذلك وهو جنسان عادي وخصوصي فالاول عبارة عن حبال تقبل من اوراقه بالآلة مخصوصة والدخان المستعمل في ذلك اقل جودة من الخصوصي الذي يتقى من جميع عوارضه ويجعل طبقات هذا اجمال ما يعمل في الدخان وان كان الخبر ليس كالعيان فهل له بمصر شان كما له هنا فقال ابن الشيخ وما شانه هنا فان غالب الناس بهذه البلاد لا يشربون الا السجارة وقل من يشرب في شبك وان وجد فقصير لا يزيد عن شبر وباليته من خشب بل من طين

والدخان الذي يشرب عندنا يجلب من الشام لا من هنا وهو نوعان صوري وجبلي وهو اطيب نكهة واذكى رائحة من الصوري وان كان الصوري اقوى منه نفساً فمنهم من يشرب كلاً على حدته ومنهم من يفرهما معاً وقد حدث الان نوع يقال له الكوراني يقال انه اقوى من الصوري وهناك دخان يقال له (حسن كيف) ولكن هذا لا يشربه الا حرافيش الناس واسافلهم وهناك نوع يشربونه في النرجيلة يسمونه التنباك وهو نوعان عجيبي

الى اخبار النوع الموافق ثم يفرم ناعماً ثم يوضع في مخازن كيماناً ارتفاع كل كوم نحو اربعة امتار وعرضه الف كيلو جرام ويترك هكذا نحو ثلاثة اشهر الى ان يخبث وتبلغ درجة حرارته من ستين الى ثمانين درجة ويتصاعد منه البخار شديدة الرائحة غير معلومة يظن انها نشادرية او نيكوتية وهي المادة السمية التي ذكرها الحكيم واقواه تخميراً ما كان في الزوايا وتحت السطح الاعلى بنصف متر واقفه تخميراً ما كان على بعد متر من القاعدة ويكون معدوماً في القاعدة وللجو دخل في تخميره واستوائه فيتقدم ويتاخر على حسب درجة الجو حرارة وبرودة فاذا اشتدت الحرارة في الكيان جعلت اكواماً صغيرة لئلا تحترق وتثبت حرارته بعد خمسة اشهر او ستة وبعد ذلك ينقلونه من مواضعه بعامل معتادين على ذلك لانه يقوم له رائحة كريهة ودخان كثير في ذلك الوقت وبعد تمام تخميره يسحق في طواحين مخصوصة ثم يخبث ويسحق ثانياً وثالثاً فيصل الى الدرجة المرغوبة في النعومة ويكون قدر الرطوبة فيه ثمانية عشر في المائة ثم يوضع في مخازن غير الاولى ويكبس فيبقى هكذا نحو عشرة اشهر لا يصل اليه هواء فتعود له الرائحة والدخنة والحرارة فان خيف عليه من تاثير الحرارة نقل الى مخازن اخرى ولا يخفى ما في هذه الاعمال من الصعوبة على العمال فانه بسبب نعومته يمتلي منه فراغ المحل فيدخل في العين والانف والحلق فيحصل منه لهم مضايقات شديدة وغالبا تكون ثقلاؤه

بعض بعد جفافه ويضغطونه ضغطاً قويا ويكبسونه كبساً
شديداً ويجعلونه بالات لثلاً يكون حجمه كبيراً ثم يبيعونه كذلك
او يرسلونه الى الفوريات ولهم فيه هناك ثلاثة اعمال الاول
فرزه وتنظيفه والثاني تنديته بالماء المالح لاجل تليين الورق وعدم
تعفنه والثالث تنقية جدوره واضلاعه الكبيرة منه والتندية تكون
في مخازن مبلطة بالحجر ومنقسمة الى اقسام فيوضع الدخان
فوقها طبقات قليلة السمك ولهم في تنديته حساب على حسب ما
يريدون ذلك انهم يسخنون له ماءً مالحةً ويجعلون تسخينه درجات
بحسب اجناسه فيضعون على كل مائة من دخان الشوق واحداً
وعشرين من الماء المالح الذي تكون حرارته في الدرجة الثانية
عشرة وعلى كل مائة من دخان المضغ عشرين وعلى كل
مائة من دخان السجارة ثمانية وعلى كل مائة من دخان
الشرب ثمانية وعشرين من الماء الذي حرارته في سادس
درجة

وانواعه من حيث الاستعمال اربعة الشوق والمفروم والمضغ والسجارة
فاما دخان السجارة فتستعمل فيه النساء تفلت المرأة بين اصابعها الاوراق
الصغيرة وتكسيها بورقة خالية من التقطيع والجدور واما دخان
الشرب فيفرم بالآلة بخارية ثم يجفف بوضعه في صفايح محبوبة ثم يمر عليها
بخار حار ثم اقل منه حرارة ثم يجعل ربطاً صغيرة من عشرة كيلو
الى خمسة اعشاره واما دخان الشوق فعمليته اصعب لانه يحتاج

النيكوتين ينزل الى النصف الثاني ومن اراد ان يشربها بتمامها
فليخذ له فنا من كارم او عظم او عاج ويتجنب شرب سحابة شرب
بعضها وتركت زمناً وذلك لانه يقال ان مادة النيكوتين فيها
حيثذ كثيرة فكذا تكون في المرة الثانية مرة عن المرة الاولى
وقد ذكرنا ان طوال الشبكات والدرجيات احسن من
قصارها وارداً الشبكات ما اتخذ من الطين لان تلك المادة اسرع
فيه وصولاً الى الفم منها في غيره

فقال موريس للحكيم انا اكثرنا عليك واشغلناك عن مهماتك
وقد افدت واجدت واني كنت قد وعدت اصحابنا بان اخذ
لم من حضرتكم تذاكر يدخلون بها الاستباليات فقام مسرعاً
وانجز وكتب لبعض حكماء الاستباليات خطاباً اطلب فيه في
الوصاية بهم فاخذوه وقاموا فلما استاذنوا للقيام قال لابن الشيخ
اني وان لم اكن عربياً لكني محب للعرب لاسيما المصريين واود
ان ارى والدك فائتي ابن الشيخ عليه خيراً وشكره على ما استفاده
منه ثم ودعوه وخرجوا فلما استقاموا في الطريق قال ابن الشيخ
ليعقوب ليتنارينا معامل الدخان فقال له ذلك امر سهل الا
ان الوقت قد ازف فان ميعاد الرجوع قبل الزوال فقال له
وهل سبق لك دخولها قال نعم ولكن في غير هذه البلاد والطرق
كلها واحدة وقد رايت الذين يزرعونه يعتمنون به اغناء زائداً
وبعد حصاده يخلصون ورقه من حطبه ويضمون بعضه الى

حتى ان الدولة العثمانية وجميع اهل الثروة والرفاهية قد جعلوا له
 غلمانا من خواص خدمهم وسموهم التنجيمية نسبة الى التن اسم للدخان
 غير عربي

فقال ابن الشيخ قد يقرب من تايدك في الدخان بيتان احفظهما
 لبعض العلماء وقد عيب عليه شرب الدخان قوله
 لقد عيرونا بالدخان وشربه

فقلت دعونا اذ له الامر احوجا

لانا رأينا الهر في قاع صدرنا

كهيئا فدخنا عليه ليخرجا

فقال الحكيم قد اصاب القائل ورايت ان بعض من ابتلي
 به من الكياويين استحسن استعماله في الشبكات الطويلة ليبقى
 النيكوتين في المواضع الباردة من العود بخلاف الشبكات القصيرة
 فان تلك المادة تكون قريبة من الفم وكذلك استحسن شربه
 جافا ونهى عن استعماله مبتلا قال لان النيكوتين في الحالة
 الاولى يتحلل بالحرارة بخلاف الحالة الثانية لان الرطوبة تمنع استحالته
 فيكون مع البخار ولذا نرى من يشربه يتأثر من المبتل اكثر من
 الجاف ثم قال ويجنب تعاطيه على الريق وقبيل الأكل ويغسل
 الفم بعد شربه اما بالماء الخالص او الممزوج بتقليل من
 ماء الملكة

وينبغي لمن يشرب السجارة ان لا يتجاوز نصفها لان جميع

وخلل انتظامها وضعف الفكر وارتعاش الايدي واصفرار اللون
 وسواد الاسنان وزرقة الشفتين وفتور الاعصاب
 والثالثة مضغه وذلك بوضعه تحت الاسنان فيخرج من الضغط
 عليه مادة لذاعة تختلط باللعاب وتدمي اللثة وقال بعض الحكماء
 انه ينقص العقل وليس كذلك وانما يتخلف من مضغه نكهة
 خفيفة تزول بالضمضة الا انه يضر باللسان وبالاسنان لاتلافه
 ثوبها الظاهر المحافظ لها ويضر بحاسة الذوق وربما آل الامر الى
 فقده وبلغ عصارته اشد ضرراً وقد رايت رجلاً من الملاحين
 في الم شديد وتشجات بعد بلع مضغته وكان يقيء ويتأب كثيراً
 فخلصته من ذلك بعد زمن ولو تتبعنا ما قالوه في الدخان نفعا
 وضرراً لاتسع المجال فمن ذلك انهم يقولون انه يسرع الهضم وانه
 امان من داء الاسكوربوت ووجع الحلق وانه مفسد للعقل ولكن
 ليس ذلك في جميع احواله بل متى كان تعاطيه في الهواء الخالص
 من غير افراط فلا ضرر منه سواء كان شرباً او مضغاً او استنشاقاً
 ومن المعلوم ان استعماله في جميع الجهات وانكباب الناس
 عليه علامة على انه مخفف للهموم والوحشة وانيس في العزلة
 ومساعد على تحمل مشاق الفقر والفاقة فلذا ترى اهل الصحاري
 الواسعة وسكان الجبال الشامخة وارباب الاعمال الشاقة والافكار
 العالية مشتركين في تعاطيه فحينئذ لا يطلق القول بمدحه او ذمه
 ولا عبرة بما قاله الكيماويون وبرى المشرقين لا يفارقون الشبوق

فوائده ان من تعود عليه خف نومه وامن من الصداع ووجع العين والاسنان

الثانية شربه في السجاره يكثر اللعاب ويعقب ذلك التخدير وضعف الهضم وربما حصل منه استفراغ ودوخان فان تركه متعاطيه زال ذلك بعد زمن يسير وان رجع اليه رجع كل ذلك وهناك اشخاص لا يمكنهم تعاطيه اصلاً

ومن المشاهد ان من اكثر منه تشقق سقف حلقه وقال بعضهم ان شربه يورث لنا في الغشا اللعابي في الشفة واللسان وانتفاخا خفيفا في الحلق ترشح منه مواد مضره تهيج طاقات الانف فتارة تسقط في الحنجرة وتارة تخرج من الانف مخاطاً قدرًا وقال بعض الحكماء ان شربه يوءثر في العينين ويهيجها اكثر من تهيجها من دخنته في الخارج ولذلك يرى شارب الدخان عقب قيامه من النوم دمع العينين محمرها ويمس فيها بجمرة والمكثرون منه يحسون بالحم في جباههم والمكثرون من البصاق تضعف عندهم قوة الهضم والتغذي وبعضهم يقول انه يحصل من مائه الخنلط بالدخان المتلع التهاب وتهيج للمعدة وقد شاهدت بعض المرضى لا يستقر الطعام في جوفه وكان ممن ابتلي بشربه فيتعاطى سجارات كثيرة بعد الاكل فنهيتة عنه فبريء

ومن آفاته عند المكثرين منه تأثيره على الحنجرة والرئتين فينشأ من ذلك غلظ الصوت والسعال ونقص ضربات القلب

وأما الدخان المصري فلا اعرف قدر متحصله فقال ابن الشيخ
هذا النوع يزرع عندنا كثيراً الا ان عوده قصير وورقه صغير
ولا يشربه الا الفقراء ونحوهم من اهل القرى وقد ظهر الان عندنا
نوع يشرب في النرجيلة يسمونه التنباك يقولون ان في شربه فوائد
فقال الحواجبا موريس انواع الدخان كثيرة واخلافها
باخلاف البلاد التي تجلب منها فالذي يجلب من بلاد الفلمنك
مقبول في الشوق لمرارته والذي يزرع ببلادنا لا حصر لانواعه
فمنه ما يكون ورقه عريضاً ورأئحه كرائحة جوز الهند ومنه ما
يكون ورقه طويلاً قليل العرض ورأئحه كرائحة النوشادر وهو ما
ينبت في الجهات الشمالية من المملكة ومن الوارد من الجهات الاجنبية
ما يكون له رائحة طيبة مثل دخان هوانا والورجيني وغير ذلك
فقال الحكيم قد كثر كلام الحكماء قديماً وحديثاً في شرب
الدخان فمنهم من يقول بضره ومنهم من يقول بعدم ضرره
والذي اقول به انه لا يخلو من فائدة وانما يجيء الضرر من
الافراط في تعاطيه

وكيفيات استعماله ثلاث الاولى الاستنشاق به ويحصل منه
تهيج للغشا المخاطي ويكثر افراز المواد المخاطية ويكثر العطاس وربما
حصل من قوة العطاس تمزيق لبعض الاغشية ويحدث رعافا
ويحول قبة العين والاكتار منه ربما يذهب حاسة الشم ومن

نفس وانه يستخرج من تلك الفوريات في كل سنة من ذلك
الصنف ما ينوف على ثمانية وعشرين مليوناً من الكيلوجرامات
وان ايراد الحكومة من ذلك في تلك السنة نحو مائة وثمانية وسبعين
مليوناً من الفرنكات فانظر ما بين وقتنا هذا وبين زمن لوزير
الثالث عشر الذي منع في ايامه شرب الدخان وبيعه الا للاجراخانات
وتوعد كل من باعه لغيرها او شربه بالعقاب الشديد وكان ذلك
في سنة الف وستمائة وخمس وثلاثين

واما المتحصل منه ببلاد النمسا فيقرب من سبعة وثلاثين
مليوناً من الكيلوجرامات وكله يرد الى الحكومة لانها هي المتصرفه
فيه دون غيرها كما هو جار ببلاد فرانس فتشتره من الاهالي بنحو
مليون ونصف من الفرنكات وتجمعه في الفوريات وتصنع به ما
يلزم له ثم تبعه على ذمتها وقد اتسعت زراعته في ارض البروسيا
حتى بلغت فورياته الان بها نحو سبعمائة وعشر فوريات وفيها
من الشغالة خمسة عشر الف نفس وبلغ قيمة ما يخرج منه كل
سنة من بلاد الايتازوني من الامريقا ما تبلغ قيمته نحو مائة مليون
وعشرة ملايين من الدولار والدولار عبارة عن خمسة فرنكات
وقد احصوا ما يخرج من جميع كرة الارض من هذا الصنف
في كل سنة فوجدوه يقرب من اربعمائة وخمسة وتسعين مليوناً من
الكيلوجرامات من اسيا مائة وخمسة وتسعون مليوناً ومن اوربا
مائة واربعون ومن امريقا مائة وثلاثون مليوناً ومن افريقيا اثني

والصين والامريقتين وجزائر كثيرة من جزائر المحيط وقد رأيتهم
حين سياحتي بامريكا الشمالية يتخيرون لزراعتها اطيب الارض واقواها
واكثرها زبداً واكثرها رياً ويسخونه بقدر وافر من السباح وفي
بعض الجهات يزرع في الارض التي نزل عنها ماء النهر لانها
تكون مغطاة بطبقة من الطمي تشمل كثيراً من البوتاص وفي
اخرى يزرع بسفح الجبال في ارض مخصوصة واوان زرعه عندهم
شهر مايه الفرنسي ويزرع سنوياً وزهره تارة يكون احمر وردياً وتارة
اخضر وتارة ازرق فاذا بدا صلاحه واصفر ورقه جمعه شيناً فشيئاً
وجففوه بالثائه على الارض مدة ثم يجمع ويكمل تجفيفه تحت ستائف
ثم يربط حزماً ويباع بهذه الصورة ورأيت في اطرافه ابراجاً وفيها
بذره فاذا نضج وتم صلاحه اخذوه وحفظوه الى اوان زرعه فيبذرونه
في الارض بالثقرة وكية التقاوي لكل ثلاثة عشر متراً ملعقة صغيرة
ويصبرون عليه نحو شهرين ثم يملعونه ويتلونه للارض التي تخيروها
له ويسمى المتقول قبل نقله زريعة وبعد نقله بلغة اهل الفلاحة
شتلاً ومن العادة انه قبل جمعه بستة اسابيع يقشر ورقه القريب
من الارض الى ارتفاع قدم وفي بعض الجهات يصل ارتفاع النبات
منه الى مترين او قريب من ذلك

ورأيت في بعض اوراق حوادث سنة الف وثمانمائة وتسعة
وخسين ان بفرانسا اربعة عشر فوريقة باسم الدخان خاصة موزعة
في مدينة باريز وغيرها وان بها من العمال نحو خمسة عشر الف

ومرحلة تخمئة ثم غين معجمة واحفظ لبعضهم بالنسبة لاسم
التبغ شعرا

بدت في سبأ الطب نرمة وامق

فدان لها طوعا شعاع الشوارق

فتاء وباء ثم غين هجاؤها

فدونكها نفاة للخلائق

الى ان قال

لها قوة تنفي قوي كل باع

وتذهب بالصفراء في ملح بارق

ونذهب اخلاط الدماغ بشها

وتفتح للسوداء باب الخوانق

وفيها شفاء للسوم جميعها

وافعالها في الهضم فعل الخوارق

وفيها دواء لست احصره

وكم حكمة فيها وكم من مرافق

فقال المحكم بعد ان سمع ترجمة هذه الابيات قد كاد الناس
يعتقدون في مبدأ امره انه علاج لامراض شتى وليس الامر الان
كذلك فقال موريس ان هذه الشهرة كانت السبب في الاكثار
من زرعه والان صار يزرع كثيرا بمملكة فرانسوا ومملكة البرتغال
وبلاد المغرب والامانيا والنمسا وبلاد الموسكو وارض مصر والشام

فقال الخوجا موريس للناس في استعمالها كيفيات منهم من يدقها ويستنشثها ومنهم من يقطع ورقها قطعاً ثم يمضغها ومنهم من يفرمها ثم يشربها في شبكات ومنهم من يلفها سجارات ثم يشربها وبالجملة فلو تتبعنا اهل الارض لوجدنا من يتعاطاها اكثر ممن لا يتعاطاها الا ترى اهل اوروبا واكبايم عليها مع انهم لم يعرفوها الا منذ قرنين اي بعد القرن السادس عشر وقيل ان بذرها اهدي الى الملك شركان سنة الف وخمسة وثمانية عشر وانه لم يزرع بارض البرتغال الا سنة الف وخمسة وثمانية وخمسين ولا بارض فرانس الا سنة الف وخمسة وستين والذي جلبها اليها سفيرها بالبرتغال وذلك ايام الملكة كاترين دوميديسي فلما زرع واهدي منه اليها اشتهر واتبعته الخلق واخترعوا له فوائد حتى قالوا انه شفاء من كل داء

فقال ابن الشيخ قرأت في بعض التواريخ ان اول دخوله في ارض الدولة العلية كان في سنة الف وستائة وخمس للميلاد زمن السلطان احمد القانوني جلبه الفرنج الى القسطنطينية فتعلم الناس شربه وتولعوا به فافتى المفتي بعدم جواز شربه فهاج الناس وماجوا ولم يلبثوا الى الفتوى واستمروا على شربه فلم يشدد عليهم بعد ذلك وفتى امره حتي صار الان يشربه النساء والرجال

وكما تسمى تلك الشجرة الدخان تسمى ايضا التبغ بمشاة فوقية

فقال ابن الشيخ الحمد لله الذي انعم عليّ بوالدي الذي رباني على عدم استعمال الدخان حتى نشأت على كراهته فلا طيق ان اشرب منه مصة واحدة فقال الحكيم عهدي بالشرقيين انهم يشربونه ولم به ولع زائد فقال ابن الشيخ نعم الا ان شربه ليس محموداً

فقال يعقوب رايت في بعض الكتب النهي عن شربه ويقال ان به مادة سمية تضر بالصحة وربما ادّت الى الموت فقال الحكيم ان الكيماويين بعد امتحانه قالوا ان فيه مادة سمية تسمى النيكوتين وهو مائع لالون له متى كان في انايب مقفولة ويتلون باللون السنجابي اذا لامس الهواء ورائحه كريهة وطعمه لذّاع ويكون في الدخنة التي يتلعمها الانسان وهي من السميات الشديدة وان قال بعضهم ان هذه المادة انما طرأت له من الاعمال التي تعمل فيه بالمعامل فليس الامر كذلك بل هي من نفس النبات وتلك المادة في دخان النشوق اكثر منها في الدخان المشروب كدخان السجارة والذي اعلمه ان هذه الشجرة وان عم الارض زرعها وكثرت في المالك ريعها لم تظهر ببلادنا الا بعد القرن السادس عشر من الميلاد واظن انها كانت موجودة عند الامريقيين من قديم الزمان ويؤيد ذلك ما قالوه من ان كرستوف كولمب ارسل بذرها من بلاد الامريقا وقت استكشافه لها الى بلاد البرتغال فزرعوه ومن ذلك الوقت صارت تكثر شيئاً فشيئاً الى الان

المسامرة (١١٢)

التبغ

وفي جولانهم بين العنابر شاهدوا مريضاً قد أضناه المرض ونهك
 جسمه وكساه ثوب الخمول والصفرة وهو باهت محمر العينين وله
 انين وتشنجات شديدة تكاد تفضي به الى العدم ورأوه يكثّر من
 التثاؤب والقهي فامعن ابن الشيخ النظر اليه ورق لحاله وبعد ان
 طافوا بالمحل كله رجع بهم الحكيم الى محله فلما استقر بهم المجلس
 سال ابن الشيخ عن مرضى هذا المريض الذي لم يغرب عن باله
 لما رأى من سوء حاله فقال الحكيم ان اس مرض هذا الرجل هو
 استعمال الدخان فان له انكباباً زائداً على مضغه فتولد له منه هذا
 الداء العضال

الألتروج المرضى وتسليمة افتدتمهم عمّا بهم من الالام واثار الاسقام
ورأينا ان من دبت فيهم القاهة والصحة يتمشون بين الأشجار مقبلين
ومدبرين وحول الحوض مصاطب وكراسٍ يجلسون عليها وفي
دائر ذلك الحوش عنابر المرضى وعددها ستة في كل عنبر اثنان
وثلاثون سريراً وفي اخر كل عنبر ادبجانه ومحل للخدمة الذين
يقومون بمصالح المرضى وبين كل عنبرين فضاءً ظلل بالشجر لاجل
تنزه المرضى وعدم سريان الامراض من عنبر الى اخر وفي الصلح
الاصغر من الحوش حمام وكنيسة ومحل لغسل ثياب المرضى وتغسيل
من يموت منهم وعند باب الدخول محال الحكماء والادارة والكتبخانه
وغير ذلك فكانوا كلما مروا بعنبر عرفهم الحكميم بمن فيه وبالداء
وبالدواء الذي يناسبه

فقال اذا كان مقصود كما ذلك فما انا متوجه الى استبالية لرببوا زير
لزيرة حكيمها فان شئنا انهنما فرصة رؤيتها ويكون ذلك داعياً
للاطلاع على المستشفيات الموجودة في مدينة باريز والمارستانات
بمساعدة حضرة الحكيم صاحبنا

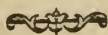
فقال يعقوب هذا الرأي اوفق ووافقه ابن الشيخ فساروا
جميعاً الى ان وصلوا الى باب الاستبالية فشد الخواجا زراً من
النحاس الاصفر مثبتاً في الحائط بقرب الباب فحرك جرساً عند
مجلس السواب فجاء وفتح الباب وادخلهم واجلسهم في محل معد
لمثل ذلك ثم قال الخواجا موريس للباب اريد زيارة الحكيم
واعطاه تذكرته كما هي العادة عندهم فذهب من فوره ثم رجع يقول
ان حضرة الحكيم ينتظركم فقاموا جميعاً الى محله فقابلهم من الباب ثم اخذ
بيد الخواجا موريس وسأله عن معه فعرّفه بابن الشيخ ويعقوب
فرحب بهما وحياهما ثم طلب لهم كرسي وقهوة فجلسوا وشربوا وبعد
لحظة قال له موريس نريد ان نرى الاستبالية فقال حباً وكرامة
وقام وادخلهم حوشاً متسعاً مستطيل الشكل فيه شجر قسم تقسيماً
حسناً الى ثلاثة بساتين في البستان الوسط منها حوض ماء في
وسطه فوارة تقذف الماء الى ارتفاع عظيم فتسمع لها نغمات لطيفة
تشبه نغمات الموسيقى ناشئة عن اختلاط صوت الماء في نزوله في
الحوض مع صوت عبث الرياح بنصون الاشجار وتغريد الاطيار
فقال يعقوب يخيل لي انهم ما اخناروا هذا الموضع الجميل الحسن

المسامرة (١١٢)

المسنفي

فقال له ابن الشيخ اللذة في التنقل فالى ابن نذهب فقال يعقوب المنتزهات في هذه المدينة كثيرة ولم يتر الا القليل منها وبينهما يتشاوران فيما يذهبان اليه منها اذا بالخواجا موريس الذي كانوا بمنزله منذ ايام دخل عليهما والتي عليهما التحية فرحبا به ثم خص ابن الشيخ بالتحية وسأله عن والده ثم قال له ان حضرة الشيخ وعدني بالزيارة وقد ازداد شوقي اليه فهل يمكن الان الاجتماع به لاسلم عليه فقال له اما شوقك اليه فبعض ما عنده واما مقابلته فهو في غرفته فقال لا بد لي من زيارته لاحظى بمفاكحته ومشاهدة طلعه فاين تذهبان فقال له الى منتزه من منتزهات المدينة

ببلاد فارس بقرب مدينة باكو وفي ضواحي بحر الخزر وفي بلاد
 ايتاليا في مواضع كثيرة منها وفي جزيرة سيسليا وهي صقلية وفي
 فرانسوا في موضع واحد بالقرب من قرية جايبو ولذا يسمونه زيت
 جايبو ولا يوجد الا بجوار المياه المعدنية الحارة وقد يختلط بها
 فيطفو على وجهها كالزيت في الحيطان الطبيعية او الصناعية
 فيجمعونه ويضعونه في الاواني ويتجرون به ويخرج بالقرب من
 قرية باكو من بلاد الفرس بخار من الارض تستعمله الاهالي
 في تسوية الطبخ وذلك الزيت يستعملونه عوضا عن القطران
 وفي الاستصباح والمشرقيون واهالي ايتاليا وجنوبي فرانسوا ينسبون
 له خواص طبية فيعملون منه جباير للجروح وللامراض الروماتسية
 وفي الباطن يقتل الديدان وغيرها ولكن بعد تصعيده مع
 الماء والنتاج من هذه العملية هو المسمى عند التجار بزيت النفط
 ويدخل ايضا في اشيا كثيرة من الصنائع ولا يفسد بطول المكث
 وله حرارة شديدة وضوء عظيم ويعسر اطفاءه ورائحته كريهة
 ودخانه كثيف واما كيفية الاستصباح به فقد ذكرها الخواجا فلا
 حاجة الى اعادتها



الثاني وهو مالت ويقال له القار الجبلي اسود اللون ولينه وصلابته
على حسب حرارة الجو ولا يجمد الا في اوقات البرد واذا عرض
لحرارة الشمس لان وامتد على سطح الارض ومتى بلغت
الحرارة ثمانين درجة صار مائعا وهو كثير الوجود بارض فرانسا
والانكليز وغيرها وقد يخرج في بعض الجهات تقياً من ثقب
في الصخر كالعيون فتتلقاه الناس بجاريف وقد يوجد في بعضها
مخلطا برمل او تراب فاذا اردوا تخليصه قطعوه بارضه ووضعوه
في قدور مملوءة ماء واوقدوا تحتها حتى تغلي فيرسب ما خالطه
ويطفو هو فوق الماء فيؤخذ بملاقق ويعمل قوالب كل قالب
نحو اربع اوقات ثم يضعونه في براميل وهذا النوع يدخل في
امور كثيرة كالالوان والولانشر ويطلق به الخشب والحبال التي
يراد استعمالها في الماء لاجل حفظها وقد كثر استعماله الان حتى
استعملوه في الطرق بجوانب الشوارع بمزجه بحصى ورمل فيتحصل
عنه مونة تستعمل في ذلك عوضا عن تحجيرها وكذا في بريقة
سطوح المنازل وظهور القناطر وتبليط الحارات عوضا عن الحجر
والبلاط فانهم وجدوه في كل ذلك اقل كلفة من التحجير واكبر
فائدة وقد بلغ ما يستخرج منه الان بارض فرانسا في كل عام
نحو ثلاثة ملايين اقة وقيمة الثمانين اقة منه تقرب من نصف
فرنك واما النوع الثالث وهو الزيت الحجري او البترول وهو
المسمى بالنفط فهو مائع لزج طيب الرائحة احمر اللون ومعدنه

والجبس ومنابع المياه الحارة المعدنية وزعم اخرون ان
 اصله حاصل من المواد الفحمية بفعل شديد اثر فيها
 فعزله عنها كما ان اصل الغاز من الفحم الحجري وليس للغار
 بانواعه جهة مخصوصة بل يوجد في جميع بقاع الارض انما
 منه ما يكون على السطح ومنه ما يكون قريباً منه وفي بعض
 الجهات موجود منه طبقة عظيمة المقدار يؤخذ منها من زمن
 مديد الى الان وهي لم تنفذ ولعل له مدداً وان كما لا نعرفه وبالجملة
 فانواعه ومواضعه كثيرة وان كان المشهور منه في التجارة ثلاثة
 انواع كما ذكرنا قار الموميا ويقال له قار يهونا او اسفلت وقار
 مالت والزيت الحجري ويقال له باللسان الافرنجي بيترول فالنوع
 الاول جامد بطبيعته واذا كسر كان شبيها بالزجاج ولا يذوب
 الا بحرارة شديدة تفوق درجة الغليان ويوجد في شواطئ بحر
 لوط ابي الجبيرة الميتة فاذا صعد من قاعها شيء على سطح الماء
 وتراكم قذف به الريح الى الشاطئ ويكون في اول الامر لينا ثم يجمد
 بالهوا ويجمعه الناس ويتجرون به ويخرج ايضا من جزيرة
 بجزائر اللاتي ولكن ما يستخرج من بحر لوط اجود منه وكان
 قدماء المصريين يستعملونه في حفظ اجسام موتاهم من البلى
 فيغمسون فيه قطعاً من قماش ثم يلفون فيها موتاهم وهذا المعدن
 يوجد ايضا باوروبا الا انه قليل الاستعمال فيصنعون منه شعماً
 اسود تختم به ظروف المكاتب وطلاً اسود يسمى باسود الموميا والنوع

الخوaja في انتظارها فاكلوا جميعا وبعد الاكل اخذ ابن الشيخ بيد يعقوب وخرجا ثم انعطفا على غرفة يعقوب وكان في نفس ابن الشيخ كلام ما سمعه من الخوaja حين كان يتكلم على الغاز ومواد استخراجها وكيفية الاستصباح به فقال ليعقوب خطر بيالي ان اسال الخوaja عن القار الذي تطلّى به السفن فاني رايتّه حين كنت بمصر ولكني لا اعرف من اي شيء يستخرج ولا من اي جهة يجلب

فقال يعقوب ان القطران والترابنتين مواد راتخية تستخرج من الشجر ما عدا القار فانه من الارض وهو ثلاثة انواع نوع صلب ونوع مائع ونوع بين ذلك فالاول يلين بالحرارة ويناع اذا وصلت الحرارة لدرجة الغليان واما الاخير فيكفي لميوعته ادنى حرارة وتلك المادة بانواعها يخرج منها زيت يقال له زيت معدني فاذا تكرر تصعيده صار ثقيا وصلاح للاستصباح به وما بقي بعد التصعيد تارة يكون مادة فحمية وتارة يكون مادة لزجة لينة والثقل النوعي لتلك المادة يقرب من ثقل الماء ولذلك اذا اجتمع معه طفا على ظاهره او قريبا منه وله رائحة تخصه لا تظهر الا عند العرض على النار ومن خواصه انه اذا احرق لا يتخلف له رماد بل تاكله النار جميعه والجماد منه لا يدخل الماء في مسامه ولا يفسد خواصه وهذه المواد تذوب في الكوئل وزيت الترابنتينة ولا تذوب في الماء وزعم بعضهم ان هذا المعدن مركاني مكون بين طبقات الصخور التي تكوّنت قديما ويكون في الغالب قريبا من معادن الكبريت

المسامرة (١١١)

القار

ثم استأذن الخوaja من الشيخ في القيام فاذن له وشيعه ثم رجع وتوضا
وقضى ما عليه نفلاً وفرضاً ولكنه لم يتم تلك الليلة فدخل عليه ولده
فقال يا بني قد سئمت الإقامة هاهنا واودّ ان نكون خارج البلد
وقد تكلمت مع الخوaja في هذا الامر فاستحسنه فاذا تقول فقال له
ولده الرأي ما رأيت انما اخشى ان يكون المحل بعيداً فيشقى عليكم
الحضور الى الدرس فقال له ان هو الا يوم في الاسبوع ومع ذلك
لم يصرف الخوaja نظره عن هذا المكان بالكيفية فان شئنا اقمننا هناك
وان شئنا اتينا هنا فقال له ولده متى يكون ذلك فقال لم تنفق
فيه على وقت ويغلب على ظني انه يكون غد الا انا متفقون على ان
نذهب بعد ظهر هذا اليوم الى بستان النبات فرأى ابن الشيخ
الوقت واسعاً فقال لوالده اتأذن لي ان اخرج مع يعقوب الى ان
يجيء الوقت فقال له لا مانع ثم قاما ودخلا مكان المائدة فوجدا

كثر العلم والمال وبالتدريج الثاني حصل الفشل والتباغض بينهم
 وصارت الامة على قسمين حاكم ومحكوم فتخصص الاول بالمزايا
 والرتب وتحصيل الاغراض والشهوات وانساق القسم الثاني في
 طريق الذل والقهر وتجرد بالتدريج عن مزايا الشرف حتى كاد
 يلحق بالحيوان البهيمي الذي يتصرف فيه مالكه من غير ان يكون
 له اختيار ولا يشك احد ان ذلك اكبر اسباب التقهقر فستان ما
 بين زمان اقيمت فيه الشعائر واستنارت منه البصائر وكثرت فيه العلوم
 والمعارف وزمان تعطلت فيه الاحكام وتباغض اهل الاسلام
 واندرست فيه العلوم ولم يبق من الاحكام الا الرسوم والكلام في
 هذا المعنى طويل وفتح بابيه الان لا يفيد

الائتلاف بين الامة وتفرقت طبقاتهم بتفريق قلوب الائمة فسار كل فريق على حدته وترك كل منهم موجبات ثروته فاجب ذلك فقر الجميع وضعفهم وبما داخل كبراءهم من الطمع حصل بينهم التباغض والعدوان وكثر التحاسد والحرمان وظهر از ذاك التمدن الاسلامي الجديد واظن ان ابتداء ظهوره كان في زمن العباسيين ويمكن تعيين ابتدائه بخلافة المأمون وذلك انه اكثر من شراء المالك ثم قلداه المناصب العلية وامرهم على اشراف الامة الاسلامية فكان المالك هم اصحاب المحل والعقد وفي ذلك توسيد الامر الى غير اهله وتولية السفهاء امور الكرماء فحدث النفور والتباعد بين الناس ثم قويت شوكة المالك حتى تعدوا على الخلافة نفسها فاستوجب ذلك ازالتها وتفرقت الكلمة الاسلامية واحقرت الاحكام الشرعية فاخذ العلم في التقهقر وقل اهله لفقده ما كان له من المزايا واستمر تأخير رجال الفضل من الائمة وتقديم من لا خبرة له بالشرع ولا بتدبير احوال الامة وتصور التمدن الاسلامي بغير صورته الاصلية فان اصله كان مؤسساً على العلم والعدل اللذين هما اكبر دعائم الدين

واما التمدن الذي قام مقامه فاساسه البغي والظلم وقهر العباد فباتمدن الاول كان اجتماع طوائف الامة بالرضى والاختيار لما كانت تستمد منه من الفوائد التي تعم الجميع والافراد من جليل وحقير فكانت الناس منجذبة اليه بالطبع فكان ينمو بالتدرج حتى

واعلى في الخافقين رايهم

وبسبب ما كان لاهل العلم من الشرف والاحترام بين
 الخاص والعام رغب الناس في تحصيله وجدوا السير في سبيله
 حتى اتسعت دوائر وعلت في جميع البقاع منابره واستنارت به
 بصائر العباد وانصلح به امر المعاش والمعاد اذ بدكرته لم يكن قاصراً
 على الاحكام الشرعية والفنون العربية بل تعدى ذلك الى جميع
 ما تلزم معرفته لعموم مصالح العباد وعمار الاقطار والبلاد فقد بذل
 العلماء الجهد في كل علم والفوا اسفار الكتب في فنون شتى فضلاً
 عن المؤلفات التي لا تدخل تحت المحصر في الاحكام الشرعية تجدد
 مؤلفات كثيرة في فن الفلاحة والملاحة والتاريخ والتجارة والعمارة
 والصنائع المتنوعة والطب والحكمة والفلسفة والرياضة وغير ذلك
 ما يستعين به العالم ويهتدي به الجاهل فكان العلماء بين الناس
 كالاهلة في السماء تنبعث انوارها على سائر ارجائها وبسبب ذلك
 تألفت الطبائع في جميع البقاع فزادت قوة الامة وقويت شوكتها
 وكان ذلك سبباً في سعادتها واتساع دائره ثروتها وما سبب ذلك
 الا بناء الحكام احكامهم على سنن الشريعة وسلامة بواطنهم من
 الاغراض الفاسدة فلم يكن همهم الا السعي في المصالح العمومية
 واجتماع الكلمة الاسلامية ولما سار الحكام في غير هذا المنهاج وسلكوا
 شيئاً فشيئاً طريق الاعوجاج وصار اكبر همهم تحصيل اغراضهم
 الفاسدة وحادوا عن احكام الشرع الي شهواتهم تصرمت اسباب

مستقروا وكما اذا تأملنا في اربعة ائمة وما حصل لما خلفنا وسلفنا
وما احده الخلف بعد مضي السلف وجدنا السبب انما هو ما صار
عليه الائمة من خلف هذه الائمة فانهم تركوا ما كان عليه السلف
من النظر في مصالح الائمة والسعي فيما فيه نفعها فنبذوا ذلك كله
وراء ظهورهم وتبعوا شهوات واناسوا الواجبات وحملوا الناس
ما لا يطيقون وشغلواهم بتخصيل ما يشتهون فان الائمة للرعايا
كالرأس للجسد او كالتلب بالنسبة للجوارح اذا صلح صلحت واذا
فسد فسدت وقد كان السلف صارفين انظارهم نحو مصالح العباد
العمومية فكانوا يقدمون بهم في اقوالهم وافعالهم وكذلك الفرخ لما كان
رؤسا وهم بتلك الصفة ظهرت فيهم العلوم والصنائع وسرت منهم
الى غيرهم حتى عمت سائر المواضع

قال الحافظ ان من سلك طريق الله من علماء ملتكم واخبار
العلماء من ثمم رضى ن الله من سلك طريق الله من علماء ملتكم واخبار
لهم الا نصرة الدين واعلاء كلمة الايمان وكان لا يتولى الحكم بين
الناس الا العالم بالاحكام الشرعية

فقال الشيخ قد ورد في الحديث خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم فكل قرن شر ما قبله وخير ما بعده وفي صدر
الاسلام كان تعظيم العلم واهله امراً لازماً اذ كانت الاحكام الشرعية
بين الكافة هي المنظور اليها ولا معول فيما قل وجل الاعليها
فكان العلماء في الحقيقة هم اولوا الامر الذين اوجب الله طاعتهم

المسامرة (١١٠)

السلف، والمخلف في الاسلام

ولكن لا يدري الان كيف تناسى العرب هذه المعارف بالكلية
 وهجروا استعمالها في بلادهم بعد ان علموا فائدتها في حروبهم حتى
 علمها الفرنج وتفننوا فيها وقد قالوا اذا ظهر السبب بطل العجب فليت
 شعري ما سبب هجرها في بلاد العرب فان قلنا ان السبب بلادتهم
 وقصور عقولهم فهم ليسوا كذلك فانهم فرسان الفصاحة واخوان
 البراعة والسماحة وان قلنا تغير طبيعة ارضهم وهوائها فما على حالها
 لم يتغيرا وان قلنا تغير قوانينهم وعاداتهم فهي على ما كانت عليه لم
 يتغير منها شيء وايضاً فان الارض لم تبخل بشيء كانت تجود به من
 قبل وكذلك الشمس في غروبها وطلوعها لم تتحول قط عن

فقال الشيخ كم لله من فواضل وفضائل وكم ادرك المتأخرون
 ما لم تدركه الاوائل فمن جد وجد ومن لج ولج وقد استحق
 الفرنج الثناء الجميل وادركوا المجد الاثيل حيث نالوا من التقدم
 ما نالوا وان كان يؤثر عن المتقدمين ما يقرب من ذلك فقد كانت
 العرب في حربهم تدبر من النفط ناراً ترسلها الى العدو بكيفيات
 مختلفة منها ما كان يسبح فوق الماء حتى يصل مراكب العدو فيحرقها
 ومنها ما كان يصعد في الجوّ ويسقط في اوقات معلومة على اماكن
 معلومة وغير ذلك مما هو مذكور في كتب مطولة

ومن معرفتهم لهذه الكيفيات وجهل العدو بها كان الفرنج
 يهابونهم في حروبهم وكثيرا ما انهزموا منهم كما حصل في حرب
 الصليب وغيرها

وانتشرت في جميع البقاع

وقد اخترعوا اليوم اختراعاً جديداً وهو انهم استعملوا قنديلا لطيفا مستوفيا لجميع اللوازم الا انه لا فتيلة فيه بل يكتفى عن الفتيلة بوضع جسم فيه ذي مسام كقطعة فحم او اسفنجة تغس في الغاز المعدني وتوضع فيه فبدلاً عن احتراق الزيت الذي يتصاعد منه الدخان والروائح الكريهة يكون الاحتراق للغاز الحاصل من هذه الزيوت فانه يمرور الهواء عليه يتشرب من الابخرة فتصل الى المسرحة فتلهب الشعلة وتضيء مثل الغاز المستعمل الى ان ينتهي والغاز الذي يكون في القنديل مركب من تسعين جزءاً من الهواء وعشرة من الغاز ومع ذلك لو اريد استعماله في طبقات المنزل جميعها لا خير فيه ويكفي لتوصيله ماسورة واحدة وبذلك امتنعت اسباب الضرر وسهل على كل انسان الحصول على الغاز بمن قليل

فانظر كيف كانت ثمرات ابحاث العلماء والكيايين فقد حصل منها فوائد جمة انتفعت بها الناس عموماً وذلك من المادة النفطية على اني لم اذكر لحضرتك جميع الامور والصنائع التي تدخلها هذه المادة لان شرح ذلك يطول فعلى جميع النوع البشري ان يرفع اكف الضراعة بطلب زيادة عدد هؤلاء العلماء حيث نتج من اعمالهم الخيرية تمتع الفقير بالنور الذي كان محروماً منه قبل ذلك الاختراع الذي بواسطته اتسعت دائرة المعلومات

بقاع معلومة سميت زيوتاً معدنية والنبات والمسارج المستعملة لها ليست مثل المستعمله للزيوت النباتية بل تختلف في التركيب والقصد من ذلك كله تميم حرق الاجرة الحاصلة من تلك المواد

ويوجد ايضاً زيوت مدبرة من خلط زيت الترابنتين او النفط او الغاز بالكؤل او غيره مثل زيت الخشب او الغاز المائع ولها قناديل مخصوصة بحيث لا يستصحب به الا فيها ولكن لكون جميع هذه الزيوت سريعة التبخر والتطاير وبادني شرارة تلتهب بسرعة كان استعمالها لا يخلو من الضرر وكثيراً ما حصل بسببها حرائق كبيرة ولها روائح كريهة ولا تزول من الارض التي تصيبها الا بعد زمن طويل فبتلك الاسباب استدلو على ان استعمال هذه الزيوت كما هي من غير خلط اوفق واخترعوا للاستصباح بها قناديل جربوها فيها فوجدوها محصلة للضرر المطلوب ومع ذلك فيلزم تمام التحفظ والاحتراز في نقل تلك المواد من مكان الى اخر وفي حال استعمالها

وبسبب رخص سعرها وشدة ضوئها صارت هي المستعملة الان سيما في جهة الارياف فاستعملها الغني والفقير حتى بلغ قدر المستخرج منه سنة الف وثمانمائة وثمانية وخمسين الفين وخمسة وعشرين مليوناً من الليترات وقد حفر ما عدا الآبار التي كان يستخرج منها مائتان وخمسون بئراً واذا نجحت التجارب في وقود الوابورات بها بدل الفحم الحجري عمّت فائدتها واتسعت دائرتها

صرف عليها نحو أربعة وأربعين ألف جنيه

وفي سنة الف وثمانمائة وخمسة وخمسين بلغ عدد الشركات المتعمدة في المدينة ثمانية ومقدار المنصرف في المعامل والالات اعني رأس مال هذه الشركات قريباً من مائة وعشرين ألف جنيه وكان ثمن المتر المكعب سبعة عشر سنتياً بالنسبة لما تأخذه الحكومة وبالنسبة للاهالي ثلاثين ومدة الالتزام خمسون سنة وبلغ مقدار المحرق من الغاز في سنة ١٨٠٧ قريباً من ثلاثة وخمسين مليون متر مكعب واحترق فيها مليونان وستائة ألف وكسور هيكتوليتراً من فحم الحجبر وبلغت قيمة ذلك ستة ملايين ومائة ألف فرنك فقال ابن الشيخ قد خرجت مع يعقوب منذ يومين فصادف وقت دخولنا ان البواب كان يتشاجر مع زوجته بسبب ان هربت بها قلبت زجاجة ففاحت منها رائحة كريهة فشمناها فسألت يعقوب فقال هي رائحة زيت معدني فلم افهم معنى هذه العبارة لاني لم اسمع بزيت معدني الا منه والذي اعرفه هو الزيوت المستخرجة من النباتات والابزار والفواكه

فقال الخواجا استعمل بعض الناس من عهد قريب في المنازل والورش والفوريقات ونحوها زيوتاً اتخذوها من خلط الغاز بزيوت النباتات بكيفية وتدبير مخصوص واستعملوا ايضاً زيوتاً متخذة من الغاز والنفط

وحيث كانت هذه المواد كلها خارجة من جوف الارض من

ويحصل من ذلك مائة وثمانية وعشرون ليترًا من حمض الكربون
 المصر بالصحة فان كانت الفتيلة في مكان لا يصل اليه الهواء فلا
 يمضي الا قليل وقد وصل اليها هواء ردي يحصل منه ما يحصل
 من دخان الفحم من الاختناق والحمل والامراض الصدرية فلذلك
 كان الاحسن ان لا يستعمل في داخل البيوت الضيقة ولا بماكن
 الجلوس والنوم بل يستعمل في البساتين والاماكن الكثيرة الهواء
 وقد استدلوا بالتجربة على انه متى اخلط الغاز بالهواء بنسبة
 معلومة وكان في المكان جسم ملتهب كشمعة او غيرها فلا بد ان
 يحصل في الهواء التهاب ويكون له دوي وفرقة شديدة يخشى
 منه الضرر على من كان قريباً منه لكن محل حصول ذلك منه
 اذا زاد الهواء عن الناز اكثر من احدى عشر مرة ونصف فلو
 فرض ان حتمًا من الناز اخلط بقدره خمس مرات من الهواء او
 ستا او سبعا الى احدى عشر مرة ونصف فلا يخشى منه ولا ينشاء
 عنه هذا الالتهاب ومتى زاد عن ذلك ولو قليلاً التهب فالاقامة
 في مثل هذا المكان خطيرة لان زيادة الهواء غير مأمونة فيكون
 الضرر غير مأمون فيلزم الانسان اذا احس برائحته في غرفته
 وكان بها قنديل او شمعة ان يطفئها كذلك الاجسام المتقدة كالمقعد
 ونحوه وكذلك لا ينبغي الدخول في مكان احس برائحته فيه
 ثم قال وكان عدد اللبّات في مدينة باريز سنة الف وثمانمائة
 وثمانية واربعين ثلاثة عشر الف وسبعمائة واحدى وسبعين لنبّة

بعضها وكلها متصلة بما سورة يقال لها الام متصلة بمخزن الغاز
ويجعلون في المواسير الموجودة بالحارات امام كل فانوس او فرع
خروفا يخرج منها مواسير رقيقة من الرصاص لتوزيع الغاز
في كل حارة وهناك حنفيات تفتح وتغلق بحيث يمكن منع الغاز عن
جهة مخصوصة او اصاله اليها متى اردوا

ففي الحقيقة ان استخراجها يحتاج الى احتراسات وعمليات كثيرة
ومصاريف واسعة ومع ذلك لا يصفو بالكلية بل يبقى فيه رائحة كريهة
وكثيراً ما يحصل في محل ارتباط المواسير المدفونة في الارض
تنفس فيخرج الغاز وينتشر في الارض ويغوص فيها قدر ثلاثة
امتر فيضر بحياة الانبجار والنبات ويفسد ماء العيون والابار القريبة
وإذا اريد احكام تلك المحلات يرى ان الارض اكتسبت من
رائحة الكريمة وربما تبتت فيها مدة ثقل ونكثرت على حسب حال
الارض رطوبة ويوسوسة واحياناً يمر قريبا من مجاري المراحيض والسراديب
الداخلة في البيوت فاداء تنفس ودخل فيها يستمر حتى يملأ البيوت
من منافذ القصبات وغيرها ثم يصعد الى المساكن فيضر باهلها
وكثيراً ما تكون احكام حنفيات توزيعه في داخل البيوت غير
ممكنة السد فلا يبع منها التنفس ويتشر في الغرف فيضر باهلها
وقد دلت التجربة على ان الفيلة الواحدة منه تحرق في الساعة
الواحدة مائة وثمانية وخمسين ليترًا ويلزم لذلك احتراق مائتين
واربعة وثلاثين ليترًا من الاكسوجين اللازم لتقوم حياة الانفس

وحيث اخذت مصر في التقدم الان وسهل عليها جلب ما يلزم لذلك براً وبحراً فعن قريب يحصل ذلك حتى لا يكون بينها وبين البلاد الاوروباية فرق

فقال الشيخ هل يمكن كل انسان تحصيله اما باستخراج او شراء كالزيوت والشمع قال الخواجا نعم كل انسان يمكنه ذلك اذا عرف طريق تحضيره وتحصل على ادواته والاته ولكن في ذلك كلفة زائدة ولذا جرت العادة بان يكون ذلك لشركاء مقتدرين يتعهدون به مدة معلومة بامر من الحكومة وتجعل الحكومة لهم قدراً معلوماً على توزيعه في الطرق العامة والخاصة والبيوت وتشرط عليهم شروطاً منها ان يكون نقياً صالحاً للاستعمال وان لا ينشاء عنه ضرر بالصحة وجميع اوروبا نستخرجه من فحم الحجر فقط وان كان يمكن استخراجه من غيره كالخشب والدهن والزيوت والمواد الراجحة كالصمغ وغير ذلك مما يسيل على بعض الاشجار وطرق تحضيره من الفحم الحجري ان يوضع في اسطوانات من الحديد الزهر طول الواحدة نحو متر ونصف او مترين ولا تملأ الى اخرها بل يبقى منها جزء فارغ ليتجمع الغاز فيما بقي منها ثم تسد سداً محكمًا ثم توضع في افران مخصوصة لها وبوقد عليها حتى تباغ من الحرارة الدرجة المطلوبة فينفصل من الفحم بخار فيه الغاز المذكور ومعه غازات اخرى فيصعد في انابيب من الحديد مستديمة البرودة فيصنوف من المواد القطرانية الموجودة معه ثم يجعل في صناديق كبيرة

مقسمة الى طبقات بالواح من الصاج وفيها خروق صغيرة وفوقها جير قد طفي لاجل ان يمر الغاز منها ويتخلص من بعض الغازات المتزجة به وبمروره في حوض الماء الذي فوقه مخزن الغاز المعد للصرف يتخلص من باقي الغازات على قدر الامكان ويكون صالحاً للاستعمال ويسمون الفحم الذي اخذ غازه بالكوك وهو الذي يستعمله الحدادون

والمخزن المذكور عبارة عن ناقوس او اصطوانة من الصاج ذات قعر سعته قدر سعة الحوض وتوضع فيه منكبوسة بحيث يكون قعرها الى اعلى الحوض وفيها الى جهة قعره واذا كانت خالية من الغاز كانت مغموسة جميعها في الحوض ويكون قعرها مع سطحه مغلى بالماء وكلما دخل فيها الغاز ترتفع شيئاً فشيئاً ولكن بمقدار متوازن في الصعود والهبوط عند ازدياد الغاز وتقصه بواسطة ائقال بحيث تكون حركاته صعوداً وهبوطاً منتظمة في اتجاه رأسي لا تفارقه وعند مدخل انايب الابراد آلة يقال لها العداد يعرف بها مقدار الحاصل من الغاز كل لحظة وآلة مثلها في مبدأ انايب الصرف يعرف بها قدر المنصرف وبهذه الطريقة يمكن معرفة قدر الوارد والمنصرف والباقي في كل لحظة

وقد ذكرت لك فيما مر ان لهم في توزيعه في طرقات البلد وشوارعها كيفية حسنة وهي وضع مواسير من الحديد الزهر محكمة تحت الارض على بعد مترفاكثر من ظاهرها وتلك المواسير متصلة

اشتغل الكيماويون وغيرهم بهذه المادة

وفي سنة ١٨٠١ ظهر عالم فرنساوي فاستخرجه من الخشب
فضلاً عما يخرج من الخشب من قطران وغيره من المواد وهو الذي
بين طريق استخراجه من الفحم الحجري ومن الزيوت والمواد الدسمة
وفي سنة الف وثمانمائة وعشرة بمقتضى قرار من البرلنتو
الانكليزي اذن لجماعة نمساوية في الاستصباح في لوندرة بالغاز
فاوقدوه فيها وارادت اهل هذه الشركة في سنة الف وثمانمائة
وستة عشر ان تلتزم ايقاده في مدينة باريز فلم يجابوا الى ذلك
ولم يظهر وجوده فيها الا من ابتداء سنة ١٨٢٩

فقال الشيخ انا الى الان لم نسمع به ببلا دنابل الاستعمل بها الى
الان الزيوت والشمع في البيوت ويضع ارباب البيوت الشميرة
قناديل على ابوابهم ويندر وجود قنديلين او ثلاثة بالحجارة الطويلة
وكثيراً ما يحصل من الضبطية التنبيه بوضع قناديل على جميع
البيوت فلا يسمع امرها وبهذا يقل المارون جداً بالليل وتخرج
اللصوص والاشقياء من اوكارها

فقال الخوجا يوشك ان يستعمل الاستصباح بالغاز بمصر
وبغيرها من بلاد المشرق كما هو باوروبا وما ذلك بعزيز انما
يتوقف على تيقظ الحكومة له خصوصاً اذا علمت انه اقل من غيره
مصرفاً وثمناً واكثر منه نوراً ولعل بسببه تكثر الحركة وتوسع
الثروة ويحصل الامان ونقل اللصوص واهل الفساد

واربابه وتعددت الحرائق بمدينة باريز فصدرت اوامر الحكومة بالزام
الاهالي تعليق قناديل على ابواب بيوتهم وعلى الشبابيك والطاقت
المطللة على الشوارع واستمر ذلك الى سنة الف وخمسة واربعة
وتسعين فُجعل بدل القناديل في الحارات والشوارع قوائم من
خشب عليها فوانيس بشمع الدهن وصدر الامر بمنع المرور في
الشوارع ليلاً بغير فانوس

ثم في سنة الف وسبعمائة وثمانية وثلاثين صار تنوير الطرق من
الحكومة بعد ان كان على الاهالي وفي سنة الف وسبعمائة وتسعة
وثمانين جعل مكان شمع الدهن زيت ولم تنزل بعض جهات من
اوروبا تستعمله الى الان وكان من المصايح ما يوضع فيه فتيلة
واحدة ومنها ما يوضع فيه اكثر

وقد اخبر ما تحرقه الفتيلة الواحدة من الزيت في ظرف
ساعة فوجد ثمانية جرامات ونصف جرام وكان ما بين كل مصباحين
مائة متر فكان النور اذ ذاك قليلاً جداً ولم تحصل الفكرة في
الغاز والتكلم في شأنه الا في سنة الف وستمائة وست وثمانين ميلادية
وسببه ان رجلاً من اهل باريز ادعى ان الغاز المتحصل من المواد
النامية اذا تجمع في ظرف محكم وعرض للهب اتقد واضاء واقام
على دعواه براهين ولكن لم يلتفت احد الى قوله الى ان جاء
ويولنا الانكليزي وشرح كيفية استعماله في الاستصباح عوضاً عن
الزيت وكان في سنة الف وسبعمائة وسبعة وسبعين من ذلك العهد

بعض ما يتعلق بذلك فلما وصلوا الى محل اقامتهم دخل كل مكانه وامر يعقوب الخادم باحضار الاكل فاحضره وكان بالمائدة مصابيح في الحائط مغطاة بالبلور الموشى وعليه رسوم لطيفة وفي تلك المصابيح صور كالشمع الابيض النظيف فكان ابن الشيخ يمعن النظر اليها

فقال الخواجا لعلك تتعجب من عدم احتراق الشمع الذي تراه فقال نعم لاني من حين جلست الى الان وهو على حاله لم ينقص منه شيء فقال كيف ينقص وهو حجر ابيض من انواع الرخام والمرمر ثم قال ان الناس لما استعملوا الغاز داخل بيوتهم اخترعوا هذه الهئية نهيماً للروث وتليداً لما كانوا يألفونه من قبل استعمال الشمع فهذه الشموع التي تراها احجار محبوبة والغاز يمر في تجويفها وخدمة البيوت يوقدونها كما توقد خدمة الحارات الفوانيس التي تراها وقبل الان بنجومائي سنة كانت جميع مدن الديار الاور وباوية كغيرها من مدن الدنيا مظلمة ليلاً من قلة المصابيح وغاية ما هناك انه كان يوجد بعض قناديل على ابواب بعض الحارات متباعدة وكان ينقطع المرور من الطرق بعد نحو ساعتين من الليل فكانت المدن وقتئذ عرضة لامتداد ايدي اهل الخيانة اليها وكثيراً ما كان يقع بها القتل والسلب

ثم في سنة الف وخمسمائة واربعة وعشرين ميلادية كثرت الشر

فأعجب من شدة ضوءها وإتامل في خلال النور لعلي أرى فتيلة
فلا أرى الا ضوءاً يلمع ونوراً يسطع

فقال الخواجا ليس الامر كما آظن لان الغاز ليس زيتاً من
الزيوت بل هو مادة اخف من الهواء ولا لون له وهو عبارة عن
ادروجين وكربون ويسميه الكيمائيون بالادروجين المكربن وله
معامل يدبرونه فيها ولهم طرق لتوزيعه داخل البيوت وفي الطرقات
فيجعلون له وابوراً له محاراً تحت الارض من مواسير الرصاص
ونحوه فيوزع الى الجهات بثمن معين وتلك العمدة التي تراها قائمة
على الطرق عجيبة وتجويفها متصل بالماسورة التي تحت الارض في
محور الطريق وتلك الماسورة متصلة بذلك المحل الذي يدبر فيه
الغاز فاذا دخل الليل مرت الخدمة على تلك العمدة وبايديهم
شعل من نار فيفتحون الحنفيات التي باعلا العمدة الحابسة للغاز
فيضعون الشعلة فوق الثقب الموجود في النهاية العليا لتجويف
العمود المغطى بالفانوس فحالا يلتهب الغاز وبضوءه فاذا جاء النهار
قطعوا الوارد بقفل الحنفية فيقطع الضوء

فقال ابن الشيخ ان هذا الشيء عجاب ما كان يخطر ببال
احد من اهل مصر وغاية ما يظن ان الغاز اسم لنوع من
الزيوت يستعمل استعمال الزيوت. وحيث انه هواء او شبيه بالهواء
فكيف عرفوا ذلك وانفعوا به

فقال له الخواجا وكانوا قد قربوا من النزول سائبين لك

مزينة لاسباب وقتية لانهم رأوا العربات واصناف المخلوق تقبل
وتدبر في جميع الطرقات التي مروا بها كما يحصل ذلك بالنهار
سواء بسواء ومن كثرة الضوء واتصاله بضوء النهار تذكر الشيخ
شطربيت فتمثل به وهو

(زليل الكفر ليس له نهار)

فتبسم الخواجا وقال هذه الكلمة لرفاعه بك احد رجال
المدارس المصرية قالها في رحلته وقد وقع لي منها نسخة
فرايته قد اكثر فيها من مدح باريز واهلها واطنب في وصف
نساءها ورجالها وطاف حول الدن الا انه لم يدندن ورتع حول
ذاك الحمى وحام وما رفع عن وجه ليلي اللثام واظنه لم ياتها من
ابوابها ولا كشف له عند وصفه لها عن تقابها ومع ذلك فجمع ما ذكره
ورآه قد تغير الان ومضى من وقته الى الان نحو ثلاثين سنة وفي
هذه المدة تقدمت العلوم والصنائع تقدماً زائداً وظهر في اعمال المخلوق
النتائج المفيدة فصلح بذلك شأنها واتسعت دائرة ثروتها ففي وقت
رفاعه بك كان الغاز مثلاً مستعملاً الا ان الطرق التي كانت
جارية في استعماله واستخراجه لم تكن كما هي الاز وما حصل من
التحسينات والاستكشافات ازال كثيراً من المضرات التي كانت
تحصل للناس من عدم صفائه اذ ذلك وهكذا كل شيء اخذ في
النقدم والتحسين

فقال ابن الشيخ كان يخطر ببالي ان هذه المصاييح من الزيت

كثير منها في بقاع لم تكن بها من قبل وبعد ان كان نفع نبات كل جهة مقصوراً عليها صار عاماً لها ولغيرها وستوجه غداً الى جنة النباتات ان لم يطرأ مانع وهناك نطلعكم على اجناسها المختلفة فقد اهتمت الحكومة الفرنسية بانشاء هذا البستان العظيم وجمعت فيه كل ما يحتاج اليه في تسهيل طرق التعليم والتعلم لمن اراد ليطبقوا العلم على العمل فاستحسن الشيخ هذا الاهتمام من الحكومة فقال الخواجا ولم تقتصر على ذلك بل جمعت ايضاً من كل نوع وجد على وجه الارض من الحيوارن والطيور والوحش والحشرات وكذلك من جميع الاحجار والمعادن كل ذلك ليطبق مدرس التاريخ الطبيعي العلم على العمل فاطرب الشيخ هذا الصنع واشتدت رغبته في الخروج معه الى تلك الجهة وفرح ولده بذلك فرحاً شديداً وسأل عن هذا المحل هل هو داخل باريز ام خارجها فقال الخواجا هو في باريز بل قريب من دارنا وابوابه مفتحة لمن اراد الدخول ثم دخلوا من احد ابواب المدينة وكان دخولهم بعد الغروب فوجدوا جميع الطرق مضيئة بالمصابيح الموقدة بها فكان لها منظر حسن يسر الناظر ويشرح الحاضر بسبب انتظام الطرق واتساع الحارات واصطفاف المصابيح ووضعها على ابعاد متساوية وكلما اتقلوا الى موضع راوا صورة احسن من الاولى على حسب تقاطع الطرق والميادين وكثرة الانوار واختلاف الجهات كالاسواق ومحال التجارة فكان يظهر للشيخ ولده ان المدينة

وفي كل مرة يحدث لي في هذا المكان سرور ونشاط لا اجد في غيره لاني متى كنت وسط هذه الاشجار يخيل لي انها تحدثني بجمادى الايام المانعة وحين ارى بها الاشجار المختلفة كالبلوط والصنوبر والحور وغيرها يزداد قلبي تعظيماً للمخلوق جلّ وعلا واجد في نفسي انشراحاً جزيلاً

ثم رأيت في اثناء سيرنا اشجاراً كثيرة الانواع جداً لا ترى ببلادنا فسالت عنها يعقوب فلم يفتني الا عن بعضها فقال الخواجا انواع اشجار والنبات لا تحصى ولكل نوع منها خواص وفوائد ومزايا وكل نوع منها تربة من الارض تناسبه وتختلف طباعها ايضا في احتياجها الى الماء والهواء والحرارة فبعض الاشجار لا يصلح الا في جهة مخصوصة بهواء مخصوص مثلاً وبعضها يصلح في كل ارض وفي كل هواء فلذا تجد من الانواع ما هو عام في جميع البقاع وهناك انواع لا تنبت الا في الماء ولو انكسفت عنها ماتت وانواع لو مسها الماء هلكت ومنها ما يبقى زمناً طويلاً وما لا يبقى الا اياماً واني وان كنت درست التاريخ الطبيعي الا اني لصغرسني اذذاك وعدم اقتصاري عليه لم اتحصل منه الا على بعض حبل والا فله رجال تفرغوا له وافنوا اعمارهم فيه حتى اطلعوا على اسراره فاضهروها للناس فاتنفع بها الجمّ وتمنعوا التمتع الا سمّ ولم تنسج دائرة هذا العلم الا في هذا الزمان فبهمة افاضل هذا الزمان استكشفت نباتات كثيرة واستعملت فوائدها في مصالح عمومية وسهل بذلك استنبات

كثير وحواه بستان عظيم في وسطه عين ماء نابعة من الصخر
 وبقرية بلدة لطيفة فيها كثير من الامراء والاعيان يجتمعون كل ليلة
 عند احدهم وهم اناس ظرفاء لا يستوحش انيسهم ولا يملهم جليسهم
 وهذا الرجل على غاية من الرقة واللطف والادب وزوجه
 خير منه

فقال الشيخ نحن ذهبنا عند حضرة الخوجا التلياني صاحبكم
 وتوجهنا الى البرصة معه وفيها ما يتعلق بهذه المصلحة من الامور
 العامة وغيرها وبين لنا الايام التي تربت علينا في المدرسة الشرقية
 وذكر لنا تشوقه لحضرتكم وراينا منه خلتا حسنا قل ان نرى مثله
 فحصل لنا غاية الانس لولا غيابكم عنا فان يعقوب كان واقيا بخدمتنا
 قائما بما فيه رغبتنا وراحتنا لكن غيابكم عنا لكونه غير معتاد لنا اقلنا
 فاثني عليه الخوجا وقال ما عندكم بعض ما عندي ثم قال اظن
 ان الترحل قد ارف فان الليل قد اقبل وتريد الرجوع قبل
 الظلام

فقال الشيخ نحن حضرنا هنا بعد الظهر وتنزهنا في الغابة لكن
 ما وصلنا الى اخرها لحوف يعقوب الضلال عن الطريق
 فقال الخوجا احسن منتزه هنا هو هذا المكان فانه مرتفع يرى
 منه كثير من ضواحي باريز ولكن الناس لم يعتادوا التنزه فيه بل
 اعتادوا التنزه في غابة بولونيا

فقال الشيخ قد أتيت الى هذا المكان مرتين هذه ومرة قبلها

فسلم لربّ الورى حكمه كما تفعل الطير في أنكها



المقامة (١٠٦)

نور الغاز

وبينا هم يتجادبون اطراف الحديث اذا بالخواجا الانكليزي
اقبل فراه ابن الشيخ على بعد قيام ليقابله فالتفت الشيخ فراه
مقبلاً قيام له فلما جلس الخواجا قال ان بُعدي عنكم هذين اليومين
كغيباب عامين وحقكم ما تخلصت من صاحبي الا بعد ان اعذرت
له بحضرتكم ووعدته بالعود اليه مع حضرتكم ولو رأيتم هذا الرجل
ومسكته لاتهون عليكم مفارقه فانه على طريق يرم منه خلق

وفي مديرية مرسيلما صرف في جمعه خمسة وعشرون الف
فرنك وكذا مديرية اربل صرفت مثل ذلك وفي الجزائر جعل
ربع فرنك على جمع كيلو جرام فكانت الناس تاتي باربعين او
خمسین جملاً شملة منه

وفي بعض البلاد يوكل الجراد بانواعه وقد جوز موسى عليه
السلام لقومه اكل اجناس اربعة منه واليونان كانت تبيعه
بالاسواق وذكر استرابون الجغرافي ان الحبشة ياكلونه ويجعلونه
من الاطعمة والمغاربة في الجزائر ياكلونه ويسمونه الجراد الغربي
ويكتفون بقطع راسه وجناحيه وارجله الطويلة ثم يعلخونه وياكلونه
والاولاد والنساء تجعله في خيوط وتبيعه في السوق وهناك بلاد
تقلبه بالزيت واهل هولاندة تاكله ايضاً وبعض الناس يزعم ان
الذين يجعلون قوتهم منه لا تتعدى اعمارهم الاربعين وفي راس
الاربعين يمتلىء جوفهم وجلدهم ديدانا صغيرة تهلكهم وكثير من
الحكماء والسياحين يكذبون ذلك

فقال الشيخ في شرعنا يجوز اكله مطلقاً فان الشارع نص
على حرمة الميتة الا السمك والجراد وحرمة الدم الا الكبد والطحال
فسبحان من در الاكوان واحسن صنعها فله في تسلط بعض
جنوده على بعض حكم واسرار لا يقف عندها علم البشر فعلى الانسان
التسليم للحكيم العليم

فله في خلقه حكمة تكمل البصائر عن دركها

وفي اخر سنة الف وثمانائة واربعة وستين نزل ببلاد
السينيغال فاهلك جميع محصولها وشهد منه في الجوّ سخابة طوها
خمس عشرة ملقة

وفي سنة الف وثمانائة وخمسة واربعين حصل بسببه قحط
ببلاد الجزائر وتبعه في عدة سنين قحط عظيم وفي سنة الف
وثمانائة واربعة وستين خرج من الصحراء وهجم على البلاد والجزائر
فاكل جميع المحصول حتى لم يبق شيئاً واستعملت جميع الطرق
للتخلص منه فتنفرت العساكر مع الاهالي لجمعه ومع ذلك فلم يجد
هذا شيئاً فاكل شجر العنب والتوت والزيتون وغير ذلك حتى
اكل شجرة الدخان ولم تمنعه مرارتها من اكلها ولم يترك جهة من
الارض الا وقد غطاها باحيائه وامواته فكانت السخابة منه تمتد
نحو ثمانين ملقة وذلك في عموم جهات الولاية

ولاجل التخلص من وباله كان الناس يجتمعون ويصيدونه
بالشباك من الارض وروؤوس الاشجار ثم يحرقونه بالنار واهل
السودان يطردونه بالتصويت واهل هولاندة استعملت المدافع
في ازالته وفي الازمان القديمة كان اليونان يجعلون على كل شخص
كيلاً مخصوصاً يأتي به منه

وفي سنة الف وثمانائة وثلاثة عشر ببعض مديريات فرانسا
جعلت الحكومة لكل من يأتي بكيلو جرام من بيضه نصف فرنك
ولمن يأتي بهذا القدر من الحيوان ربع فرنك

سفن السياحين في البحر مغطاة به فيكون فوقها كالسحاب ويكون
متدًا فوق البحر مسافة بعيدة واكبر مساعد له على السير هو
الريج

وفي سنة الف وسبعائة وثمانية واربعين وصلت جيوش
الجراد بلاد الانكليز حتى تعطل جيش شارل الثاني عشر عن
المسير بعد كسرتة في بلتاوا من بلاد البسارابي فمن كثافته كالسحابة
لم يتمكن الناس ولا الخيل من السير وقد تغير نور النهار بظلام
شديد

وقد رأى الناس في بلاد الهند وبلاد ميرات سحابة من الجراد
طولها ثمانون ملقة وسمكها عدة اقدام وذكر بعض السياحين انه
يكثر ببعض جهات افريقية في بعض الاحيان حتى يكون سطح
الارض والانهر مكسواً به بحيث لا يتمكن الانسان من وضع
قدمه على الارض من كثرة الرم

وفي سنة الف وثمانائة وخمسة وثلاثين احجب نور الشمس
واقهر عن ارض الصين بسبب سحابة منه حتى اهلك المزروع
ثم اهلك ما في المخازن وملبوسات الخلق داخل بيوتهم ولم يسع
الناس الا الفرار الى رؤوس الجبال

وفي سنة الف وسبعائة وثمانين نشاء منه فحط عظيم ببلاد
مراكش حتى اكل الاهالي اعواد النبات وجذوره وحب الشعير
الذي في ارواث البهائم وبعير الجمال

المسامرة (١ - ٨)

الجراد

فقال الشيخ ان الجراد آفة واذا حل بجبهة اهلك الحرث والنسل وقد حل في بعض السنوات ببلادنا فالتف اشياء كثيرة حتى ان الحكومة اخرجت الاهالي لجمعه وجعلت لم جعلاً على ذلك فجعلت على كل افة منه قرشاً

فقال يعقوب كتب التاريخ مشحونة بذكر الجراد وما حصل منه من المصائب وهو غالباً يظهر من صحراً بلاد العرب والبلاد فان الريح المشرقية تأتي به الى افريقية واوروبا وكثيراً ما تكون

قوي النغم وكما مالت للفروب او قويت درجة البرد ضعف
وكثيراً ما تكون هذا الانغام غير مسموعة لنا وتكون مسموعة
لجنسها فقط والذي يكون منه اذا نغم ظاهر بحيث نشعر به لا
يهوى الا البلاد الباردة وعكسه يهوى البلاد الحارة وكل من
نظر الى هذه الدويبات العجيبة الشكل استحسنتها واعجبته شكلها
ولونها الاحمر والازرق وعادة تكون قليلة ولكن لاسباب لا
نعلمها تملأ جوفها من الهواء في بعض الاوقات وتساخر الى البلاد
الشاسعة ويحصل منها ضرر كبير وقد ملئت بذكر مضارها
الصحف في الازمان الماضية والمحاضرة وعرف الاقدمون منها نوعين
ينسب اليها تلف اصناف المنزروعات احدها وهو الاكبر يعرف
بالجراد السياح ويكون غالباً في السواحل الغربية من افريقية
وفي سواحل الصين وثنانها وهو الاصغر يظهر باوروبا لكنه قليل
وفي امريكا والاورستراي يظهر نوع من الجراد غير كثير الاذى ولا
يكثر نوعه كالبقية والذي بافريقية يتقلب من حين فقسه الى كبره
في خمسة اطوار فالاول بعد خروجه من بيضه بخمسة ايام والثاني
بعد الاول بستة ايام والثالث بعد الثاني بثمانية ايام وفي هذه
الثلاثة يكون بدون اجنحة اصلاً ثم الرابعة بعد الثالثة بتسعة ايام
فتبدو الاجنحة صغيرة والخامسة بعد الرابعة بسبعة عشر يوماً تكون
تامة الاجنحة فتتكامل منها القوي بعد خروجها من البيضة بخمسة
واربعين يوماً

فتدخل في جسمها كثيراً من الشوك الذي يديها ورجليها فتهلكها
وتأكلها وتعرف بمصر بفرس النبي وتسمى أيضاً المقدسة لأنها ترى
في غالب الاوقات رافعة نصفها الاعلى عن الارض كهيئة المبتهل
وبعض الناس يقول انها تهدي المسافر للطريق

ومن الدوبيات التي تأكل اوراق الشجر دوية طويلة
دقيقة ذات ارجل طوال جداً لا فرق بينها وبين احواد الورق
ولذا لا يميزها الناظر اذا كانت فوقها وهي بطيئة الحركة واذا ادركتها
الشمس في سبورها وقفت ومدت ذراعيها وبسبب نخافتها تسميها
الاطفال العصا الماشية او شعرة الشيطان

ومنها ما يكون له اجنحة يطير بها وتسميه الاهالي في بعض
الجهات الورقة الطائرة

واشنع جمع هذه الدوبيات الدوبات النطاطة ذات الوثوب
التي منها جميع اجناس الجراد لها ايد وارجل طويلة يعظم بها
وثوبها ولها صوت يسمع متى كانت الشمس فوق غصون الاشجار
وتألف الشمس وجاف ارباكر وهي انواع كثيرة وفي البلاد
الجبلية تجتمع بكثرة في الشقوق التي بها النبات والعشب ولها
نغمة مخصوصة عند طلب الذكر للانثى او الانثى للذكر عند
استغاثتها بذكرها من ذكر اجنبي يحاولها وتحدث هذه النغمة من
حك ارجلها على ثوبها الذي فوق جسدها وبسبب اختلاف قوة
الاحنكاك تخلف قوة الغمركلما ارتفعت الشمس فوق الافق

من فوق الأشجار لنسكن جوف الأرض أو تحت الحشايش فيوزعونها في داخل الغابات فكما نزل دود من فوق الشجر التقطته وإكلته ومن هذه الهوام صنف صغير الحجم له جناحان عريضان بالنسبة لجثته يطير بها في بعض الأحيان ويسمى بين الأهالي بخراق الأذن ويزعمون أنه يدخل في أذن الإنسان ويخرقها ويسكن في الخ كذلك ولكن هذا غير صحيح وإنما سبب هذه التسمية أنه يوجد في محل الذيل لذلك الصنف شيء كالألة المستعملة في خرق أذن البنات وهذا الصنف يكره الضوء ويقنات من الفواكه والأزهار كالورد وغيره والأنثى منه تبيض وتجعل بيضها تحت ورق الشجر مجتمعا وترقد عليه كما يفعل الدجاج وإذا حصل له تفرق بعثت أحد فيه مثلاً فانها تنقله إلى محل آخر وتضم بعضه إلى بعض وترقد عليه إلى أن يفقس فيكون أولاً ديداناً صغيرة جداً لا تعجب ما وراءها فتحنو عليها الأم بالشفقة والتربية إلى أن تأخذ لونها أسمر فتبقى على هذا اللون وتستغني عن أمها ومنها صنف يكون عادة فوق غصون الأشجار ويقنات من صيد الدويبات الصغيرة ولا يضر بالشجر ويتميز عن الجراد بطول جسمه وعظم اجنحه وهو بطيء الحركة أخضر اللون مشرب بصفرة يشبه لون غصون الأشجار التي يعلوها بحيث لا يفرق الناظر بينهما وهذه الدواب كثيرة التحيل فإذا أرادت اقتناص دويبة دنت منها مع السكينة والاحتراس حتى إذا كان بينهما قدم مد ذراعها وثبت عليها وإمسكتها

فيكون حال مزرع وبأسف من يراه على اتلاف هذه الاشجار العظيمة وما فيها من الخيرات ولا يسعه الا التفويض لقدرة الحكيم جلّ وعلا فان الانسان لا يدرك الحكمة في تسلط هذه الهوام على اعمال الانسان واتلاف ما به منفعه من هذه الاشجار وغيرها وعلى صغر هذه الهوام واحتمارها بالنسبة للانسان لا يمكنه التخلص من ضررها وفي بعض الاوقات تضطرب اهل البلاد ويخرجون جميعاً رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً ويتفرقون في ارجاء الغابات ومعهم عصي وحراب وشاميط لقتلها وتارة يحفرون خنادق فتقع هذه الدواب حين عبورها بالخنادق فتكون طبقة عظيمة سمكة فيهلون عليها التراب

ثم قبض على دابة صغيرة مما على شجر البلوط وقال هذه تاكل خشب الشجر وتدخل فيه وتحفره خطوطاً حتى يتلف كله وتجعل هذه الخطوط التي حفرتها بيوتاً لها بين الخشب والتشرب تبيض فيها وتفقس ويقال ان الانثى تبيض من خمسين بيضة الى مائة

واغلب هذه الدوبيات يكثر ظهورها في فصل الخريف وفي بعض الاوقات يتكون في الجو منها طبقات تمتد امتداداً عظيماً في هذه البلاد بحيث تكون كالجراد في بعض الجهات والمخازير تأكل هذه الديدان وتنكب عليها ولذلك هم يستعينون بها على اتلافها فيأتون بالمخازير في شهر اغسطس الذي تنزل فيه الديدان

مصر بعض دواب تأكل الزرع الاخضر واخرى تأكل ورق
الشجر وفي بعض السنوات تكثر على اشجار الفكة فتضرها ضرراً
عظيماً ولكن لاشبهه بينها وبين هذه الدواب

فقال يعقوب ان لهوام المصرة بالاشجار لا تحصى عدداً وتختلف
انواعها باختلاف انواع الشجر والبقاع وفي بعض السنين تتجاوز
الحد في الكثرة ببعض الجهات وتقل في جهة اخرى فمن يدخل
احدى غابات المانيا يسمع لتلك الدواب صوتاً منتظماً يحصل من
قرضها غصون الاشجار واورقها فيخرج غالب الناس اليها
وينتشرون في ارجاء الغابة ويقسمونها بينهم ويضربونها من كل جهة
ولكل فرقة من الناس رئيس ومعهم مزاريق وعصي طوال كانهم
خارجون لمقاتلة الاعداء وفي بعض الجهات يشغل كثير من
الناس بجفر خنادق عميقة في محاذة الطرق والحدود يمدونها الى
مسافة بعيدة للفصل بين اجزاء الغابة او بينها وبين ما يجاورها
لمنع الدواب عن الاشجار الخالية منها. وبالليل يظهر نوع اخر
منها يعرف بمصر بابي الدقيق او الفرش اذا رأى النور اسرع اليه
حتى يحرق نفسه في النار فلاجل قتله يشعل الناس النار في
الاشجار فيرى من يطوف بالغابة في كل قسم شجرة او اكثر
مشتعلة بالنار لها لب ودخان صاعد نحو السماء بحيث تضيء من
كل جهة والدخان متكوّن كالسحاب العظيم فوق الغابة ويقرب
الاشجار اشخاص لتقوية النار وايقاد غيرها اذا اقتضت الحال ذلك

ففاجأه هادم اللذات ومفرق الجماعات ففارقني انسي وياليت
 غض الدهر عنا طرفه ولم يتخذ التفريق بين الاحبة حرفة ومذ
 حكم الله عليه بالموت وهو بايتاليا تجددت احزاني وهاجت اشجاني
 ولعبت بي ايدي المحادثات وعرضت لي آفات البليات فانخذت
 صنعة الملاحه وجبت من البجار كل ساحة وطفت جميع البلدان
 لاخبر من فيها من السكان فلم اجد بعده بدلاً اركن اليه واعول
 في مهاني عليه فاسال الله ان يغمرني رحماته ويتجاوز عن سيئاته
 ثم هطلت عيناه بالدموع فاخذ الشيخ يهون عليه حتى هدأت
 عبراته ثم قال ايها الاستاذ اني لما تذكرت من كان محسناً اليّ لم
 اتمالك من البكاء عليه حيث حرمت من النظر اليه
 فقال له الشيخ هذا بعض ما يجب لصاحب المعروف على الحر
 البر العطوف

ثم ان يعقوب خشي ان يضل عن الطريق فعاد راجعاً الى
 مبدئه فوجدوا ربوة مظلمة بالاشجار معشوسبة فجلس الشيخ فيها
 ليستريح فجعل ابنه يتأمل في جميع اشجارها ويعجب من عظم كل
 شجرة ووقف عند شجرة من شجر البلوط قد اخذت غاية الارتفاع
 وبجانبها شجرة صغيرة لا ورق بغصونها وعليها دواب صغار
 لا تحصى فتأملها فوجدها تاكل من الاغصان جلدها والنفث
 فوجد من جنسها فوق اغصان اشجار اخرى ووجد بعض تلك
 الدواب يمشي على الارض الى اشجار فيصعد عليها فقال ان في

وينشا عنه الانبساط والاعتراف وبسبب ذلك كان مشيهم على الارض هوناً هيناً وكانوا اذا تعبوا جلسوا على بساط الارض الاخضر وتوسدوا احجاراً ملساء تشبه المرمر فكان الشيخ يعجب من اتساعها وتنوع اشجارها وكان لا يعرف اكثرها ويقف عند كل شجرة تعجبه ويسأل عنها يعقوب فيذكر له ما يعلمه وكثيراً ما كان لا يقدر على وصف اشجار لا يعرف اسمها وكان يخجل من ذلك ويعتذر للشيخ ويقول ايها الاستاذ ارجوك ان تغفر لي ذنب جهلي فان معرفة جميع النبات والاشجار واسماءها ومنافعها وخواصها علم كالبحر بلا ساحل وله رجال مضت اعمارهم في تدوين كتبه وانا لا اشك في ان اللخواجا بهذا العلم معرفة تامة فان هذا الفن من ضمن ما يقرأ بالمدارس واما انا فلم ادرسه والذي عرفته منه انما استفدته من المطالعة فقط فكان قليلاً جداً والفضل في ذلك للسائح الذي عطف الله قلبه علي فاني بعد دخول اخي الدير رجعت الى لوندرة فاقمت عنده مدة وسافرت معه اسفاراً في جهات شتى وكان لي بمنزلة الوالد ولعلمه الرغبة مني في حب الاستفادة كان يعلمني من معلوماته فحسن امري وانطلق لساني وانزته منزلة ابي بل اعظم فمضى علي خمس السنوات التي اقيمتها معه كأنها ساعة من نهار لحسن معاشرته وكنت اود ان اكون بقية عمري في خدمته ولكن الدهر حال بيني وبينه وبعد ان كنت مؤملاً ان لا افارقه قطع املي وهدم من معيشتنا لذاتها

المسامرة (١٠٧)

الموام والدواب

فاستحسن الشيخ منه ذلك ثم انهم وصلوا الى الغابة فدخلوها
وطافوا في ارجائها وكان الجو صاحياً والوقت معتدلاً وظل الاشجار
قد رسم على الارض رسوماً يضيء ما بينهما من نور الشمس كبساط
مكمل بالجواهر وعلى حسب شكل الارض من انبساط او تكور
مع تقارب الاشجار، تباعدها يظهر للظل ضوء حسن وصور اشكال
مختلفة بتغير الواسف في وصفها وكان النسيم يحرك اغصان الاشجار
فياخذ من رطوبتها ويسير على وجه الارض فتنتعش به الارواح

من كبراء ارباب الاسهم الذين في الجهة التي بها البنك ويقدم
المجلس اسماءهم للحكومة في عريضة فتنخب منهم من يصلح
ويوجد ايضاً بنكان شهيران غير البنك الفرنساوي وفروعه
احدهما لتسهيل امر القرض على مرهونات العقار والاراضي والاخر
لتسهيل الاعمال المهمة مثل انشاء و اش او معامل او سكك حديدية
وما اشبه ذلك

وبينا هم في هذا الحديث اذ وصلت بهم العربة قريباً من
العين فنزلوا ومشوا الى ان وصلوا الى العيين فقال ابن الشيخ اني
من الامس الى هذا الوقت لم اسمع الا الالاف المؤلفة من الجنيهات
الانكليزية وكذلك لا نرى في بلادنا الا دراهم مضروبة بالبلاد
الاوروباية واغلب معاملة بلادنا بالجنيه الانكليزي والبتت والريال
الي مدفع واي طيره والشينكو وكلها مضروبة باوروبا
ولم يضرب ببلادنا غير الجنيه والريال المصريين والمجديين
مع عزة وجودها وقلة المعاملة بهما فهل اخرجت الارض كوزها
للاوروبا وبين ام تحولت اليهم كوز كسرى التي كان حازها ام
عثروا على ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
فقال يعقوب الكلام في هذه المسألة متوقف على مراجعة رسالة
كنت جمعتها فاذا رجعتنا اطلعتكم عليها وفيها بيان ما استخراج من
المعادن في القرون الخالية وما استخراج منها في القرون التالية ما وحدته
في كتب المؤرخين ودفاتر الاحصاء المحفوظة في دفترخانة الحكومة

الاضطراب يكثر ويقل الى سنة الف وثمانمائة وثلاثة ثم تحصلت
البنوكة على حريتها واستقلالها بالنظر في امورها كما تشاء وسعود
البنك الفرنسي من بين البنوكة بنشر اوراق التقدية فصارت اغلب
المعاملات وارده على هذا البنك في المدن وفي المديرية فحصل
الضرر لغيره من البنوكة واستمر ذلك الى ان حصل التيام الذي
كان سنة الف وثمانمائة وثمانية واربعين فصدر الاذن للبنوكة
الاخر بنشر ورق التقدية فكثير نشر الورق وحصل كساد عمومي
فيه ونقصت قيمته فصدرت الاوامر ثانياً باستقلال البنك الفرنسي
به واستمر الحال على ذلك الى الان ومن ذلك الوقت انتظمت
امور التجارة

وفي سنة الف وثمانمائة وسبعة وخمسين صدرت اوامر بامتداد
ميعاد الاوراق الى سنة الف وثمانمائة وسبعة وتسعين ورخص لهم
في مبلغ واحد وتسعين الفا ومائتين وخمسين سهماً مستبدة وبهذا
زاد رأس المال عن اصله وبسبب هذه الزيادة رغبت الحكومة
في اقتراض مائة مليون وبقي ما كان لها من المزايا على اصله
وزيادة على ذلك صار يمكنها تشكيل بنوكة في المديرية لكل
بنك مجلس ومدير يتعين بمعرفة مجلس البنك ويكون مقبولاً عند
الحكومة وعدد اعضاء المجلس المذكور يختلف من ستة الى خمسة
عشر ومن ثلاثة مفتشين منتخبين بمعرفة مجلس البنك الفرنسي
واما الاعضاء فمعيّنهم بمعرفة الحكومة ايضاً من خمسين منتخبين

الف وثمانمائة تقريباً وفي أول سنة كان عددها اخذ من الاسهم سبعة الاف وخمسمائة ثم ازداد حتى بلغ خمسة عشر الفاً ومبلغ ما صار اسكنته مائة وواحد وعشرون مليوناً في ظرف سبعة اشهر ونصف وفي السنة الثانية بلغ مائتي مليون وخمسة وفي السنة التي بعدها بلغ اربعمائة مليون وثلاثة واربعين مليوناً وكان كل بنك بنشر اوراق النقدية ولم يحصل من ذلك ما يجزى بالاخذ والاعطاء انما في سنة الف وثمانمائة وثلاثة صدرت اوامر الحكومة بجعل ذلك مخصوصاً بالبنك الفرنسي فحصل الحاق بعض البنوك به وكانت مدة الرخصة خمسة عشر عاماً ومبلغ رأس المال خمسة واربعين مليوناً والربح في المائة ستة في السنة وما زاد من الربح يحفظ في البنك

وحيث كانت الحكومة دائماً تتداخل في امور البنك كان سير البنوك غير مستقيم فكان في بعض الاوقات يحصل الكساد ويقل الامن واستمر ذلك الى سنة الف وثمانمائة وستة ثم عين بونابرت رئيساً للبنوك جعل معه وكيلين وحدد لها حداً تسير عليه وجعل رأس مالها تسعين مليوناً وحدد الميعاد الى خمس وعشرين سنة ورخص في احداث بنوك في المدن تبعاً لهذا البنك ولكن بسبب ما ظهر للحكومة من عدم الثبات مع الخوف الذي كان يعتري الناس لم يحصل رواج وتعطلت البنوك وخسرت وبقيت اكثر مبالغها بصناديقها بدون عمل وكان هذا

ومدوا لذلك ميعاداً ثلاثين عاماً واقترضت منه الحكومة سبعين مليوناً فحصل من ذلك وقف الحال بسبب عدم امکان الصرف لارباب الورق لوقته

وفي سنة الف وسبعمائة وثمانية وثمانين صدر امر بعدم صرف نقدية في مقابلة اوراق واستبدالها باوراق تجارية من عنده ولكن من كثرة طلبات الحكومة وازدياد كمية ورق النقد حصل اضطراب عظيم نشأ منه توقيف العمل والدفع واستمر ذلك الى قيام حرب الفرنسية وبعد الهدوء ظهرت بنوكة تعاملت في بعض الامور التجارية واول ما ظهر صندوق الحساب الجاري سنة الف وسبعمائة وستة وتسعين وبعده سنة الف وسبعمائة وثمانية وتسعين صندوق التجار وترتب على ذلك نزول سعر النقدية من تسعة في المائة الى ستة وراج امرهم رواجاً عظيماً ورجحوا من دون ان يسع بما يخل بامانتهم وما ذاك الا لكونهم غير مرتبطين بالحكومة ولكن لما ظهر للحكومة ان من الضروري وجود بنك تستهد منه شرع بونايرت الاول ايام قنصلتيه في تشكيل بنك سماه بنك فرانساعلى نسق بنك الانكليز وجمع له جملة من البنائيرة المشهورين ولاجل ان ياتمهم الناس دفعت له الحكومة خمسة ملايين فرنك قيمة خمسة الاف سهم فدارت حركة البنك وجرى فيه الاخذ والعطاء وكان هناك بنك باسم صندوق الحساب الجاري وكان التجار والناس يعتمدونه فجمعت الحكومة الاثنين وجعلتها بنكاً واحداً وكان ذلك في سنة

الاقطار الانكليزية متفرعة عنها عددها ثلثائة وواحد واربعون
بنكا

واول بنك حدث ببلاد فرانس انشاء رجل انكليزي سنة
الف وسبعائة وستة عشر وفي اول الامر حصل له رواج ولكن
من تسلط الحكومة عليه وعدم انتطاع طلباتها فسد حاله وبطل
وبقي الامر على ذلك نحو ستين عاما ثم صار تنظيم صندوق
الاسكت وكان رأس ماله خمسة عشر مليوناً ليوراً تورنو منها
عشرة ملايين اخذتها الحكومة قرضاً بشرط دفعها على تقاسيط
سنوية ولكن بسبب قلة الائتمان وعدم الصدق في كلام الحكومة
لم يحصل نجاح هذا الامر الا بعد صرف نظرها عن اقتراض هذا
المبلغ من الصندوق المذكور

وعلى مقتضى الامر الصادر سنة الف وسبعائة وتسعة وسبعين
جعل رأس المال اثني عشر مليوناً وربع في المائة اربعة في السنة
في حال السلم واربعة ونصفا في حال الحرب
وفي سنة الف وسبعائة واثنين وثمانين كسد حال التجارة
فتأثر من ذلك صندوق الاسكت ولكن دفعت الحكومة له ما
كان عليها تقدماً فانصلح حاله واستمر على هذا الامر مدة ثلاث
سنين حتى حصل لكل سهم في السنة خمسة عشر ونصف
وفي سنة الف وسبعائة وسبعة وثمانين صدرت اوامر يجعل
رأس ماله سبعين مليوناً ورخص له في شراء ورق النقد والتجارة

منها ما يقرب من اثني عشر مليوناً على الحكومة وجعل لها ان يخرج ورق نقد بقدر الاربعة عشر مليوناً سندات مضافا عليها قدر الصنف وللناس ان يشتروا منه ورق النقد ويبدلونه بصنف عين فالأوقية من الذهب الذي عياره اثنان وعشرون قيراطاً بثلاثة جنيهات وسبعة عشر شلينا وتسعة دينايريه والأوقية من الذهب السبيكة الذي عياره كالسابق بثلاثة جنيهات وسبعة عشر شلينا وعشرة دينايريه ونصف والتسم الثاني يأخذ من الأول بمبادلة الذهب بأوراق النقد أسوة الأهالي سواء بسواء

ومن ابتداء هذا التاريخ صار منع البنوك من اخراج ورق نقدية مطلقاً وإذا اجتمع بنكان صغيران فلا يتعدى ما ينشرانه من الورق قدر ما كان ينشره واحد منهما قبل صدور الأمر ويمكن البنك الانكليزي ان يزيد في تكثير البنوك التابعة له على حسب رغبته في تكثيرها في جميع الجهات بدون تغيير قدر مبلغ الورق المخصص له وإذا ابطال البنك الكبير احد البنوك الصغيرة فله باذن من الحكومة ان يضيف الى نفسه ثاني ما كان يطل منه

وعدد البنوك التي في المديرية التابعة للبنك المذكور سنة الف وثمانمائة وثلاثة وخمسين احد عشر بنكا عمومية غير مائة وسبعة وستين بنكا خصوصية توجد ببلاد الانكليز وبلاد الغال من ضمنها خمسة وستون بنكا لها الاذن باستعمال ورق النقد ولها بنوك بجميع

وزيادة قوة في اعتماد الناس واثماتهم له وبهذا السبب كانت
البنوكة كأنها مشاركة للحكومة في امورها حتى كان كل اضطراب
ونقلب يحصل حسناً كان او قبيحاً اذا تأثرت منه الحكومة يتأثر منه
البنك ايضاً

وفي سنة الف وسبعمائة وسبعة وتسعين لما حصل توقف في
دفع قيمة الورق للبنك نقوداً حصل له اضطراب عظيم وصارت
البنوكة تشبه فوريقة ورق لانها كانت تنشر ورق النقدية بحسب
احتياج الحكومة ولذلك حصل في قيمته نقص كما ذكر لكم حضرة
الخوارج واستمر ذلك الى سنة الف وثمانمائة واثنين وعشرين
والمناقص التي عادت على الحكومة في تلك المدة لا يمكن حصرها
ومتوسط ما اقترضته الحكومة من البنك يقرب من خمسة وثلاثين
مليوناً من الجنيه الانكليزي ومع هذا لم تقف حركة التجارة وكان
الاسكت جاريًا انما نزلت قيمة ورق النقد قريباً من خمسة
وعشرين في المائة وقد حصل الاذن من الحكومة للبنك الانكليزي
في اخراج اوراق نقدية بقدر اربعة عشر مليوناً من الجنيه فقط واذا
زاد مبلغ الورق عن ذلك يلزم ان يكون له مقابل من النقد
العين او من السبائك في صندوق البنك

وفي سنة الف وثمانمائة واربعه واربعين انقسم البنك الانكليزي
بمقتضى الاوامر الملوكية الى بنكين الاول استلم الصنف الموجود في
البنك والسندات التجارية المتضمنة للاربعه عشر مليوناً من الجنيه

ونحوها والغالب ان المعاملة كانت اولاً بالنقود ليس الا واول ظهور ورق النقد كان ببلاد الانكليزي في بسكها الذي ظهر سنة الف وستائة واربعة وتسعين ولم يتحقق استعمالها قبل ذلك وفي تلك المدة كان المعلوم ان جميع الاختراعات اياً كانت انما هي حق الحكومة سيما ما يتعلق بامر التجارة وسبب انشاء البنك الانكليزي هو ان الحكومة رغبت في اقتراض مليون والفي جنيه انكليزي فانشأت البنك المذكور وخصت من يدخل في الاقتراض بمزايا للترغيب منها انها جعلت لهم فائضاً في كل مائة ثمانية كل سنة ومنها انها رخصت لهم في الاستيلاء على مبالغ من يرغب تنمية ماله عندهم ومنها ان لها ان تقرض من شاءت وتجي الاسكت في اوراق التجارة كالسندات وورق الحوالات ومنها ان لها ان تخرج ورق نقدية تدفع مبلغه نقدا حين عرضه عليها ومنها انها تحول عليها اموراً ميرة في مقابلة ربح معلوم وقد جعل في الاصل ميعاده ١٢ سنة لكن لما ظهر للحكومة من ذلك فوائد صارت كلما انتهى الميعاد تجرده حتى كانت سنة الف وسبعائة وثمانية فثبتت على ما هي عليه الى الان وكانت البنوك كلها تجددت المواعيد تتصل على مزايا جديدة بورود المبالغ اليها بكثرة حتى صار البنك تقريباً هو القائم باحوال التجارة والحكومة ووصل راس ساهه قريباً من خمسة عشر مليوناً من الجنيه الانكليزي وهذا القدر كان دائماً ديناً على الحكومة وكان ذلك اشبه بالضمان للبنك

امر قديم اخذه الاور وبايون عن سبهم
فقال يعقوب ان معلوماتي بالنسبة لذلك غير كثيرة ومع هذا
اخبر حضرتكم بما اعلمه في هذا الشأن

وهو ان الكنعانيين في المدة الماضية كانوا يستعملون
البنوكة في امر التجارة ولكن لم يصلنا عن ذلك خبر شاف يوثق به
والذي اتفقنا ان الاثنيين كانوا يعرفونه ويتعاملون به وكان
عناهم هم الذين يتولونه وبذلك كانوا يتصلون على اموال جسيمة
ويبلغون درجات عالية بسبب كثرة النقود وكان تعاملهم بالنقد
فقط فكانوا ياخذونها بربح معلوم ويقرضونها بربح غيره على رهن
و ضمانات كما تفعل البنوكة الان فيتمصلون على ارباح كثيرة

واما البنوكة التجارية فلم تظهر الا في القرن الثاني عشر من
الميلاد ببلاد البناديك وسبب ظهورها جماعة من التجار كان لهم
مبالغ عظيمة على الحكومة فاتفقوا على ان يجمعوا سندات تلك

المبالغ ويتعاملون بها في تجاراتهم كما لو كانت الحكومة صرفتها
وحيث كانت الحكومة تدفع فائضا لمبلغ الدين كان ذلك
الفائض يتقل مع الدين من تاجر الى اخر تبعاً لاحوال التجارة
ومن لا اخذ له ولا عطاء ياخذ فائض مبلغه من البنك بدون
استئذان الحكومة

ثم ان تلك الطريقة اتبعت في اغلب البنوكة التي ظهرت
فيما بعد وجرى بها السهل في بعض البلاد مثل بلنيك وهولانده

المستأجرون خسروا ايضا في اجاراتهم لانهم استاجروا بالمعاملة
النازلة وسددوا بالمعاملة العالية

ولما اخذت قيمة الاشياء في التنازل ثانيا بعد هذه الحركة
كان المستأجرون يدفعون خراج ارض بزيادة وبيعون باقل
وزاد الخرج ايضا بقدر الثلث لانه مقدر بالصف ولا مدخل
للقيمة فيه فحسب ارباب الزرع خسارات جسيمة
كل ذلك والشيخ مصغر كدلام الخواجا لما فيه من بيان علوم
لم يكن يعلمها

وبيناها كذلك اذا برجل اقبل فكلم الخواجا سرا فنهض قائما
وقال للشيخ لا تواخذني فان هذا الرجل اخبرني بان الحكيم
قد حضر بالمنزل فلزمني التوجه اليه فقال الشيخ لعله خير قال ان
ولدي متغير المزاج منذ ايام ولكنه بخير ثم انصرف

فقام الشيخ وركب العربية ومعه ابنه ويعقوب فلما استقاموا
في الطريق قال الشيخ لاشك ان امور اوروبا كلها عجيبة ولهم
افكار واختراعات نافعة غريبة فانظر كيف اعملوا الفكر في تحسين
امور الدنيا واخترعوا لها طرقا بها اتسعت دائرة التجارة بيدهم فان
ما ذكره حضرة الخواجا من طرق التيسير والسهولة التي سلكوها
واستعملتها ارباب البنوك قد هون امر المتجر على كل انسان
وتيسر لكل شخص صادق حسن الادارة فيما يتجر به من التمديدة
ولكن لا ادري هل هذه البنوك من اختراع الاوروبا وبين ام هي

وارادت حسبه لم تجد لذلك الا احد طريقين الاول ان تجعل
 قيمة جنيه الذهب قدر القيمة التي صار اليها جنيه الورق
 وحيث ان الجنيه الورق كان في سنة الف وثمانمائة واربعة
 عشر لا يشتري به الا مائة حبة وثمانى حبات من الذهب الخالص
 والجنيه الذهب القديم كان يشتري به مائة وثمان واربعون حبة
 فحيث كان يكفي ان يجعل قيمة الجنيه الذهب مائة وثمانى حبات
 وضرر هذا الطريق ان الذين لم على الحكومة ديون من قبل
 يستولون بقيه اقل من القود التي دفعوها وهذا ضرر عظيم
 على الناس مع ان الامر المهم هو اجراء الطرق الموجبة لتخفيف
 ائقال الاهالي بحيث لا يدفعون لمن اقرضوا الحكومة مدة النقص
 دراهم قيمتها اعلى مما اخذ منهم

والطريق الثاني ان تنقص مبالغ الورق بقدر ما يلزم لرد
 قيمة الجنيه الذهب الحقيقية اليه بحيث ان الجنيه الورق يشتري
 به مائة وثمان واربعون حبة ذهباً خالصاً وهذا الطريق هو الذي
 اتبع وجرى العمل به ثم بعد الصلح نقصت مصاريف الحكومة وصار
 توقيف ضرب معاملة الورق وصدرت الاوامر لبنك الانكليز بجمع
 كثير من الاوراق واستبداله بنقود فاخذ الجنيه الورق الزيادة
 حتى رجعت قيمته لاصلها ولكن بعد خسارات كبيرة على الحكومة
 لان دين الحكومة ازداد زيادة فاحشة بسبب قلة قيمة نقود الدين
 الذي عليها عن قيمة القود التي دفعتها في التسديد وكذلك

ولما كانت الحكومة قد تصرفت في التهمة قدمت التضيعة
 للمجلس فصدر الاذن للبنك بان يتوقف عن استبدال الاوراق
 بالنقود ورخص في تسديد الديون بتلك الاوراق وحيث انه لا
 يصعب جعل نقود من الورق لعدم الكلفة في ذلك نشر من تلك
 الاوراق مبالغ جسيمة فكبرت اسما مبالغ العملة التجارية في البلد
 وزادت عن الحد فنزل سعر الورق بسبب ذلك نزولاً فاحشاً
 وسببه اننا لو فرضنا ان اللازم لدولة الانكليز ثلاثون مليوناً من
 صنف الجنيه يقضون بها ما يلزم لهم وفرض زيادة المبلغ الى اربعين
 مليوناً فلا تكون قيمته ذلك الا ثلاثين مليوناً بمعنى ان القيمة تنقص
 قدر الربع ولما اكثر الانكليز في تلك المدة من نشر ورق النقدي
 ترتب على ذلك ان صارت الورقة التي تقابل جنيهاً لا تساوي
 غير ثلاثة ارباعه نقدية ففي ذلك الوقت اخذت قيمة الذهب
 والفضة في الزيادة لفظاً فاقوة الفضة التي كان ثمنها قبل توقيف
 صرف قيمة الورق خمسة من الشلن واثنين من البنس صارت
 بعد التوقيف تساوي سبعة من الشلن واربعة من البنس وغلا
 سعرا قوات الامالي وضرورات معائشهم بنسبة ذلك

وحيث كان مصرف الحكومة دائماً في ازدياد اكثر من
 الاقتراضات وازدياد اليكون المطلوب منها من دون ان يزيد
 المطالبون لها من قبل لان الفوائض المقررة انما هي ارباح لمبالغ
 قديمة قيمة وحدتها عالية ولما تيقظت الحكومة لهذا الامر الفظيع

او تزيد عنها وهذا لا يمكن اجراءه على ورق النقدية اذا اكثر
الحكام منها حتى يتعدى مجموعها مقدار اللزوم وحينئذ يعترى
المبالغ المقررة فيها ما يعترى المعاملة من الراج وعدمه وانا اضرب
لك مثلاً يزيد المسئلة وضوحاً وكشفاً

وهو انه في مدة الحرب التي كانت بين الانكليز وفرناسا اقترضت
الحكومة الانكليزية من البنك الانكليزي مبالغ جسيمة فاؤل
اقترض استوفى جميع المودع عند البنك من اموال العملاء وكان
اثني عشر مليوناً من الجنيه تقريباً فلم ينشأ منه ضرر للبنك وإنما
نشأ الضرر لما اضطرت الحكومة الى الاقتراض مرة اخرى وطلبت
مبلغاً من البنك يقرب من احد عشر مليوناً من ورق النقدية ولم
تدفع في نظير ذلك شيئاً الا الاعتراف به وفرضت على نفسها فايضاً
تدفعه كل سنة وصارت تصرف من الورق ماهية المستخدمين
واثمان المشتريات وغيرها مما يلزم حتى زاد مقدار مبلغ النقدية
فنقصت القيمة وبسبب ان نوعي الذهب والفضة حافظان لقيمتها
دائماً لم يقع النقص الا في معاملة الورق

ومن ذاك العهد صار بين الناس نوعان من المعاملة اسمها
واحد وقيمتها مختلفة كما يقولون عندكم معاملة بالتعريفه ومعاملة
بالصاغ فهرع كل من بيده اوراق في الحال الى البنك لتغيير اوراقه
فاشكل الامر على البنك وطلب اربابه من الحكومة حل هذا
المشكل لان البنك لا قدرة له على الوفاء بما وعد به الخلق

الفرنك اقل من قيمة سبيكة من الفضة وزنها وزنه ففي هذه الحالة لا يتعامل بالفرنك بل يتعامل بالسبائك وصاحب الفرنكات لا يتعامل بها في صورة النقود بل في صورة السبائك فنضع قيمة النقود وتضطر الحكومة لاخذها من ايدي الناس فتسببها وهذا هو السبب في انه لا يصح نقص قيمة وحدة المعاملة عن قيمة وزنها من السبائك بخلاف العكس

فلو فرض ان مبلغ النقود قد اخذ في النقص والثقل مع بقاء البضائع والسلع على حالها مستلزما زيادة قيمة وحدة النقود مع بقاء الاشياء اللازم مشتراها على حالها لزادت قيمة وحدة المعاملة فتكون قيمة الدرهم مثالا من نوع المعاملة اكثر من قيمة وزنه سبيكة خالصة فتربح الحكومة فيما تضربه من النقود وقد ترغب الناس في ضرب السبائك وتكثر المعاملة بها من جهة اخرى

وبعض الحكام لا يرغب في ضرب النقود زيادة عن طلب الدولة والبعض يحب ان يربح ربحاً قليلاً واخر يضر بها بالخسارة فكما كثر المضروب منها نقصت قيمتها فتؤخذ وتسبك ومن كل ذلك علم ان وحدة المعاملة لا يلزم ان تكون اقل ولا اكثر من قيمة ما يعادلها من السبائك وقد صار معلوماً لحضرتكم ان النقص الذي يعترض النقود لا يمكن ان يصل الى ان يكون اقل من قيمة وزنه سبيكة لانه في هذه الحالة يسبك ما يلزم منها حتى تقل كمية الموجود منها وترفع القيمة الى ان تتعادل مع السبيكة

اذا كان لا يمكنه استبدالها بنقود او باشياء اخر نفي بقيمتها فلا يلتفت الى هذا الاعتراف فان الورقة المسطور بها الف غرش مثلاً لا تساوي في ذاتها تلك القيمة وحينئذٍ فلا فائدة في هذا الاستراف اذ لا يوءثر ذلك زيادة في قيمتها فان قيمتها انما هي باعتبار المزية القائمة بها النافعة في نحو شراء ما يلزم شراؤه بالمبلغ المعين فيها كما يكون مشتراه بنقود من ذهب او فضة فما دامت بهذه المزية كانت كالذهب والفضة سواء بسواء وتزيد وتنقص قيمتها بحسب زيادة الرغبة فيها وقلتها كما يحصل ذلك في سكك النقود فان من المعلوم لكل متامل ان قيم الاشياء التي تجعل ثمناً للسلع انما هي منسوبة لمقادير ما تجعل ثمناً له فان جعلت ثمناً لساعة جيدة ذات قيمة كثيرة كانت قيمتها كثيرة والمكس بالعكس لافرق بين النقود وغيرها

فلو فرضنا ان ما يلزم للفرنساوية من النقود لمشتري جميع ما يلزم لم ملياران من الافرنك يمكننا ان نعتبر ان هذا المبلغ ثابت لا يتغير الا اذا تغير اللازم لم من الاشياء فلو فرض تكثير التقديرة الى ان تصير اربعة مليارات اي ضعف المفروض مع بقاء ما يلزم من الاشياء ثابتاً على اصله ففي الحال تنقص قيمة التقديرة وما كان يشتري بفرنك يشتري باثنين فانه لم تكن الزيادة مقدار المفروض اولاً بل كانت اقل فلا شك ان قيمة الفرنك تتناقص بنسبة تلك الزيادة وحينئذٍ يمكن فرض زيادة بها تكون قيمة

بالنقود فوراً وان كثرت بها البنوكة

ويعلم ما ذكرانه يلزم ان يكون للبنك في مال البنك جزء
يخصه وذلك لزيادة الائتمان فانه يكون شبه كفيل وايضا هو نافع
للبنك في استعواض ما عسى ان يقع للبنك من الخسران في بعض
الاعمال بسبب خطأ يقع في بعض المصروفات ويتفجع به عوضاً عن
المبالغ التي تداخر عن اوقاتها لسبب من الاسباب وايضا هذا المبلغ
يزيد في اعماله وارباحه

واما امر اوراق النقدية فمخصوص بالحكومة فهي التي تامر
بنشره لبنك الحكومة ففي فرنسا يكون للبنك الفرنسي وفي
الانكليز للبنك الانكليزي وهكذا كل دولة من دول اوربا لها
بنك مخصوص هو الذي يخرج ورق النقدية ولا تخرج الحكومة
من ذلك الا قدرًا معيناً بالنسبة لحال التجارة ولوازم الامال
واعتبار تلك الاوراق كاعتبار النقود في التعامل بين الناس
سواء بسواء كما تقدم لكون البنك متعمداً باستبدالها بنقده متى
اراد حاملها صرفها بدون توقف في اي مكان من امكة الولاية
فياً خذونها للمعاملة في البيع والشراء والاجارات ونحو ذلك
ويسددون بها الديون والتفاسيط الميرية المالية وفي الالتزامات
وكما وجد الناس عدم التوقف في استبدال الاوراق بالنقود
ووثقوا بذلك بقيت فيها الرغبة وحفظت قيمتها والا فلا يكفي
في الائتمان اعتراف الحكومة بتلك الاوراق فان من بيده الاوراق

خسارة ثم ان البنكيكر في كثير من الاحوال يفوض للسماز فيبيع
 بالنباة عن اخرين اوراقا تجارية مثل اوراق الايرادات المقررة على
 الحكومة لبعض الاهالي واوراق اسهم الشركات والاقتراضات الميرية
 وفي بعض الاحوال لا تكفي المبالغ المسلمة اليه فيخرج اوراق نقود
 يتعهد باستبدالها بنقود لمن هي في يده حين تقديمها له وبهذه العملية
 تضاعف نقوده الجارية بين التجار ولا تضر باحد لان لكل انسان
 حق تبديلها بنقود متى اراد بلا نقص وبذلك تكون مثل القود سواء
 بسواء فاذا حصل مبادلة جانب منها كل يوم بنقود يبقى جانب
 اخر منها يتعامل به وذلك يزيد في رأس ماله ويفيده ارباحا
 حقيقية

واعتبار ورق النقدية مؤسس على ائتمان البنكيكر لعملائه
 واعتماد الناس على صداقته واقتداره فاذا حصل ما يخل بشيء من
 ذلك اخل نظام جميع اعمال البنك

وحيث ان الائتمان لا يكون واحداً في جميع الاماكن ولا عند
 كل احد وله اسباب حقيقية يقوى بقوتها ويضعف بضعفها كان
 الربح ايضاً مختلفاً ومتفاوتاً بحسب ذلك فاذا كانت المعاملة بين
 طائفة اميالها مؤسسة على الائتمان ولهم عليه محافظة بحيث لا يتطرق
 اليهم ما يهدم شيئاً من اركانها كانت الارباح كثيرة وانجاح حاصل
 واذا تداعت اركان الائتمان تداعى لها النجاح واضمحلت وهكذا
 فلذا كانت الجهات التي لا ائتمان بها اصلاً لا تتعامل تجارها الا

التجارية والبعض ترد اليه نقود زيادة عما يلزم له ولا تسبح نفسه بتعطيلها فله فيها طريقتان، اما ان يقيها في البنك زمنا غير معين لكن لا يكون له اخذها الا بعد نصف شهر فاكثر وفائدتها اقل من الاسكتت واما ان البنكيير يسلم اوراقا تجارية باسكتت اقل من الاسكتت الذي استولاه

وكما ان البنك يقوم مقام شخص او اكثر من اهل البلد الذي هو به او القريب منه كذلك يمكنه ان يجري تلك الاعمال بالنسبة للبلاد والمدن البعيدة عنه بواسطة اوراق حوالة من بنك على بنك اخر بمعنى انه باشتراك البنوكة بعضها مع بعض تسهل اعمال التجار الموجودين في بلاد متباعدة فاذا كان لزيد او على عمرو مبلغ وكل منهما قاطن ببلد غير بلد الاخر ويريد زيد تسديد ما عليه فانه يأمر بنكييره بتسديد المبلغ لعمرو فحينئذ ياذن ذلك البنكيير للبنكيير الذي ببلد عمرو بالتسديد فيسده لانها شريكان او انه يسدد المبلغ لاحد باكيرة بلده ممن يكون لهم معاملة مع البنكيير المقيم ببلد صاحب المبلغ هذه هي الاعمال الاساسية للبنوكة ولهم اعمال اخر اقل اهمية من ذلك مثل تقديم مبالغ على رهن من ذهب او فضة او حجب املاك او عقارات او اوراق شركات او اوراق اسهم او اوراق بضائع ففي كل ذلك يلتزم المقترض بتسديد المبلغ في الميعاد المحدد بحيث لو تجاوزه كان للبنكيير ان يبيع الرهن فهذه العملية تشبه عملية الاسكتت انما تُغير قيمة الرهن ولذلك ربما حصل للبنكيير

فيقدم لهم النقود بفائضٍ معين بايام قليلة ولا بأس عليه بذلك لان ماخرج من صندوقه سيعود له في ميعاده ولكن متى رأى ان مطلوب عملائه اخذ في الزيادة فلا يخرج بالاسكنت مبالغ مستحقة لحين امكان الحركة وانما يلزمه لاجل زيادة امنه في اجراء عملية الاسكنت ان يعلم ان المقترض قادر على الدفع في الوقت المعين ويكتفي في تحفظه علمه بان المقترض باع صنف بضاعته لآخر مقتدر واعطى سند الاعتراف بالتسديد في ميعاد معين فباعطاء السند المذكور للبنكبر وضمانه يكتفي البنكبر بذلك في الاعتماد ويسلم النقود للمقترض بعد حجز الاسكنت اي الفائدة بالنسبة للزمن المعين في السند فاذا باع زيد لعمره بضاعة بالف غرش وشرط عمرو على نفسه ان يوئدي المبلغ بعد شهر فلو فرض ان زيدا احتاج الى دراهم وليس له مبالغ عند البنكبر فانه يسلمه السند وياخذ منه الف غرش بنتص قيمة فائضها مدة شهر او شهرين على قدر ميعاد السداد الذي في السند ويحفظ عنده السند فيكون زيد وعمر ضامين للبنكبر المبلغ المذكور فاذا بيعت البضاعة وحصل ربح فذاك والا ضمن كل منهما للبنكبر قدر خسارته

وحيث كان الاسكنت يستلزم استعمال اموال جسيمة والبنكبر يجد فيه ربحاً عظيماً فانه يجتهد في ازدياد المبالغ في صندوقه وفي طرق تشغيلها

وحيث ان بعض التجار يلزم له مبالغ دائماً لادارة حركته

او نقد بل بالكتابة فقط ولو بلغ المتعاملون ما بلغوا متى كان
بنكيرهم واحداً ولو فرض ان المدين لا يعلم سند المبلغ اللازم تسديده
في وقت معين تحت يد من هو فلا يلزمه حينئذٍ الا ان ياخذ من
البنكير عميله قبل الميعاد بيوم مثلاً المبلغ المطلوب منه اللازم
تسديده وبهذه الطريقة يكتفي مؤونة حفظه زمناً طويلاً ويكفي
شر غوائل كثيرة ظاهرة

وحيث كانت حركة النقدية في الدخول والمخرج لا تنقطع
فلو اقتصر البنكير على حفظ ما يرد اليه وتسديد ما يلزم تسديده
بدون اعمال اخرى ربما ترتب على ذلك بقاء مبالغ جسيمة في صندوقه
بغير ترويج ولهذا تجدد جميع البنوك تجبر في ابدلون النقود صنفاً بصنف
برج قليل او كثير كما تفعل الصيارفة او يتجرون في سبائك الذهب
والفضة فيتحصلون من ذلك على بعض فوائد تضاف على المجهول
لهم من طرف عملائهم في نظير ما يجرون لهم من الاعمال التجارية
وتجارتهم في الذهب والفضة لا تضر برأس مالهم ولا باعمالهم مع
عملائهم لان هذين الصنفين مأمونان وكانهما نقود في صندوق
البنكير ولا يعسر عليه ابدالها او ضربها بل متى اراد فانه يبدلها
بنقود لقضاء الشغل ويضربها نقوداً على حسب ما يرى وزيادة
على ذلك يفعلون ما يقال له الاسكت لما يرون فيه من زيادة الربح
مثلاً لو فرض ان من ضمن عملائه جماعة لهم اعمال جسيمة
ودائماً يطلب منهم مبالغ في اوقات متقاربة لا يمكنهم اداؤها في اوقاتها

ليحفظها ويشغلها وتارة يقرض او يقترض على حسب الاحوال وتارة يطلق لفظ بنك على اماكن تجارية تشتغل ببيع الاوراق التجارية وشراؤها وتلك الاوراق مثل الاسهم في بعض شركات او اوراق الحوالات او الرجوع المالية او السندات ويكون ذلك لانفسهم او لغيرهم فحينئذ هي نوعان عمومية وخصوصية وكثير من الاعمال تجري بالاوراق بدل النقود بل قد يرغب في كثير من الامور في المعاملة بالاوراق اكثر من المعاملة بالنقود وعلى كل حال فالبنك عبارة عن الصندوق الذي تحفظ فيه المبالغ القدية او التي في الاوراق

والبنكير شخص يتولى النقود التي ترد اليه ليحفظها ويسدد منها مبالغ مطلوبة لاربابها وللبنك ائمال متعددة منها ان التجار يكون لهم وعليهم فاذا اردوا الاستراحة من العد والنقد سلموا ما عندهم من النقود الى بعض البنوك وكما طلب منهم او لم شيء احاله على البنكير ليستلم او يسلم ويكتب عنده فيستريح التاجر بذلك من العد والنقد والتسليم والتسلم ويستغني عن الخدمة والدفاتر التي تكثر وتقل بحسب كثرة الاموال وقتها وقد يجتمع جملة من التجار في بنك واحد فتحف المؤنة عليهم مثلاً لو فرض ان لزيد على عمرو الف قرش وبنكيرا واحد فيكتفي زيد بان يسلم السند الذي له على عمرو للبنكير فيضيف البنكير على المطلوب لزيد الف قرش ويخصم من المطلوب لعمرو نظيرها او يكتبه عليه وهكذا بغير عد

من الاعمال النافعة وكانت لا ترغب عمله على ذمتها فترتب لذلك متعهدين بعد ان تقدر قيمة العمل فيأخذونه على شروط يعقدونها ويجعلونه اسهماً بربح معلوم وتلك الاسهم تباع وتشتري في البرصة على يد السياسين فيتداولها الناس كل على حسب اقتداره فبعضهم من يأخذ سهماً ومنهم من يأخذ سهمين وهكذا فكل من دفع شيئاً كان له في الشركة حصة بقدر ما دفعه فاذا اراد احد بيع حصته او مات واراد ورثته ذلك اتوا الى هذا المحل فتكون السهام فيه كاللبضائع في الاسواق وحيث كانت الدول لا تثبت على حال بل تتغير على حسب ما يعرض للزمن من الاحوال كانت القيم ايضاً لا تثبت على حال فلا تكون في حالة السلم كما تكون في حالة الحرب لان درجة الامنية تتبع سياسة الحكومة فتعظم اذا استقامت الاحوال وتقل بعكس ذلك وفي كل حال من هذه الاحوال تتغير قيمة الاسهم فتارة تغلو وتارة ترخص كاللبضائع فقال الشيخ اريد ان استفهم منك عن امرين كثيراً ما حاك في صدري ذكرها ولا افهم معناها الاول سمعت مراراً كلمة بنك ولم افهم معناها والثاني رايت غالب المعاملة بالورق ولم افهم تفاصيل ذلك فقال الخواجا اما البنك فهو محل من اهم محلات التجارة له رجال يدبرونه بطريقة يحصل بها النفع العام ورئيس البنك يسمى البنكيير

واعمال البنك الاصلية تكون بالنقود فتارة تسلم اليه نقود

المسامرة (١٠٦)

البانكات واوراق المعاملة

ثم قاما وتوجها الى الشيخ فسألها عما رأياه من الحوادث او سمعاه فاخبره ولده بقصة الرجل ثم جاء الخوجا التلياني ولم يحضر الانكليزي

فقال الشيخ ليعقوب اظن ان الخوجا لا يحضر الا اخر النهار فقم بنا الى المحل الذي كنا به بالامس لنطلع على البرصة فركبوا جميعاً وساروا اليها فلما دخلوها صار اهلها ينظرون اليهم ويعرضون انفسهم لخدمتهم وسمعهم الشيخ يذكرون مدنا شهيرة واسماء كثيرة فبعد خروجهم سأل التلياني عن سبب ذكر هذه البلاد واسماء العباد فقال ان الدول في اعمالها العامة الكلية كاحاد الرعية في اعمالها الخاصة الجزئية فاذا ارادت دولة من الدول اقتراضاً او انشاء امور جسيمة كالترع والقناطر والسكك الحديدية وما اشبه ذلك

اني تركت لكم فرسي ما نجوت بنفسي فاما كلامه الا واحد الخفراء
يقول ان الفرس التي معي هي فرس هذا الرجل بعينها فلما سمع
الضابط ذلك امر بجبسي فسجنوني بجبس الدم قال يعقوب وقد
حكم على ذلك الرجل بالقتل بعد ثمانية ايام

فقال ابن الشيخ من يتأمل في هذه الحادثة يحكم بخطاء من
تسبب له في ارتكابه الجرائم ويحكم على هذا الشقي بانه قد بحث على
حنفه بظلمه حتى اخذ رغبته واصل ذلك سقطاته الدنيئة وشهواته
البهيمية ولقد احسن من قال

كل الحوادث مبدؤها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر
ومن ينظر الى ظاهر حاله يراه مسكيناً ضعيفاً ولا يتوهم فيه
هذه الفعال وانه لا قدرة له على ما ارتكبه من هذه الالهوال ولعل
قولهم الظاهر عنوان الباطن قاعدة اغلبية

قد نظر بعين الشفقة والمرحمة في قضيتي ما كنت دخلت الان
في الزمرة المذمومة وما كنت الان احناج الى طلب العفو ومع كل
ذلك فاني وان لم يكن في القوانين رخصة في العفو عني فلي بفي
واسع الحلم امل في ذلك ولئن شملتني مراحمكم لاجعلنّ ما بقي من
عمري خدمة للركاب العالي فان كان رجائي مقبولاً فليصدر الامر
بدرجه في الجرائيل لاعتمد على امركم الملوكي واحضر في الحال الى
المدينة والا فلتجبر الحكومة مجراها واما انا فاحرمّ على عيني المدينة
ان تراها . أه .

فلما ارسلته ابطاء عليّ خبره فاتبعته باخر ثم اخر وطلبت فيه
ان ادخل في الخيالة المتوجهين الى الحرب فلما لم يظهر له اثر يبلغني
عنه خبر صرفت النظر عنه وآيست من العفو عني وعزمت على
الهرب الى ايطاليا لادخل في عسكرهم فتحايلت حتى فررت من بين
تلك العصابة وسلكت طريقاً غير معروف ومررت بمدينة فاردت
المبيت بها وكانت الاوامر صادرة بالبحث عني في اوراق المسافرين
فلما قربت من باب المدينة وجدت المأمور جالساً على كرسي
فجعل يتأمل فيّ ثم طلب مني تذكرة المرور فناولته تذكرة كنت
اخذتها من رجل كنت نهيت ماله فلم يكتبف بها بل قام وامرني
باتباعه فتبعته حتى وصلنا الى الضابط فوجدت عنده رجلاً نحيف
الجسم طويل القامة فلما رآني ذلك الرجل قال ألسنت الرجل
الذي خرج عليّ يوم كذا في مكان كذا وكان معك اثنان ولولا

الاشقياء مثلي لم يطردوا عن باب مرحمتكم ارجو التعطف عليّ
 ومسامحتي ومما اعرضه على مسامعكم العالية اني كنت جنيت كبيرة
 القتل والسرقة ومعلوم اني بذلك استحق القتل فانا مستعد لان
 اسلم نفسي للتقصاص لكن اقدم لاثنا بكم الكريمة رجاءً غريباً وهو اني
 ولو اني لا اخاف من الموت لكن احب ان اموت بعد ان اؤدي
 واجبات الحياة فقصدي ان اعيش مدة اعوض فيها ما مضى مني
 من السيئات لاستحق العفو من الجمعية البشرية التي خرقت بتبجح
 افعالي ناموسها فان عقابي اليوم لا يكون مثلاً لغيري ولا يكون
 لي براءة من ذنوبي يوم القيامة فارجو البقاء لاتمکن من خدمة
 الوطن بدلاً عما عرفت به من ضرر وطني فيما مضى من عمري واني
 اعلم ان هذا الذي اطلبه شيء غريب لان حياتي ليست الان من
 حقوقي حتى اشترط شروطاً على الشريعة الا اني الان متمتع بحياتي
 وحررتي ولم اكن مأخوذاً ولا مكثف الايدي ولا اخاف من القبض
 عليّ فانه ابعد شيء مني ومع ذلك فاني اطلب العفو الذي هو
 شتمّ مراجعكم العلية وليس لي حق في طلبه ولو فرض فلست طالباً
 له مع انه يحق لي ان اقول لمن ينظر في امري ان اسباب شقائي
 ودخولي في زمرة المفسدين انما هو الامر الذي صدر بجرماني من
 جميع ما يتمتع به اولاد وطني واخراجي من زمرة اهل الخير الذين
 كنت منهم مع ان اصل ذلك اسباب واهية لا استحق بها الطرد
 الذي تسبب عنه اني صرت قاتلاً فلو كان من حكم عليّ بذلك

ما لم يعد عليّ من شجاعتي

ولما وصل خبري الى الحكومة اهتمت في ضبطي وجعلت لمن يدل عليّ او يضبطني جعلاً عظيماً ومع ذلك لم يتوصلوا مني على شيء وبقيت حولاً كاملاً بين هؤلاء القوم ثم كرهت عشرتهم والاقامة بينهم لتغيير قلوبهم عليّ فاجتمع عليّ امران نفور الجماعة مني وبجث الحكومة عني فكنيت احتس على نفسي ليلاً ونهاراً من سطوة الحكام ومن خيانة هؤلاء البغاة الطغاة وبعد ان كنت افرح بعمل السوء والسعي في طريق الفساد تبدل فرحي غماً وسروري همّاً وتمنيت مفارقة هذا الغرور والعدول عن تلك الشرور وندمت على ما فرط مني من الكبائر والتفريط في جنب الله وصرت ابكي وانتحب واقول لعلي اذا تركت هذه الطائفة واحوالها وتخلصت من احوالها اتخلص من الرذائل واتحلى بالفضائل ثم صممت على مفارقة تلك الارض لاعيش بين قوم لا يعرفونني واتوب الى الله تعالى عسى ان يقبلني انه تواب رحيم

وبينا انا افكر في ترفعي عن دركات الشقاوة الى اول درجات السعادة اذ اشيع خبر قيام الحرب في جهة ايتاليا وان الملك مجتهد في تجهيز العساكر لذلك فندتني نفسي ان اكتب الى الملك خطاباً يتضمن طلب العفو عني وادراجي في سلك المجاهدين فكتبت اليه ما صورته

اذا كان رضاكم في عدم احتقار النزول الى درجة مثلي وان

لبي علق بالصغيرة اكثر لمعنى فيها جذبني اليها فجعلت انزه طرفي
ذات اليمين وذات الشمال فقال لي صاحبي كيف رأيت مجلسنا
قلت مجلس انس وفيه كل ما تشتهي النفس فقال نحن هكذا كل
يوم ناء كل الذ الماكل ونشرب اعذب المشارب ونتمتع بالنظر الى
الحسان فان رضيت الاقامة معنا ورغبت في عشرتنا آثرناك على
انفسنا ورفعناك فوق رؤسنا وجعلناك رئيساً علينا وكان قد دب
في الشراب فلما سمعت هذا الكلام فرحت به وتذكرت اني كنت
طريد النوع البشري والان تحصلت على ماري من التمتع بجميع
الملاذ آكلاً وشرباً وظفرت بمن كنت اهواه من الحسان ربات
المجال وصرت آمناً مما اخاف فلم لا ارضى بما عرض عليّ اختياراً
منهم لا سبياً وقد رايت من الجماعة الاجماع على ذلك فلم ارَ بداً من
القبول للحصول على المامول لكن رايت ان اشترط على الرئيس
اخذ الفتاة التي علقتمها فاجابني الى ذلك وقال لي وان احببت
جعلتك رئيساً على هؤلاء الرجال ثم قبض على يدي وقال قد
نزلت لك عن الرئاسة قبيلتها واخصصت بصغرى البنين ولم
ينازعني احد من القوم ولا عاني وصرت صاحب امرأة عاهر
ورئيس قوم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر واخذت من حينئذ
افسد في الارض وارتع في اساليب البغي والعدوان فهابني جميع
الناس وراعهم امري وقد كنت اشبع بين المغفلين من الفلاحين
اتي مصاحب جنية فزاد ذلك في هيبتي لديهم وعاد عليّ من غفلتهم

فصفر الرجل بفمه فجاوبه اخر من بطن الارض واذا بطابق قد
انفتح وبه سلم ينزل عليه الى جوف الارض فنزل فيه وقال حتى
اربط عنك الكلب ونادى الكلب فجاءه فربطه بقم الطابق ثم غاب
عن بصري فداخني خوف شديد وخطر ببالي ان اخذ السلم
وافرّ به ثم نظرت الى قم الطابق فرأيت دخاناً يتصاعد كأنه طاقة
من طاقات جهنم وان احد الزبانية جاءني في صفة هذا الرجل
ليريني ما انزجر به عن الافعال القبيحة فسمعت قائلاً يقول ان
كان قاتلاً او يناه او كان مظلوماً نصرناه ثم جاء الرجل وقال لي
انزل فنزلت فوجدت غاراً مستطيلاً وبه مساكن صغيرة ونساء
ورجال محدقون بنار اضرموها فلما قربت منهم قاموا جميعاً وسألوا
عليّ وحيوني واجلسوني وجلسوا محيطين بي واخذوا يعامروني
مسامرة ترفع عني الاوهام والمخاوف ويشنون عليّ بسالتي ويمداحون
شجاعتني فانصرف عني الجزع والخوف حتى رأيت نفسي قد داخلها
العجب والكبر ثم امروا بالطعام فاكلت معهم ثم دارت علينا اكووس
الشراب فشربنا وطربنا وكنت وقت الاكل بين امرأتين حداهما
قد ناهزت العشرين وهي بكر وكانت فصيحة طالقة اللسان حاضرة
الجنان سريعة الجواب خفيفة الروح والاخرى اصغر منها الا انها
متزوجة ناشزة من زوجها لسوء عشرته معها وكانت اقوم من
الكبيرة قدأ واحسن شكلاً وارق مبنياً واخف معنى نحيفة مألوفة
فهويتها وان كانت الكبيرة تسارقني النظر وتمازحني طويلاً لكن

وقد سافقت المقادير فلا فرقة بيننا الا بهادم اللذات الذي يستوي
عنده الجليل والحقير

ثم قال هل من العدل ان يعذبوك هذا العذاب ويسجنوك
ويحرموك من اصحابك واحبابك وبلدك بخنزيرين صدتها من
الغيطان لا قيمة لها ولا كلفة في مؤنتها وهل من الانصاف ان
تهان تلك الاهانة ويفعل بك ما فعل حتى آل بك الامر الى
تناسي الملة واتنى على ذلك ضياع حقوقك المالية والمالية جميعاً وصرت
بجال يرثي لها بحيث لا يقر لك قرار ولا تستطيع الاقامة في موطن
فهل ليس للانسان قيمة تساوي قيمة الارنب

ثم سكت ملياً وقال وماذا فعلت حين اقاموا عليك النكير
بقتل الخنازير فقلت لم اجد لي حيلة الا قول القائل
اذا لم يكن الا الاسنة مركباً

فلا يسع المضطر الا ركوبها

وكنت كثيراً ما اتمثل بقول القائل

كفي بك داء ان ترى الموت شافياً

وحسب المنيا ان يكن امانيا

وكان الشراب قد اخذ مني اكثر مما اخذ منه فقصصت عليه

القصة بتامها ثم سألته عن حاله فلم يرد عليّ جواباً واخذ بيدي

وقال لي نجوت وبلغت ما رجوت فسر بنا الى اخواننا لتعرفهم

ويعرفوك فسرت معه نحو نصف فرسخ فدخلنا ارضاً كثيرة الشجر

بكلام لم اشعر به فقلت اتركني فالحياة قصيرة وعذاب الله طويل
فصعد نظري في وقال يظهر انك قريب من الشئق وان لم يكن
كذلك فلا علم لي بصنعتي فقلت ان لم يكن ذلك حاصلًا
فسيحصل اتركني اسير لحالي فوضع يده في يدي واخرج زجاجة من
شنتة معلقة في ابطه فيها شراب فعزم علي ان اشرب معه وكن
في ذلك اليوم المشووم لم اتناول شيئًا من الطعام ولا الشراب من
والتعب فشربت معه فحصل لي انتعاش وخفت عني
متاعبي وشمومي وتعلقت بحبل الحياة وأنساني الشراب شقاوتي وتخلت
السعادة حيث اجتمعت بمن هو مثلي فاني كنت مجردًا عن الانيس
والاليف وزال عني اضطراب القلب والتعاب ثم ان الرجل
اضطجع على الحشيش فاضطجعت بجانبه وقلت له ان شرابك اراخي
فيلزمننا المواخاة والصحة وكان معه شبق فملاه دخانًا وقده الزند
وولع منه الدخان وتكيف ثم قلت له هل مضى عليك زمان طويل
في الكار فنظر الي ثم قال اي كار تريد فوضعت يدي علي سكينته
وقلت له هل قنلت كثيرًا وسفكت الدما فعبس في وجهي وقال
من انت يا هذا ووضع السكينة على الارض وجعل ينظر الي فقلت
اني مثلك قاتل لكني مبتدىء في الكار فسكت قليلاً وقال انت
لست من هذه البلاد فقلت اني من بلد قريب بينك وبينه ثلاثة
فراسخ وذكرت له اسمي وقلت لعله قد وصلك بعض اخباري فعند
اذك نهض قائماً وعانقني وقال طال ما تمنيت لقائك وصحبتك

الهويناء وادخلت البرنيطة الى اخرها في رأسي حتى نزلت على
 عيني وسترت وجهي لاني كنت اريد ان اخفي نفسي عن كل شيء
 حتى عن الاشياء غير الباطنة وسلكت طريقاً ضيقاً لا ادري اين
 يوصلني فاوصلني الى مضيق مظلم في داخل الغابه فازددت خوفاً
 على خوف وبينا انا اسير اذا بصوت مرتفع يقول قف مكانك
 يا هذا فرفعت البرنيطة قليلاً فرأيت رجلاً في هيئة هائلة قد
 دهمني ومعه نبوت كانه جزع نخلة وهو مصفر اللون مع سواد
 خفيف وفي عينيه بياض شديد مع حورٍ وعلى وسطه حبل طويل
 قد اداره مرتين فوق سلطة خضراء وفي حزامه سكينه عريضة
 وطبجة ذات طلقتين وعند قوله قف هنا نزلت على كفي يد ثقيلة
 كالطرقة فخفت اولاً منه ولما تحققت انه من قطاع الطريق ذهب
 خوفي منه لاني حينئذٍ كنت لا اخاف الا من يخاف الله دون
 مرتكب المعاصي ثم قال لي من تكون انت فقلت مثلك ان
 كنت كما اظن فقال ليست الطريق من ههنا فما انى بك
 هنا فقلت له وانت ما اتى بك ههنا ولأني شيء تسألني
 وانت مثلي فلما رأى مني عدم الخوف منه تأمل فيّ وفيما
 انا عليه وقال انت تتكلم كالشمازين ثم بهت كانه تحير في
 امري فقلت ربما كنت كذلك بالامس فضحك من ذلك وقال
 ستعلم لنا حقيقتك ويظهر لنا مقصدك فقلت اتركني اسير في طريقي
 فقال نسير سوياً صاحبي فلا تعجل فسكت قليلاً ثم نطقت

اردت ان اصر ذلك في جبي فلم استطع وكان شيئاً مسك
 بيدي ثم ترجع عندي ان اترك الساعة ولا اخذ الا الدراهم فرميتها
 ولم يكن سبب ذلك خوف تعظيم كبير القتل بكبيرة السرقة بل
 الحامل لي على رميها الانفة والتعاضم عن اخذها لانه قد خطر
 ببالي انهم لو قبضوا عليّ وهي معي لقالوا ما قتله الا لاخذ ما
 معه فينسبونني الى قله المروءة مع اني ما قتلته الا تشفيماً فيه ومكافاة
 له على فعله معي ثم مضيت في الغابة وكنت اعرف انها تمتد في
 الشمال نحو اربعة فراسخ فتنتهي الى حدود ابيلاذ المجاورة لها
 فاخذت اهرول واعدو عدواً شديداً الى قريب الظهر ومن
 كثرة الجري ضاع عني بعض افكاري ثم صرت كلما قلت في
 الجري قوتي كثرت فكري و زاد اضطرابي حتي كنت ارى
 خيالات مهولة محيطة بي من كل جهة كل واحد منها اكبر
 هولاً من الاخر وكان تلك الخيالات تضربني باسلحة حداد
 توءم صميم قلبي فكنت في عذاب اليم وخوف مستمر حتي كنت
 اهم بقتل نفسي لاستريح من القبض عليّ والحكم بقتلي وكلما هممت
 بضرب نفسي اجد عندي جيناً عن ذلك وتعز عليّ مفارقة الحياة
 مع اني في رعب شديد من البقاء وبقيت حيران لا يهنا لي حياة
 ولا موت وحل بي خوف عذاب الله في الآخرة واستبررت بي هذه
 الحالة الى الساعة السادسة من اثناء هروبي وهرّ علي فكري جميع
 انواع العذاب الدنيوي والاخروي ثم اني اقللت العدو ومشيت

الموت في الدنيا وعقاب الله في الآخرة وصغرت عندي حالي
الاولى بالنسبة لما صرت فيه لاني صرت من تخيل القتل والصلب
والمشقة وحبالها وتصورت لي صورة شتى امرأة كانت قتلت ولدها
وكنت نظرت اليها مشنوقة وانا صغير في المكتب ورايت ان حياتي
من يومئذ صارت من حق القصاص وصرت اتمنى حياة المقتول
لا تخلص من هذه الورطة ثم انتقلت ففكرتي الى تعداد سيئاته مع
طول حياته لاهون على نفسي وجعلت اربط افعاله السيئة بعضها
ببعض فلم يساعدي تصويري وغلبت عليّ المخاوف وغاب عني ما
كان قبل ذلك بربع ساعة مشعلاً نار الغضب في احشائي حتى
اوقعتني في حد القتل وبيناً انا في هذه الافكار اذ سمعت عن بعد
صوت فرقلة وفرقعة عربية تسير خارج الغابة وكان محل القتل
قريباً من الطريق بنحو ربع ساعة فانتبهت من دهشتي من شدة
الخوف فاخذت في اسباب الاخفاء ودخلت وسط الغابة هائماً
على وجهي لا ادري اين اتوجه ثم خطر ببالي ان مع القتل
ساعة فعزمت على العود اليه لآخذها فاستعين بشئها ولم يكن
معي شيء من النقود اصلاً فلم اجد لي جسارة على القرب منه
وتجاذبني خوف عقاب الله تعالى واغواء الشيطان فصرت اقدم
رجلاً واؤخر اخرى واتردد بين الاقدام والاحجام ثم غلب جانب
الاقدام فوصلت اليه وانا في وجل شديد وخوف عظيم فاخذت
الساعة ووجدت معه ايضاً نقوداً تقرب من ريال فاخذتها ثم

وعدم فرضه وجودي وكأنه لم يقف على قول القائل

احذر عداوة من ينامر وجفنه

باك يقلب طرفه نحو السما

يرمي سهاماً ما لها غرض سوى

الاحشاء منك فربما ولعلها

وبينا انا اتشفى فيه اذ تغيرت حالتني وداخلي الخوف وتنبهت
لنفسى وصرت كنائم استيقظ من رقدته او نشوان صحا من سكرته
وحق في المثل راحت السكن وجاءت الفكره ولا سقط في يدي
رايت اني قد هلكت فحينئذ رجعت على نفسى باللوم والتقرير
ودهشت ما حصل مني ووقعت البندقه من يدي ورايت قواي
قد بطلت ونفسى قد همدت وقلت الان صرت قاتل نفس وقد
يئست من الحياه بذلك الفعل الشنيع الذي استحق عليه القتل
وصرت وانا في الغابه كاني في مقبره ممتلئه بالاموات
لكثرة فكرتي في الموت وكان السكون حولي من كل جهه وكأني
اسمع نفسى تقول لي يا قاتل ثم دنوت منه فوجدته في اخر نفس
فبهت وجعلت انظر اليه مدة ثم رايتني اضحك بتهقه واتكلم مع
الرمة واقول الان لا تكلم ثم داخلي الشاغل ثانياً وقلت لنفسى
ان ما قاسيته من الهموم والمشاق من مدة سنتين هو عقاب ما
جنيته فيما مضى حتى رايت من الباساء والضراء ما كنت اظن انه
لا يوجد مثله لمخلوق غيري والان قد جنيت جناية كبيرة تستحق

القوت والرصاص والبارود واقمت بالغابات على اسوء الاحوال
 عدة اشهر حتى تنوسي امري وصاروا لا ينسبون اليّ شيئاً مما يحصل
 من الاتلافات ولا يدرون اني في البرية مصر على الغدر وفي
 ذات يوم رأيت حيواناً فعدوت خلفه اريد صيده فلم ادركه الاّ
 بعد ساعتين فحررت البندقية عليه لارميّه فلاحت مني التفاتة
 فرأيت رجلاً قد صوب بندقته الى هذا الحيوان فامعنت النظر
 فيه فاذا هو الخفيّر الذي كان السبب في جميع ما لحقني من الهوان
 فهاج جسمي واشتعلت نيران قلبي وقلت هذا اكبر اعداي الذي
 انا هائم في الغابات لاجله هذا الغرض الذي انا قاصده هذا وقت
 انتهاز الفرصة في حرمانه من الحياة تكلنتني امي ان تركته يعيش برهة
 من الزمن وارتعدت فرائصي وتضاربت اسناني واضطرب نفسي
 حتى اني لم اشعر بتحول البندقية فضربته فنفذت الرصاصة في
 احشائه فانكب على وجهه يتسخط في دمه كأنه من هدايا مكة
 ففي الحال خمدت نيران قلبي وبرد غليلي وشفني عليلي وقلت اني
 قد اخذت بثاري وكان لسان حالي يقول
 ولست ابالي اذ أرحت حشاشتي

بقتل عدوي ان اعذب بالنار

ولست أرى شيئاً يلد حديثه

وافرح منه مثل اخذي بالثار

وقلت ما اوقع هذا الغي في شبكة صيدي الا نسيانه لذنوبه

فاصبحت كاني مزقت جلباب الحياء عن وجهي وصرت اتلذذ
 باقامتي بينهم مع نفورهم مني وتباعدهم عني لاني كنت ارى في ذلك
 عذاباً اليماً عليهم على اني ما كنت املك شيئاً اخشى عليه او احرص
 على حفظه وكان دابي العدول عن كسب الطيبات لانها كانت
 مطبوعة في اذهانهم وكان المطبوع في ذهني حب مخالفتهم فيما
 يحبونه وكنت اعرف من نفسي اني لو رحلت عن بلدكم الى بلد
 اخر فلربما كنت اتحلى بفعل الجميل والخصال الحميدة ولكن تشفياً
 منهم ابيت الا الاقامة بينهم لان تذكاري لما قاسيت من الاهوال
 والالام اذهلني عن الصواب وعن كل ما يقال له شرف او فضل
 وتماديت على ما انا فيه من الرذائل ومع هذا فكنت مضطرباً في
 احوالي غير قاصد امراً معيناً افعله انما كنت اتصور ان القوانين
 وضعت للبحري على سننها والعمل بمتضاهاها فخالفتها عمداً لما نابني
 بسببها من النوازل والمصائب الفاتئة الحمد وان كانت مخالفتي
 لها اولاً جهلاً وطيشاً ثم رجعت الى الصيد مع اصراري في الباطن
 على اضرار السوء فصرت اصطاد كلها وقع بصري عليه وكانت هذه
 الصنعة عندي شهوة لذيدة وكل حين كان يزداد تطبعي عليها
 خصوصاً ولم ار غيرهما انتوت منه وازداد عندي حب مخالفة
 القوانين السياسية وذهب عني الخوف الذي كان يلحقني قبل ذلك
 وصرت مزمناً على تسكين الرصاص في قلب من يقرب مني وكنت
 اصطاد لتصد الاتلاف ولا ابيع منه الا القليل على قدر شراء

رأى من تشوه هيئتي فان لي مدة ما تعهدت لحيتي فشعثها ضرورة
 يزيد في شناعة صورتي ثم خطر ببالي احتمال اخر لفراره مني وهو
 انه ربما كان كغيره يعرف امري وما انا عليه من الطرد والابعاد
 ففر مني وعند ذلك بكيت بكاء لم يسبق لي مثله واعتاني من الحزن
 اضعاف ما عانته في السجن وقلت قد فر هذا الطفل مني كما يفر
 من الحيوان المفترس فهل عندي شبه بوحوش الجبال ام هل
 رأى في وجهي علامة الفزع او انه ضاع جميع شبهي بالادميين
 من شدة عداوتي لهم ثم انزويت في ركن تجاه باب الكنيسة من غير
 قصد مني ولا شعور ثم قمت من هذا المكان كاسف البال لما
 رأيت ان جميع معارفي واصحابي مروا بي وراوني ولم يسلموا عليّ
 كأنهم لا يعرفونني ثم عدت الى قهوة فرأيت في طريقي امرأة عليها
 اثر الذل والمسكنة فتأملتها فاذا هي التي كانت سبباً في جميع ما
 حل بي وقد صارت في حالة يرثى لها فعرفتني ودنت مني ونادتني
 باسمي وقالت الحمد لله الذي اعادك وعلى وجهها كآبة تشهد على
 اعمالها السابقة واللاحقة ورأيت ان لها اخنلاطاً بجماعة من العسكر
 فعرفت طريق تعيشها فصرفت وجهي عنها وحصل لي نوع من
 الراحة لانني رأيت من هوادني درجة مني

ثم سألت عن والدتي فاخبرت انها قد ماتت وبيعت تركتها
 في ديون كانت عليها فعرفت اني صرت مجرداً من المال والاهل
 وقد كنت سابقاً اتوقى ملامة الناس واخشي علي نفسي العار

ارى في نفسي العداوة لجميع بني ادم لما قاسيت من الشدائد وسوء
 الحال وهم في امن وثروة ورخاء فكنت اذا ابصرت الشمس
 طالعة من وراء الجبل الذي عليه القلعة او سمعت صفير ربح
 او صوت عصفور هاجت اشجاني ومنت احزاني واوقدت بفؤادي
 نار ارادة الانتقام فكانت كراحتي لابناء جنسي دائماً في ازدياد فلما
 استوفيت المكتوب وخرجت من السجن لم يكن لي هم الا الرجوع
 الى بلدي لا حباً فيه ولا للتعيش به بل لتقص الانتقام من الذين
 كانوا سبباً في شقاءي وطول عنائي فصرت اهرول واعدو
 عدواً شديداً وفي قلبي شيء يمهلي على الجري كالسائق العنيف
 واذا رأيت من بعد ناقوس الكنيسة هاج ضميري وثار فكرة ما
 مر عليّ من الشدائد وكبرت في نفسي جرائم اعداي ففتحت عليّ
 جراحي وكبرت شهوة الانتقام عندي وصرت اعدد اعداي واصور
 في نفسي ما يحصل لهم من الرعب والخوف عند رؤيتهم اياي على
 حين غفلة فتمهون عليّ الالام وهكذا حتى وصلت الى البلدة وما
 كنت انظر اليها بالعين التي كنت انظرها بها من قبل وكان
 دخولي في ضحوة النهار فوجدت اناساً ذاهبين الى الكنيسة يعرفونني
 واعرفهم فنظروا اليّ وتجاهلوني فأعرضت عنهم وذهبت الى السوق
 فرأيت به طفلاً جميلاً الصورة وكنت قدماً احب الاطفال فاعطيته
 صليداً كان معي فاخذه مني وجعل ينظر اليّ ثم رمى به وفرّ
 كالحائف فعجبت من ذلك ثم قلت في نفسي لعله انما فر مني لما

حتى جرتني ذلك الى ما وقعت فيه واني وان كنت قبل السجن
اميل الى الفساد لكن كان يمنعني عنه خشية العار او خوف العقاب
فلما ادخلوني السجن بزعمهم انه يريني ويحسن احوالي وجدت به
من الاشقياء المحكوم عليهم نحو عشرين شقياً اثنان قاتلان والباقيون
ما بين لصوص وقطاع طريق فكنت اذا ذكرت اسم الله يهزأون
بي ويقولون ما لا يسعني النفوس به من سب المسيح والتفاخر بالقتل
وسلب الاموال وهتك الاعراض ونحو ذلك من حكايات تجها
الاسماع وتنفر من سماعها الطباع فاذا اردت اجنباهم لم اجد غيرهم
فاضطرتت الى العود الى مجالستهم ومجانستهم فلما طالت عشرتي
بهم لم اجد بداً من موافقتهم حتى صرت واحداً منهم وضاع ما
عندي من حسن العقيدة وتعودت الامور الذميمة وألفت الكبائر
حتى فقت على اقراني في الشقاوة والفساد ولقد صدق وبالحق نطق
من قال مشيراً الى هذه الحال

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولطول عشرتي لم واضطراري للامتزاج بهم لم اعمل بقوله

في البيت الاخر

فان كان ذا شر فجانبه سرعة

وان كان ذا خير فقارنه تهدي

بل تهت في اودية الضلال وغرقت في رديء الخصال وكنت

تفر منه ولا تميل اليه فضاق من ذلك ذرعاً واشتد به حال
 الفقر فأتاد وذل وطلب الخدمة لتحصيل المعيشة ومع ذلك لم يقبله
 احد من عظماء بلده ولا ارباب الفلاحة لضعفه عن الخدمة فاشتد
 كربه واستحال حاله وخابت اماله

ثم اخبر رعي الاغنام فابت اربابها من تمكنه منها لعلمهم
 بسوابقه وسوء سيرته فلما لم يجد للمعاش سبيلاً عاد لما عوقب
 عليه مرتين واتخذ حرفة ثالث مرة لكنه صحا من سكرته واستيقظ
 من غفلته فتمدحج بالسلاح في الغدو والروح فكان لا يغفل عن
 عدوه طرفة عين ولا ينسى القبض عليه مرتين وصار بالمرصاد لعدوه
 في جميع حالاته ملاحظاً لجميع حركاته وسكنانه ولكن لسوء تدبيره
 وحذق عدوه وقع في شرك الحكومة ثالث مرة بدلالة عدوه عليه
 فاخذ وسجن وحكم عليه هذه المرة بالسجن والاشغال الشاقة ثلاث
 سنين بعد وسمه بالنار على ظهره كالحبوان البهيمي فامضي تلك
 المدة في عذاب اليم كانه في نار الحميم وبعد مضي المدة خرج من
 القلعة التي كان محبوساً بها متغيرة جميع احواله هكذا اخبر القسيس
 الذي اعترف له بذنبه

فقال ابن الشيخ ثم ماذا حصل قال يعقوب اخبر القسيس
 عنه ايضاً انه قال اني قبل دخول سجن هذه القلعة كنت احسن
 حالاً من حالي بعد ذلك فانه ما زادني السجن الا شقاء وحباً
 للغدر والفساد وذلك اني قبل سجنني كنت طائشاً صغير العقل

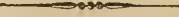
يتصور عظم شأنه ورفعة قدره فيجملة ذلك على الترفع عن الخدمة مع ما هو عليه من الضعف والعجز فحصل له حيرة شديدة ولم يجد سبيلاً به يتحصل على مرغوبه ثم استحسن طريق الصيد فسلك هذا المسلك مع ان القوانين كانت مانعة من الاضطهاد من ارض الغير وكان يقرب بلده غابة فصار يذهب اليها ويصطاد منها وما يتحصل عليه ياتي به الى محبوبته فاظهرت الميل اليه واثرته على سائر احبتها فاعنادوا وضجروا وفيهم رجل من خفراء الغيطان فاخذ يبحث عن احوال هذين المتحابين حتى وقف على الحقيقة وحيث انه يعلم القوانين المانعة للصيد من ارض الغير وان من تجراء على ذلك جزاؤه الحبس ترقبه حتى قبض عليه فاخذه واوقعه في يد الحكومة فصرف جميع ما عنده حتى تخاص وترك الصيد فاطتعت العلائق بينه وبين البنت لعدم ما يواصلها به واستبدلته بخصمه وجاهرت بذلك فاضرمت نار العداوة بقلبه فاراد الانتقام من الخفير فلم يقدر لشدة فقره وضيق الحال عليه فترك البلدة واقام ببلدة اخرى قريبة منها وجعل يصطاد خفية وبينما هو في صيده مرة غافلاً عن عدوه اذ احيط به وقبض عليه باغراء غريمه الاول فاخذ وحكم عليه بالسجن عاماً كاملاً

فكان في تلك المدة تنمو فيه سورة الغضب وثقوى ارادة الانتقام حتى مضى الحول وعاد الى منبته فاول شيء اشتغل به البحث عن محبوبته ولكن اتبع منظر ورثانة حاله كانت اذا راته

ولما خرجا رغب ابن الشيخ ان يفهم قصة هذا المعكوم عليه
فلما بعدا عن الازدحام سال يعقوب عن تفصيل القصة فقال
يعقوب عرج بنا على احدى القهاوي لنستفيدها من اوراق الحوادث
لاني لم اتحققها باطرافها فذهبنا الى قهوة قريبة هناك وجلسا
بمخزنة صغيرة وطلب كل منهما ما يشتهي وصار يعقوب يقرأ اوراق
الحوادث الى ان قضى ما اراد ثم رعى الورق وقال ان اصل
هذا الشقي من قرية قريبة من مدينة اورليان تركه والده في
المهد فربته امه ولما بلغ سنه عشرين عاما كان يساعده في المعيشة
ولكن كان شقيا من ابتداء طلعه حتى عرف بذلك بين اقرانه
وهو في المكتب وكانت البنات تكرهه لتجربته على ما لا يليق مع
انه قبيح المنظر وسقيم الجسم احد شقيه عاطل فكان اذا مشى يضحك
منه من يراه ولا يألفه احد من النساء لدمايته ولسخافة شقله كان
يجهد في نيل ما لم يتمكن منه من النساء ولو بالتهر ومع كون
شهوته كشهوات الحيوانات العجم تعشق بنتا بارعة في الجبال وهي
لا تحبه ولا تميل اليه بل كان حبها وميلها لغيره وانما نظره له المحبة
وتلاعبه لسلب امواله وهو منكب عليها بكليته وقد وقع في قلبه
ان كثرة الهدايا تعطف قلبها عليه لكونها فقيرة فصار ينفق عليها
كل اكتساب والدته ومع ذلك فلم يبلغ اربه مع ارباد فقره سيما
وهو يحب الراحة وليس له طريق الى الاكتساب ولا يرضى بان
يشغل باسغال الفلاحين فانه كان من غباوته وجود طبعه

بماذا بيت عليه فهل تاذن لحضرة نجلك في التوجه معي فقال الشيخ
 لأبأس إنما لا بد ان تكونا ههنا قبل الزوال فان حضر الخوجا
 توجهنا معه حسب ما يحصل عليه الاتفاق وان لم يحضر ذهبنا
 نحو العين التي كنا بها امس فقد انشرح صدري من رؤيتها فقال
 يعقوب سمعاً وطاعة واخذ بيد ابن الشيخ وسارا راجلين يتحدثان
 الى ان وصلا الى المحكمة فوجدا اناساً كثيرين هناك وبابها طائفة
 من العسكر يمنعون البعض من الدخول فتقدم يعقوب للضابط
 وعرفه انها غريبان ويريدان الدخول فابي ان يدخلها فجعلا
 يتحيلان عليه بانواع الحيلة فلم يجد ذلك شيئاً وبينهما كذلك اذا
 بالخوجا التلياني الذي كانا عنده بالامس قد اقبل فعرفها وسلم
 عليهما وتكلم مع ابن الشيخ بالعربية وكلم الضابط كلاماً عرفه
 الحقيقة ثم ادخلها فوجدا خلقاً كثيرين محيطين بحاجز من حديد
 بداخله محل المحكم الذي هو صدر المكان وفيه جميع الاعضاء كل
 على حسب درجته والرئيس هناك على كرسي مرتفع وامام الجميع
 طاولة فلم يلبثا الا قليلاً وتم المجلس فامر الرئيس باحضار الجاني
 فاتي واجلس على كرسي من خشب وصاروا يسئلونه نحو الساعة
 ثم قام الرئيس وتلا خلاصة طويلة ثم هاجت الناس فرحا وصار
 العسكر يخرجون الناس فمن الازدحام وكثرة اللغط وعدم معرفة
 ابن الشيخ بلغتهم كما ينبغي لم يعرف الامر على ما هو عليه انما عرف
 انه قد حكم على الجاني بالقتل في يوم معين

فقال ايها الشيخ لقد اجدت فيما اجبت وقد شفيت مني الغليل
 وازلت شبيهاً ما كنت اجد لها من مزيل فانت الرجل علماً وادباً
 وعقلاً وكلاماً ليتني لا افارقك ابداً ثم خرجا من المكتبية وصارا
 يتحدثان في امور شتى حتى ازف الليل فاستاذن الشيخ للقيام فصحبه
 الرئيس وصاحب البيت وبعض الحاضرين تعظيماً له حتى ركب
 عزبته وسار معه ولده ويعقوب الى منزلهم



المسامرة (١٠٥)

قصة

وفي صبيحة تلك الليلة دخل يعقوب على الشيخ فسلم عليه
 وعلى ولده ثم قال رايت باوراق الحوادث امس ان احد الاشقياء
 الشائع ذكرهم بنواحي باريز قد ضبط منذ ايام وفي هذا اليوم
 يكون بت الحكم عليه في مجلس الحكم وارغب الحضور هناك لانظر

يشاء الى صراط مستقيم ومن بحر الهزج من مخرومه تالله لقد اترك
الله علينا ونظيره القوه على وجه ابي يأت بصيرا ومن بحر الرجز
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذيلاً ومن بحر الرمل وجفان
كالجواب وقدور راسيات ونظيره ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك ومن بحر السريع قال فإ خطبك ياسامري ونظيره
نقذ بالمحق على الباطل ومنه او كالذي مر على قرية
ومن بحر المنسرح انا خلقنا الانسان من نطفة ومن بحر الخفيف
أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ومنه لا
يكادون يفقهون حديثاً وكذا قال يا قوم هؤلاء بنائي ومن بحر
المضارع المخروم يوم التناد يوم تولون مدبرين ومن بحر المقتضب
في قلوبهم مرض ومن بحر المجنث مطوعين من المؤمنين في الصدقات
ومن بحر المتقارب واملى لم ان كيدي متين

فقال الشيخ سبجان الله ألم تعلم ان الشعر اشترطوا فيه ان
يكون مقصوداً فقالوا هو الكلام الموزون قصداً فقال نعم قال
الشيخ ما اوردت من هذه الايات ونحوها ليس مقصوداً موازنته
لتفاعيل الشعر ولم تقصد فيه اسباب ولا اوتاد ولا فاصلة صغرى
ولا كبرى. فليس شعراً اصلاً وعلى تسليم ان ذلك من الشعر ليس
يصح بحكم التغليب ان لا تلتفت الى ما اوردت لكونه قليلاً نادراً
والنادر لا حكم له فيحكم على مجموع القراء انه ليس بشعر فيقال
بناءً على مقتضى البلاغة وما علمناه الشعر

الاخبار والتفاوت في مراتب البلاغة فانك اذا استقرت ما ينسب
 الى كل واحد من البلغاء اشعاراً كانت او خطباً او رسائل لم
 تكد تجد قصيدة من المطلع الى المقطع او خطبة او رسالة على
 درجة واحدة في علو الشأن فضلاً عن وجود جميع المنسوب الى
 صاحبها على تلك الدرجة بل لا بد ان تجد اختلافات كثيرة في
 كلام المتكلم الواحد فتري البعض فوق سماك السماء علواً والبعض
 تحت سمك الارض نزولاً وما ذلك بخاف على ذي بصيرة أليس
 الامر كذلك قال بلي قال اتجد القرآن على اختلاف رواياته مختلفاً
 في البلاغة قال لا قال الشيخ ايكفيك ذلك في الجواب عن
 سؤالك فقال يكفي ثم يكفي ولك الشكر والمنة ثم اثنى عليه
 وازداد قدره لديه وقال ايها الشيخ بقي في ذهني حاجة اريد ان لا
 اخفيها عنك قال الشيخ وما هي وتبسم ضاحكاً فقال ان القرآن
 لا شك كلام الله وقد علمه محمد عليه الصلاة والسلام بلا شك
 وفيه وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقال الشيخ نعم قال وهذا
 يستدعي ان لا يكون فيه شعر مع ان فيه من جميع بحور الشعر فان
 فيه من بحر الطويل من صحيحه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
 وزنه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ومن مخزومه منها خلقناكم
 وفيها نعيدكم وزنه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ومن بحر المديد
 واصنع الفلك باعيننا ووحينا ومن بحر الوافر ويجزهم وينصرم عليهم
 (و) يشف صدور قوم مؤمنين ومن بحر الكامل والله يهدي من

ظاهرة في ذلك الانس والجن

فقال الشيخ اما وفاتك فوقفات من رسمت في العلم قدمه ولكن هل اذا عبرت على لسان صاحبك بكلام على نسق مخصوص واذا سمعته يقول كنت اريد ان اقول هكذا وما كان يتيسر لي ينزل ذلك منزلة القول قال لا فقال الشيخ اذا لا يقال ان موسى قدر على نظم احدي عشر آية لانها حكاية عن معنى كان يريد ولا يتيسر له ان يعبر عنه كما في الايات فقال لله درك قد ازلت عني ما كنت اظن انه لا يزول ولكن عندي وقفة اكبر من هذه لعل كشف القناع عنها يكون على يد حضرتكم فقال الشيخ بتيسير الله تعالى فقال يا حضرة الشيخ اني كون القران من عند الله شك قال لا قال كيف وهو ينادي بانه من عند غير الله قال الشيخ كيف ذلك وتغير وجهه فقال لا لتغير ان السؤال اقتضى ان يكون الكلام هكذا فقال الشيخ بـ ينادي ذلك فقال او ليس في القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اخلافاً كثيراً

قال الشيخ نعم وما يتبع من ذلك قال ان فيه من الاختلافات اكثر من اثني عشر الفا كما تسمع اصحاب الترات ينقلونها اليك وهل عدد مثل ذلك لا يكثر

قال الشيخ مهلاً قد هالني اول سوءالك فاسمع ما اقول تجدد القرآن منادياً بانه ليس من عند غير الله وذلك انه ليس المراد بالاختلاف اختلاف الروايات كما فهمت بل المراد التناقض في

العلوم فقال هذا من كمالك وحسن ظنك بي اني بالنسبة لعلماء
تلك الصناعة لا أعدّ فقال كيف ذلك وانت لها كالأصل منه
يستمدّ ثم قال ايها الشيخ ان القرآن معجز بنظمه وان نظمه غير
مقدور للبشر وان الجن والانس ان اجتمعوا على ان يأتوا بمثله لا
يمكن لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وقد
ورد ان اهل زمان النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الغاية
في الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الاتيان بمثله ثم تحداهم بعشر
سور فعجزوا ثم تحداهم بسورة واحدة على الاطلاق فلم يقدروا ايضاً
وفي السور (انا اعطيناك الكوثر) قصيرة جداً فلو انهم قدروا على
مقدارها وهو ثلاث آيات لكانوا قد اتوا بالمتحدى به فكيف ذلك
مع ان نظم القرآن يشهد ان نظم ثلاث آيات بل ثلاثين آية بل
الأكثر لا يعوز الفصح فضلاً عن ان يعوز الافصح ولو كان وحده
فضلاً عن ان يظاهره الانس والجن

فقال الشيخ ومن اين توءخذ هذه الشهادة من القرآن
قال ان فيه حكاية موسى (واخي هارون هو افصح مني لساناً)
ثم فيه عن موسى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
الى قوله انك كنت بنا بصيراً وهذه احدى عشر آية عندكم فاذا
قدر فصيح واحد وهو موسى على احدى عشر آية في موضع واحد
أفلا يكون الافصح اقدر وان كان واحداً على اكثر فكيف اذا

ليس ذلك كله يوم القيامة قال بلى ولكن يوم القيامة كما اخبر الله
 مقداره خمسون الف سنة وعرف بالاخبار انه يكون مشتملاً على
 مقامات مختلفة فلا مانع من ان يكون السؤال في وقت من
 اوقات يوم القيامة ولا يكون في وقت اخر وفي مقام من مقاماته
 ولا يكون في مقام اخر وحينئذ لا تعارض في الايات ولا تناقض
 فاطرق رأسه برهة ثم اقبل على الشيخ وقال له والله انك عالم باسرار
 لغتكم فقد ازلت عني كثيراً من الوقفات فاني كنت اري بين قوله
 تعالى لا تخصصوا لديّ وقد قدمت اليكم بالوعيد و(بين) قوله
 تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تخصصون تناقضاً وبين قوله
 تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله هذا يوم
 لا ينطقون ولا يوعدن لهم فيعتذرون تناقضاً وبين قوله تعالى
 فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسألون وبين قوله واقبل بعضهم
 على بعض يتسألون كذلك وبذلك الجواب ازيلت تلك
 الوقفات والله المنة والشكر الجميل حيث جمعنا بحضرتكم نقنيس
 من انواركم ولقد كنت اول امري متحاشياً عن السؤال مهابة
 فالان لما زال عني من غياهب الشك بسبب سوال واحد ارجو
 من جنابكم الاذن لي في السؤال فقال الشيخ نحن لا يطيب لنا
 عيش الا بالمذاكرة في العلوم فانه حياة ارواحنا فسل ما
 شئت فذلك غاية مرغوبي فقال الحمد لله اني صرت من الان
 فصاعداً جريئاً على ان اسأل حضرتكم لانكم ابصر الناس بتلك

اسماء غريبة المثال عزيزة المنال في النحو والمعاني والبيان والبديع
 ككتاب سيبويه وغيره وكتاب دلائل الاعجاز في البلاغة واسرار
 البلاغة والفتح وغير ذلك

وفي المنطق غرائب المؤلفات وكذلك كتب علم الاصول
 وغير ذلك

ومن التاريخ كتاب اخبار الزمان وكتاب ابي الفدا
 وكتاب ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير وغيره من كتبه
 الغربية ثم بعد ذلك اخذ الدفتر ووضعه مكانه واتى بمصحف
 مجلد مظرف في داخل كيس من الديباج الاخضر ففتحه
 الشيخ فوجده مكتوباً بالخط الكوفي في رق الغزال ثم جلس وصار
 يقرأ ثم قال التلياني يا حضرة الاستاذ الحمد لله الذي جمعني بك
 فاني منذ زمان متوقف في بعض اشياء في القرآن ولكوني لا اعرف
 علوم اللغة العربية على ما هي عليه لم تنزل وقفاتي ولم اجتمع باحد
 في بلادنا من علماء العرب يفهمني حقيقة الحال فقال له الشيخ ما
 وقفاتك فقال ان في القرآن قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه
 انس ولا جان وقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون مع ان فيه
 فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وفيه فلنسئلن الذين
 ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فيبين الآيتين الاوليين والاخيرتين
 على ما يظهر لي تناقض فقال له الشيخ هذه من وقفات العلماء ولكن
 شرط التناقض ان يتحد الزمان والمكان والغرض فقال ايها الشيخ

تبخاري والسندي شرح مسلم الحلمية لابي نعيم والفردوس للدليهي
والسنن لابن ماجه ومسانيد الائمة ومشكاة المصابيح للملاّ علي قاري
ومشارك الانوار للصاغاني

ومن التوحيد كتاب ابكار الافكار واحلى المواهب وتبصرة
الدلة والتسيد شرح التمهيد وتأسيس التقديس ورموز الكنوز
وزبدة الكلام وعمدة النظار والفوز بالسعادة ومفتاح الغرر
ومدارك العلوم ومشارك النور ونهاية المنقول وهداية الهادي

ومن الفتاوي في مذهب ابي حنيفة فتاوي ركن الدين
الكرماني وفتاوي احمد بن عبدالله البلخي وفتاوي امين الدين محمد
بن المتعالي المصري وفتاوي بديع الدين وفتاوي حسام الدين وفتاوي
الحنفية لسعد الدين الفتازاني

ومن الفتاوي في مذهب الشافعي فتاوي ابن ابي عصرون
فقيه الشام وفتاوي الحداد وفتاوي ابن رزين وفتاوي ابن الصلاح
وفتاوي ابن عبد السلام وفتاوي ابن القاص وجملة من فتاوي
المالكية وكذلك الحنابلة

ثم قرأ في اسماء كتب اللغة منها كتاب قاضي الحق لابي العلا
المعري وقاعدة البيان وضابطة اللسان لابي جعفر احمد بن الحسن
المالقي وكتاب الكامل للهبرد النخوي وكتاب الاساس وكتاب
لسان العرب وتاج العروس وشرح القاموس وغير ذلك من كتب
اللغة التي لا توجد مجتمعة في كتبية في احدى بلاد الاسلام ثم قراه

التفت نحو الجهة الشرقية من الكتبخانة وقال جميع ما في هذه
الدوايب كتب مشرقية وهي كما ترى ثلاثة اقسام فهذا للكتب
العربية وهو اكبرها وهذا للفارسية وهذا للتركية وقد رتب خزانتي
هذه حسب المنطقة الاصلية فالجانب الغربي فيه من الكتب ما
يتعلق باوروبا والجانب الجنوبي فيه ما يتعلق بامريكا وجزائر
المحيط والشمالي فيه ما تيسر جمعه من الكتب التاريخية والفنون
الادبية حسب اقتداري وجعلت كل فرع على حدته ورتبته كما
ترى على حروف الهجاء فاذا اردت اي كتاب اطلعت على الدفتر
فعرفت نمرة وحرفه فقال الشيخ ما الذي فيها من الكتب العربية
فاخذ الدفتر وقرأ له اولاً كتب التفسير فاذا فيها تفسير ابن
عباس وتفسير ابن عبد السلام وتفسير ابن جريج وتفسير ابن
الجوزي وتفسير ابن بركان وتفسير ابن ابي شيبه وتفسير ابي
الضيا وتفسير ابن جرير وتفسير ابن ابي حاتم وتفسير ابن فورك
وتفسير ابن ماجه وتفسير ابن المنذر وتفسير ابي الحسن وتفسير
ابي ذرّ وتفسير ابي طالب الكرمانى وتفسير ابن مردويه وتفسير
الاخوين وطوالع الانوار وتفسير الاردبيلي وتفسير الاسفراييني
وتفسير اكل الدين وتفسير البقاعي المسمى بنظم الدرر في تناسب
الآي والسور وتفسير ابن التقيب وتفسير ابن عبدوس وتفسير
الجامي وتفسير حجة الافاضل وتفسير ابن جماعة
ومن الحديث كتاب فتح الباري شرح البخاري والعيني شرح

فقال الشيخ ونحن لذلك منتظرون وللوفاء بالوعد
متشوقون فقال تفضلوا بنا ان شئتم ثم قام ومعه الشيخ والرئيس
فدخلهم من باب في وسط الديوان الى مكان متناسب الابعاد
يقرب من التربع وفي جميع جهاته غير الباب دواليب محكمة
الصناعة من خشب جوز الهند الاسود وعلى ابوابها رسوم من
النحاس لطيفة مختلفة الاوضاع والاشكال وفي تلك الدواليب
كتب محبوكة مرصوفة صفوفًا متناسقة كل صنف على حدته
مع النظافة للمكان بما فيه والرونق الذي يسر الناظر وارضه مفروشة
ببساط فحمي اللون وسقفه منقوش بابدع النقش وفيه من عجيب الصور
ما يدهش الفكر ويسر النظر وفي وسط مكان الكتب طاولة
من جنس خشب الدواليب وعليها كل ما يلزم من ادوات
الكتابة مع بعض كتب فاعجب الشيخ ذلك النظام وما بتلك
الكتبخانة من الحسن مع الاحكام فقال يندر وجود مثل هذه في
بلاد المشرق وانها لشبه كتبخانات الملوك فقال الخوجا كيف
لو رأيت خزنة الرئيس فان بها قدر ما في هذه مرتين او اكثر
واما هذه فارن ما بها ليس الا ثلاثة الاف ومائتي كتاب فقال
الرئيس خزاتي وان كانت اكبر لكن ليس لها من الرونق
والانقان ما لهذه واغلبها ورثته عن ابي وجدي فقال صاحب البيت
بل هي اجمل واجل لان بها من الكتب ما لا يوجد في غيرها
فقال الشيخ اذًا لا بد انهما لا تخلو من كتب غريبة فقال نعم ثم

تاريخية وآخر يطلب منه معني بيت شعر وهو بحبيهم ويزيد لهم في
 الفوائد وبينا هم يتفكرون وفي فنون العلم يتقلون اذ دعوا للطعام
 فقاموا جميعا الى الاكل فتعاطى كل بحسب طاقته وكان في الطعام
 بعض الفواكه فقال بعض الحاضرين أنبدا بالفاكهة ام نوءخرها
 فقال الشيخ ان للشيخ الاجهوري في ذلك نظماً جميلاً بين فيه
 ما يقدم على الطعام من الفاكهة وما يتاخر وما يكون وسطاً
 حيث قال

قدم على الطعام توتا خوفا

ومشهاً والتين والبطيخا

وبعده الاجاص كمثرى عنب

كذلك تفاح ومثله الرطب

ومعه الخيار والجميز

قنا ورمان كذاك الجوز

فتلقوا منه تلك الابيات بالقبول وكانوا يسرعون لحفظ

ما يقول وتم بينهم مجلس الاكل في تلك المحادثة ثم عادوا الى

الديوان الذي كانوا به فجلس الشيخ وولده ورئيس الجمعية

بجانبه ومن رغب في المشي تمشى مع صاحبتة او صاحبه فجاءهم

صاحب البيت وجلس معهم ثم بعد ان دار الحديث بينهم قال

اني منذ كنت بمرسيليا وعدت حضرة الاستاذ ان اريه خزانه كني

واطلعه علي ما احتوت عليه

المسامرة (١٠٤)

بيت الكتب

ثم وفقت العربية فنزلوا ومضى بهم الخواجا الى البيت فصعدوا على درج حتى وصلوا الدور الاعلى فوجدوا فسحة متسعة وبها صاحبة المنزل ققامت وقابلت الشيخ وكان رئيس الجمعية المشرفية هناك فقام له واستقبله ثم قال ان التلامذة يثنون بكل لسان على الشيخ بما حصل لهم من الفائدة وقد تمنيت على حضرتكم مجلساً يعقد كل يوم اثنين حيث تكون الساعة الثانية بعد الظهر فقال الشيخ لا مانع ثم جاء المدعوون واحداً اثر واحد وجماعة عقب جماعة حتى تكاملوا وتعرف الكثير منهم بالشيخ وصاروا يجيونه ويظهرون السرور به فسر الشيخ بذلك سروراً عظيماً واستأنس بهم كأنه بيت احد اصحابه بمصر فان جميعهم كانوا محدقين به يتذاكرون معه في فنون العربية على اختلافها فكان هذا يساله عن معان لغوية وهذا يسأله عن قواعد نحوية وهذا عن حادثة

المشروبات وبها ديوان متسع طوله اثنان وثلاثون متراً وعرضه ثمانية عشر وفي اخره فسحة عظيمة تسع من التجار ألفاً يتعاطون الامور التجارية وبالديوان شباك من حديد والصيافة تجتمع في محل بالدور الاول للمداولة في امر التجارة وغيرها وفيه اماكن معدة لديوان التجار ثم زاد هذا المكان اعتباراً وترى الان فيه زيادة عن امر الاقتراض المشاركة في عمل سكك الحديد واستخراج المعادن وفتح الورش الجسيمة ونحو ذلك من الامور النافعة التي نتسع بها دائرة الثروة وفي سنة ١٨٥٢ جعل على كل من دخله فرنك واحد فنقص المترددون عليه واشتكى من ذلك البنكيكات والصيافة والتزموا لمدينة باريز مبلغ سبعمائة وخمسين الف فرنك على ابطال ذلك فلم يقبل منهم

وقد احصي عدد من يدخل البرصة كل يوم فوجد من ثلاثة الاف الى اربعة الاف وتحصل منه سنة ١٨٥٧ مليون ومائة الف فرنك

وبالجملة ففوائد هذا المكان كثيرة جداً وبيان المجاري فيه يحتاج لمعرفة امور شتى لكن لا وقت لذلك فانا وصلنا المنزل ولا بد ان اذهب مع حضرتكم بكرة غدٍ واطلعمكم على احواله

الحكومة وكان في تلك الايام لا يفتح هذا المكان للمعاملة الا ثلاث ساعات قبل الزوال وساعتين بعده ما عدا ايام الاعياد والمواسم وترتبت بوسطة عسكرية المحافظة عليه وضبطه ولما كثرت حركة العالم اليه وتوجيه همهم نحوه واخذت تظهر به مشاجرات استوجب ذلك بداخلة العساكر فيه لفصل ما يحدث به من المشكلات ثم صار يزداد فامرت الحكومة بابطاله ومنع تجمع الناس بالطرق لهذا الشأن ورتبت قصاصاً على من يخالف الامر ويقتم ذلك الطريق المنهي عنه فجعلت جزاء التفرغ الجسم فضلاً عن السجن الطويل وعينت ستين صرافاً يتوزعون في نواحي البلد بلا حرج عليهم وانما الحرج والجزاء على غيرهم في الاوامر بان من تجرأ غرم تغريمًا عظيمًا ومع هذا فكانت الناس تجرأ على هذا خفية فعوقب منهم كثيرون

ولما اكثر الناس الشكوى للحكومة وطلبوا فتح البصرة فتحت سنة ١٧٢٤ وعينت لوكندة تسمى لوكندة مزران وشيدوها وزينوا واجهتها سنة ١٧٨٤ فكانت الصيارفة والسامرة يقيمون بدورها الارضي ومدة بونابرت الاول نقلت الى احدى الكنائس ثم نقلت منها الى السراية المملوكية وعادت الكنيسة الى اصلها وفي سنة ١٨١٧ بنيت هذه السراية التي رأيتها وخصصت لذلك وبنائها على متسع من الارض قدره ثلاثة الاف وخمسمائة متر وطولها اثنان وسبعون متراً وعرضها خمسون متراً والدور الارضي به الحواصل ومحال

بالاكل ليس غير وقد شاهدت ذلك بنفسي مذ كنت ببلاد الشام والترك ولا فرق بين التجاري هناك وعندكم ورأيت من العالم جميعاً الصبر من ذلك ويتمنون زواله وإنظامه فعلى المحكام وولاة الامور النظر في ذلك ومنعه والبحث عن احوال الطرق التي يستقيم بها امر المعاملة بين الناس ونجح بها مساعيهم في زراعاتهم وتجاراتهم

وفي الازمان الماضية كان المرابون يفعلون ببلادنا كفعالهم الان ببلادكم لكن الحكومة التفتت لهذا الامر وربطت قيمة معينة للتقدي لا يتعداها احد وكل من تعدى عد مرايا وعوقب على مقتضى القانون فخدمت نيران اهل الربا الا انهم لم ينتطعوا بالكلية وبقي السفهاء والمسرفون يترددون عليهم لكن لا يقع ذلك ببلادنا الا سراً اما التجارة والسلف العامة فجميعه في البرصة فيقف الانسان على سعر كل يوم بل كل وقت بسبب الاخبار والحوادث التي ترد بالنظراف يوماً فلا يحصل ضرر ولا غدر كما يحصل اذا كان الامر منه للصراف في حانوته او بيته بدون معرفة بالحوادث اليومية ولم تظهر البرصة بباريز الا سنة ١٥٦٢ ميلادية بامر الملك شارل التاسع فكان اول مجلس عند للنظر في حال التجارة في سراية الحفانية ولكن في سنة ١٧٢٠ تعين مكان مخصوص صنع من خشب مؤقتاً باحدى زوايا جنيئة سراية سواسون التي صحت وكانت معدة لسكن افراد من العائلة الملوكية وصار الناس يتعاملون باوراق

في نظير الفائدة ويكتبون عليه السند بالمائة تمامها فاذا طلب
 مائتين فانه يقطع مائة واربعة فقط ويكتب عليه السند بمائتين
 وهكذا اذا طلب الفأ وأكثر فمن ابن يسهل السداد على المقرض
 سواء كان تاجراً او زراعاً فالصبارفة اذا ببلاد المشرق من اكبر
 المصائب ودوامهم على ذلك يوجب سلب نعمة الاهالي بل بعض
 التجار والصبارفة يتعمدون طريقاً اقبح من علو امر الفرط وهو
 انهم يتربحون الوقت الذي هو تبيل خروج المحصول فيسعون
 الارزاق بثمن بخس فيأقني المضطر فيأخذ منهم نقوداً بقدر معين
 من المحصول على حسب تسعيرهم وقد يسعون قنطار
 القطن مثلاً ببنيبين فيأخذ الطالب مثلاً مائة جنيه فيكتبون
 عليه خمسين قنطاراً يودعها بهذا السعر بعد شهر مثلاً فاءذا جاء
 الوقت طلبوه بها فيأخذون ما راج لهم منها ثم يكتبون ما يبقى
 عليه في سند جديد بقيمة وقت التسديد مع اضافة الفرط في نظير
 صبرهم الى العام القابل وهكذا يفعلون معه في كل عام بهذه الطريقة
 فيبقى الشخص دائماً مكبلاً في اغلال قيود الدين مطالباً بنفس المبلغ
 الاضلي بل باكثر منه وما دفعه من المحصول كأنه ربح المال
 وفي كل عام يفعل الصراف حسب ما يرغب فتارة يقبله من صنف
 الى اخر وتارة يجعله نقدية في ذمته والفلاح لا يعارض في ذلك
 لاحتياجه وتراكم المطلوبات عليه للهيري والاهالي والعيال وليس
 في امكانه التخلص لعدم اقتداره على التسديد فيبقى كالاجير عنده

في اكرامه وسهل له امر الرجب ليرغب في معاملته فان لم يتفطن
 المضطر لماكن وقع في حباله وكما ازداد عليه الدين طمع فيه وازداد
 في الرجب واجتهد في الاستخوذ على حجاج املاكه فاذا علم ان ما في
 ذمته صار قريباً من ربع قيمة املاكه او ثلثها امتنع عن اعطائه
 وسلك به طرق العسف فيشكوه ويترافع معه في مجال الحكومة
 الى ان يؤل الحال الى الحكم عليه ببيع ملكه لسداد المطلوب منه
 رأس مال وربما وقل ان يتي للمدين شيخي من ثمن ملكه فهذه
 حالة فظيعة يجب البحث على الطرق المخلصة منها لاستدعائها
 خسارة كبيرة فان اقل الفرط عندكم اثني عشر في المائة كل عام
 مع انه ضعف الفائدة بلادنا اذا غلا سعر القود فان المعتاد
 عندنا اربعة او خمسة او ستة في المائة وفي بلاد الانكليز من اثنين
 الى ثلاثة واذا غلا السعر يبلغ اربعة على انهم يضحجون اذا صارت
 الاسعار هكذا او يعدون هذا الامر من اعظم الحوادث التي يكثر
 فيها القيل والقال وقد سمعت ممن اتق به ان فرط المائة في
 الشهر الواحد قد يبلغ بالقاهرة ثلاثة او اربعة اعني زيادة عما
 يحصل بلوندره اثني عشر مرة بل اكثر ولا شك ان ذلك
 من اعظم الضرر وتسديده في غاية العسر لان الفرط اذا كان
 في كل شهر اربعة بالمائة يكون ثمانية واربعين في السنة فاذا اخذ
 الخناج مائة فانه يكتب عليه سندا بضعفها تقريبا لانهم يعطوه من
 المائة اثنين وخمسين ويقطعون منه الباقي وهو ثمانية واربعون

المجازة بل ربما يرى ذلك بعض الناس انه من فعل الخيرات
 وازالة الضرورات ويرون الامتناع منه من الحرج والتضييق على
 العباد وتعطيل الارزاق

فقال الخوجا التلپاني ايها الاستاذ ان الجاري بهذا المكان ليس
 كالجاري بمارة اليهود تبصر لان المعاملة في هذا المكان خاصة
 بالشركة التجارية ليس غير

واما المعاملة بالفائدة والمصارفة فمخصوصة بالبنوك ومن
 ذلك حارة اليهود واما هنا فانه اذا فرض ان بعض الناس رغبوا
 في الشركة في عمل شيء تبلغ تكاليفه زيادة عن قدرتهم استأذنوا
 عنه الحكومة ومتى تحصلوا على الاذن عين المجلس قيمة السهم في
 هذه الشركة ثم تعطى الاسهم لاحد مأموري الاعمال لان هناك
 اشخاصاً معينين بامر الحكومة يقال لهم مأمورو الاستبدال فينتدرون
 ينادون عليه فكل من رغب في قدر اخذه وربما حضر اقوام بعد
 توزيع الاسهم يطلبون الاخذ بزيادة عن المتدار ظناً منهم رواج
 الامر فيشترون بازيد وهذه الاسهم كالبضائع التجارية تباع
 وتشترى وتغلو وترخص حسب ما يعتور الامر المشترك
 في

واما الجاري بمارة اليهود عندهم وعند الصبارفة على العموم
 فهو مبادلة القود بغيرها فكل منهم تراه ينتهز الفرصة فيجعل القيمة
 على حسب ما يراه من الاحتياج فاذا رأى مضطراً اطعمه وزاد

مغموراً والبعض يقلب من الحيرة كفيه ويتف شعركحيتيه ومنهم المتفكر ومنهم من يضرب ويجمع ومنهم من لا يستقر في موضع بل يطوف وإلى ما بدا منه يرجع وأساس ذلك كنه حب الدرهم والدينار فانها يفسلان بالعقول ما لا تفعله الخهور فمن ذهب ماله غاب عقله وساءت حاله ومن ربح تمت مآربه وصفت مشاربه فيلزم من يريد الدخول في زهرتهم ان يكون خبيراً بمعاني الفاظهم وكيفية معاملاتهم وعلى يقين من معارفهم وحيلهم وطرق حسابهم واصطلاحات ساستهم وعوائد خاصتهم وعامتهم والا فلا بد ان يقع في شباك مكائدهم وحبائل مصائدهم

فقال الشيخ ان باقاهرة مكائله شبه قليل بهذا يقال له حارة اليهود فيه كثير من الصيرفة والمرابين ففي بعض ايام السنة تزدهم عليهم المخلق الواردون من الارياض وغيرها. اما للاقتراض او للتسديد او لتغيير المواعيد فهم يتجرون في غفلة العالم ويغتنمون فرص الاحياج فيحملون المخلق ائثال الربا ومن حرصهم لا يقرضون الا برهن او ضمانة وبكثرة ما يطلبونه على كل فائة يرى كثير من الناس قد آل امره الى بيع مارهنه ولحقته الفاقه ولبس ثياب الذل بعد العزوف في بعض الاحيان يطالب الكفيل والمكفول معاً فكم من متأوه من هذه الطائفة والعجب ان الرباء محرّم في الشريعة الاسلامية ومع هذا لم يبق من الناس في هذا العصر فقير ولا غني الا وهو واقع فيه ومن كثرة التعود عليه صار كأنه من الامور

حضر فقال ان جملة من الاحبا دعوتهم مع حضرتكم وها انا قد
حضرت حسب ما اخبرت جنابكم في الذكرة فقاموا جميعاً وركبوا
عربة ثم ساروا فمروا بسرابية مشيدة البناء مزخرفة الارجاء حولها
اناس كثيرون في حركة عظيمة

فقال الشيخ ما هذا المكان فقال الخوجا هذا المكان يسمى
البورسة اي بيت المصارفة واعمال التجارة بين باريز وجميع جهات
المملكة وبينها وبين جميع ممالك اوروبا والمشرق وامريكا فليس
مكان تجتمع فيه الصيارفة الكبار والساسة وعظماء التجار وهومن
ضمن العارات العظيمة التي تتباهى بها باريز وينبغي رؤيتها والنظر
للجاري بين الناس فيها فقال الشيخ لعلنا ننظره في يوم غير هذا
ان كان هناك اذن بالدخول فقال الخوجا ان دخوله مباح للجميع
الناس وامر هذا المكان عجيب واصطلاح اهله في تخاطبهم غريب
فمن لم يعرف اصطلاحات الصيارفة المفق عليها فيما بينهم يظن
انهم ليسوا من اهل باريز لان لهم لساناً خاصاً بهم يتكلمون به فيما بينهم
وبين عائلهم ولا يعرفه غيرهم وهناك ازدحام شديد وللانفاظ
تصادم قوي يشأ عنه دوي هائل بحيث يمنع الطارىء عن فهم
معاني الانفاظ لاختلاطها وعدم تمييزها

وما يزيد الانسان تعجباً انه لا يوجد هناك غير الكلام واما
المبادلة وقبض الدراهم فشيء نادر ومن يتأمل في احوال اهله
ويعين النظر فيهم يرى البعض منهم مسروراً والبعض بالحزن

المسامرة (١٠٢)

البورصة

فقال الشيخ هذا مما يسرني وشي نية خير وتحقيقها سهل فعن قريب نعود وتكون معنا خصوصاً وحضرة الخوجا يعزك كثيراً وكان الوقت قد قرب فقال الشيخ نحن مدعوون الليلة عند صاحبنا التلياني ويلزمنا الذهاب اليه وفي وقت آخر تم لنا اخبار حوادثك فقاموا وركبوا حتى دخلوا المدينة فلما وصلوا منزلهم وجدوا تذكرة كتبها الخوجا التلياني وتركها على الطاولة مضمونها اني حضرت لزيارتكم فلم اجدكم وعن قريب اعود وان حضرة الخوجا الانكليزي ارسل لنا تذكرة يعتذر فيها عن الحضور لامر منعه وسماعود قبيل المغرب لانشرف بكم وتسبرون معي الى بيتي فاخبر الشيخ يقوب وولده بذلك فاخذوا يتهمان للتوجه واذا بالرجل التلياني قد

قضي وقد لحق اختي من الحسى ما لحقها وجعلوا يطلبون مني ان
لا ابحت عن لقاءها فعظم ذلك عليّ وخرجت لا ادري اين اتوجه
فدخلت غابة وصرت افكر فيما حصل لي ولها من الحوادث ثم قلت
في نفسي ليس لك الا مفارقة هذه الارض فانه لم يبق لك فيها ما
يوجب اقامتك بها وانما انتظرت شفاء اختي لاردها فبقيت نحو خمسة
عشر يوماً استنشق اخبارها فتارة كانت تبغني وتارة لا ثم بلغني
خبر موتها

قال راوي الحديث فعند ذلك هطلت عينا يعقوب بالدموع
واخذته حالة المروع لما ذكر موت اخيه وشقيقة روحه
فقال له الشيخ

كل ابن انثى وان طالت سلامته

يوماً على آفة حدياء محمول

ومعلوم ان ما جرى لكما يجري لغيركما فتزود الصبر تفز بالاجر
وكيف تجزع وقد طفت البلاد واعطيت عتلاً وافراً فهل رأيت
حياً لا يموت واعلم ان الحوادث للرجال كالشمك للذهب وسترزق
راحة ينعم بها بالك وتحسن بها حالك

فقال يعقوب ان في صحبتي كم عوضاً من كل فائت فاني
منذ اجتمعت بمحضرنكم هدأ روعي فارجو ان لا يفرق الله بينا وان
يجعل اخر حياتي بين يدي حضرتكم وقد عزمتم على ان اقيم
بارض مصر

لاناوله المتص فرجع حينئذ ما كنت ظننت زواله وعظم عندي
الكرب وظهر لي انها لم تتالك نفسها بل كادت ان ينشئ عليها
الا انها نظرت الي نظرة معتذر متبذل فهمدت وداخلي خشوع
ثم اجري المتص على راسها فزال شعرها الذي كان يسترها اذا
نشرته ويلحق الارض اذا ارسلته ثم اتى لها بثوب من صوف
فلبسته وبخار فنعت به راسها ووجهها وبرداء من كتان
فتردت به

وحيث كان خروجها من الدنيا وزهدا فيها لا يتم ولا
يكمل الا بصورة موتها ودفنها كالميت الحتمي التمت نفسها على
الرخام كالميت فكفنها ووضعوا حولها اربع شعات وقد اخذ
القسيس الكتاب وهو بملابسه الرسمية والرهبان محفون به وكنت
حينئذ قريبا منها حريصا على معرفة جميع ما يحصل من الحركات
فسمعت صوتا خفيا من داخل الكفن وصل الى اذني ولم يسمعه
غيري والفاظه يا اله العالمين رب السموات والارضين ان
تجعل هذه اللحظة آخر عمري حتى لا اقوم من موضعي وان تصب
على اخي الذي لم يقاسمني فيما جنيت من الخطيئة الصبر فيطمئن قلبه
ويعيش عيشة مرضية فلما سمعت منها ذلك امتزاني اضطراب
فوقعت على اختي فقلت يا عروس المسيح يصفغ الرب عنك حيث
تركتني وحيدا اكابد تنغيص الايام فاضطرب من بالكنيسة مما
فعلت وصاحوا بي فاخذت مغشيا علي ولما افقت وجدت الامر قد

اقتل نفسي وقت دخولها الكنيسة مع الرهبان فارح نفسي من
 تلك الاشغال واحرق قايمها وانص عيشها كما احرق كبدي
 وكدرت صفوي ونصت علي عيشي حيث دفنت نفسها بالحياة
 وبيننا انا كذلك جاتي خبر من رئيسة الدير بانها قد اعدت
 لنا دكة نخلس عليها يوم المحضر وهو اليوم القابل فاقمت بقية اليوم
 والليلة بتمامها كأني انقلب على حجر الغضا حتى اسفر الفجر فقامت
 الى باب المعبد الذي هي فيه فوجدت هناك خلعة كثيرا كثيرين فوقفت
 معهم فحجاء رجل واخذ بيدي واجلسني على الدكة قريب المحراب
 فصرت اقلب نظري بيننا وشمالا ثم بعد برهة فتح باب صغير
 فخرجت منه اختي وعلمها من الجمال وذاب الزينة ما لا يوصف
 فنسيت عند ذلك همومي واستراني من الخشوع وتعظيم الدين ما
 لم يكن من قبل وكنت انظر اليها بعين العتبة والتعظيم وهي
 تخطر والنسيسون حولها حتى اجلسوها تحت مظلة ثم تجرد احد
 النسيسين عن زيتته وابقى عليه ثوب كتان وصعد المنبر وخطب
 خطبة قصيرة ذكر فيها سعادة البكر التي حضرت ووهبت نفسها
 لخدمة المسيح وفي الحال تصوعت الروائح الزكية من جميع جهات
 المعبد وكانت الناس تقلب النظر من النسيس اليها ومنها اليه
 ثم نزل من فوق المنبر ولبس ثيابه الرسمية وامر بتتين فأثنا
 باختي الى اخر درجة من العتاراب فهناك جثت على ركبتيها ثم
 دعوني لأوءدي واجبات الابوة فتمثلت بين يدي النسيس

او تحققت عدم الوصول اليه بوجه حل اما نظراً لمحلها او حاله
 وقوي هذا عندي بامور نذكرتها كت ارها منها من ذلك انها
 كانت تكتب مكاتيب وترسلها مجتهدة في اخفائها تني وقد قوي
 عندي هذا الظن حتى حاولت صرفه فلم ينصرف فاخذت ورقة
 وسطرت فيها ما يتضمن استعطافها ورجاؤي منها ان تسمع لي بشرح
 حقيقة امرها ولحث لها بما خطر بفكري لكن بلطف وارسلته
 بالبوستة فلم يرض غير قليل الا وورد منها افادة لم تفدني بها
 شيئاً غير نهيبها لي عن العزلة وتحريضي على الانس بالناس والحث
 عليّ بالزواج فعند ذلك عزمتم على التوجه اليها وافعل ما يمكنني
 في نهيبها وردعها عما هي فيه لعلها تسمع مني فسرت اليها بعد جمع
 ما بقي من الدراهم فلما وصلت الى الدير سألت عنها فقيل لي انها
 لا تكلم احداً فكتبت لها مكتوباً فافادتني في رده انها اعدت نفسها
 لخدمة المسيح ولبس معها وقت تشتغل فيه بامور الدنيا
 ومن ضمن كتابها انها قالت ان كنت تعزني حقيقة وتحب
 لي الخير فلا تشغلني عن التوجه الى الرب والتجرد عن الاشغال
 بالخلق فان روءيتك لي تشغلني عن العبادة نعم ان رضيت ان
 تكون لي والداً يوم الاستراف كما هو الاوفق بمروءتك اذنت لك
 لك بالدخول عليّ فعميت من صدور تلك العبارات عنها مع
 علمها بما عندي من الحزن عليها وغرقت في بحر فكري فكنت تارة
 اقول ينبغي الرجوع حالاً وتارة اقيم هنا حتى انظرها وتارة اقول

اتعبد فيها متى دخلتها كان البحر تحت نظري وامواجه تواس
 وحشيتي وتذهب الم وحدتي وموقع هذا الدبر فوق الجبل بعيد
 عن كل طريق والغابات محيطة به يذكرني الايام التي مضت علينا
 في الاجتماع مع الهناء والسرور فافرج بذلك كرتي ويكنيك مني
 معرفتك قدر حيي لك واني ما اخترت الميزة الا لراحتك ولو عرفت
 فائدة في معرفتك الاسباب الموجبة لذلك لعرفتك اياها ولكن
 معرفتها لا تزيدك الا كربا على كربك وهما على همك وقد حررت
 لك كتابي هذا بدموع عيني فارجوك قراءته بعين الرضى عني فمبي
 عن كل عيب كليله ومع كل هذا فلا حيلة في حكم القادر فارجوك
 ان تصفح عني الصغ الجميل وتقبل عذري ولا تمنيب ظني فبارجوت
 فقلب اخذك بأبيسن اكنوى وازداد به الم الجوى وارجو ان
 لا تنعزل عن الناس وان تتزوج لك امرأة تقوم بشأنك لتزول
 عنك الاكدار واذا تزوجت باموة فيرجى ان ترزق منها بالذرية
 التي بها يكون سرورك ثم اني ما اتممت قراءة هذا الكتاب الا
 وقلبي في خفتان واضطراب فقلت في نفسي ما هذا السر الذي
 تخفيه عني واوجب مفارقتها لذة الدنيا مع حداثة سنها ولاي شيء
 دفنت نفسها بالحياة فلا بد لذلك من شان عظيم وخطب
 جسيم ثم فتمت الكتاب وقراءته ثانيا وقلت ربما يكون فاتني شيء
 منه اول مرة لم أفهم معناه فلم افهم منه أكثر ما فهمت اولاً انما يلوح
 من الفاظه صورة محزنة فهمت منها انها ربما احبت انساناً وتخلت عنها

على ذلك وأنا غير مشتغل بأمر وفي تلك المدة ما تركت بلدة الا
 ذهبت اليها لاستخبر عن اختي وبسبب انها كانت تخبرني بحب
 الرهبانية ظننت انها تكون في احد الديورة فطفت على جميعها فلم
 اقف لها على خبر ولم اشر لها باثر والعجب اني ما سمعت بخبرها من
 احد من اهل البلد وكانها قد ابتلعتها الذبء او اخطفتمها النسور
 الى السماء ثم دخلت المسكن ذات يوم بعد عودي من لوندرة وكنت
 فارقته من مدة خمسة عشر يوماً فرجدت على الطاولة مظروفا
 ففضضته فوجدته من اختي فطار لي وخقت بلابل قلبي فقراته
 فاذا فيه

أخي وعزيزي وقره عيني الله يشهد على ما بقلبي من حيي لك
 ولو ملكت بذل روجي لتكون زيادة في عمرك لفعلت وارغب ان
 اصرف جميع طبياتي في جلب السرور لك ولكي حنيرة ذليلة وقد
 قاسيت من دهري ما لا يقاسيه غيري وهذا بسبب فراقك واخياري
 الرهبانية والعزلة ما دمت حية فارجوك الصبح عما حصل مني في
 خروجي عنك وانفصالي منك بدون علمك وما بعثني على ذلك
 الا خوف منعك لي عما سنخ بفكري مع تصميهي عليه وطيران قلبي
 اليه وانت تعلم ببيلي للرهبانية وتعلم اني ليس لي راحة في سواها فعذري
 قائم لديك وحالي لا يخفى عليك وقد علمت ببيلي للرهبانية ومن
 وقت خروجي من عندك الى الان وأنا في الدير الفلاني وقد اخترته
 على غيره لما فيه من الراحة لي لحسن موقعه وكثرة مزاياه ولي خلوة

يرضى باعطائك ابنته ولا حسب لك ولا نسب لا سبياً وهم يعرفون
اصلك ومحل تربيتك وعلى فرض وجود من يرضى بك فمن
يكفل لك دوام المعاشرة واستمرار المودة وكيف اطمن الى معاشره
الناس مع ان ما حصل من اختي شقيقتي شاهد بعدم بقاء المودة
بيني وبينهم وهل احد اقرب الي من اختي ثم تكرر علي الافكار المحزنة
بجيوشها حتى اقول ان كانت الحياة هكذا فالموت احسن من الحياة
وجمع الاموال بمقاساة الاهوال فكنت متردداً غريقاً في بحار الافكار
لا اقف عند رأي ارتضيه واذا وقفت تغير لوقته فصرت كسفينة
في لجة تسير مع كل هواء هب وموج دب وكلما تأملت احوال
الخلق سئمت عشرتهم وانقضت النعم وفي بعض الاحيان كنت
الوم نفسي واقول ما من احد الا وله امر يهيمه ولا بد من
مرور هموم الدنيا على كل احد فلا صغير ولا كبير ولا حثير ولا
امير الا ويحتمه امور تكدره فيلزمه ان يستعد لها ويصبر عند نزولها
وعلى العاقل ان يسير مع الناس في طباعهم واخلاقهم وليس له ان
يحكم على الناس بطبعه فينبغي لك ان تلتزم بالخطاء في امورك وتنزع
ثياب العزلة والحزن عنك فكنت ارجع الى البلد واخالط الناس
مجتهداً في موافقتهم والسير حسب طباعهم فعزم عليّ معلمي بالاقامة
عنده لما بلغه خبر اختي فقلت له ان ضعف قوتي وشغل فكري
يمنعان من ذلك ووعدته اني ان ائمت في البلد لا اجعل اقامتي الا
معك فكنت اتردد عليه احياناً وهو يوادني ومضى نحو اربعة اشهر

الحارات وانظر فيما حوالي وانفكر في وجودي ببلدة مثل هذه كبيرة
ولا صاحب لي بها ولا حبيب ومن مبدأ عمري وانا في الموان
الى هذا الان وبعد ما ظننت ان المهموم انقضت باجماعي باختي
ساء في الدهر بفرقتها من خير ان تعلمني بمستترها وما دريت ماذا
حسن لها ذلك مع علمها ان لا محب لها غيري فكان ذلك بهيج
اشجاني ويزيد احزاني فحل بجسمي السقم وزاد الألم فكنت بسبب ذلك
امضي الايام متفكراً ومن هذه الامور متخيلاً ثم طراً علي في يوم ان
اذهب نحو الغابات واعتزل عن المخلوقات مدة الدهر الى انقضاء
العمر فذهبت الى ما اردت فضوعف علي العذاب امثالاً وزاد
البدن اضعفلاً وزاد في الفكر واشتد علي الامر وقضيت مدة
طويلة على هذه الحال فكنت اقيم في الغابة تارة واسبح فوق رؤس
الجبال اخرى لا ارى غير السحاب ولا اسمع غير الرعد وكنت ارى
القرى على بعد كائنها تنط سود حولها دخان وانفكر في الرعاة
والزراع حين رؤيتي لم على بعد فاقول ما من احد منهم الا وله
اُلف يتربح عوده وقلب يمن له حين يجتمع به فكل منهم له امر بهمه
وانت يا يعقوب حكم عليك القاهر بالجزاة وكيف تطلب الراحة
بها مع انك لم نجدتها فيها وماذا عليك اذا اقتديت بغيرك ورجعت
الى العمران واخترت من النساء امرأة تقضي زمنك معها وتشتغل
بامر تمعيش منه وربما رزقت باولاد تفرح بهم وتزول بهم عنك هذه
المهموم فكنت ارتاح بتلك الافكار ثم بعد قليل اقول اي انسان

عنها فقيل لي انها خرجت وما عادت فضقت ذرعا من ذلك
 حتى كدت اقتل نفسي وترا كمت علي مصائب الدهر ورأيتني
 وحيداً كما كنت في بلاد الغربية فخطر ببالي الاخلاط بالناس
 عسى ان تزول عني افكاري وتهون علي احزاني فلما اختلطت
 بهم تحققت خطأ ظني لما كنت اعانيه عند مخالطتهم من فساد
 افكارهم لاني كنت اذا تكلمت لا يسمعون مني وان اصغيت لتوهم
 فلا استفيد منهم شيئاً وجاهدت نفسي على ان اعودها الائتلاف
 بهم فلم يمكن فاحترت حيرة شديدة وضاعت علي الارض بما رحبت
 واحببت ان اسكن جهة من البلد غير مطروقة واعيش فيها
 وحيداً عن الناس بعيداً وكانت تظهر لي ابتداءً لذة العزلة عن
 الناس واذا اجتمعت بهم كاني في فلاة خالية منهم فلا التفت لما
 يفعلون ولا اصغي لما يقولون وكانت اكثر اوقات النهار تمضي وانا
 بالكنيسة متفكراً في حوادث الدهر وكنت ارى فيها بعض نساء
 خاضعة خاشعة من خشية الله تعالى واخر يطلبن غفر ذنوبهن
 وبعد خروجهن يرى علي وجوههن السرور فكانت الشهوات
 البشرية تلتطم امواجها خارج المعبد وتقعد في داخله ففي تلك
 اللحظات كنت اطلب الخلاص من احوال الدنيا بالموت ليطمئن
 قلبي وفي الغروب اتوجه نحو مسكني فاكثر النظر للشمس حين
 الغروب وللانجزة المتصاعدة باشعتها من المدينة فكانت تظهر لي
 كأنها تتماوج في مائع من ذهب وفي الليل كنت امر من وسط

فكنت اسمع منها عبارات حسنة عند ذكرها ما رأته من الحوادث
وما عاينته من المشاق مدة الافتراق وفي الخلوات كانت تملأ قلبي
سروراً بانام لطيفه تسميني اياها ولكنها كانت اذا ذكرت ما رات
من الحوادث وما قاست من الشدائد والم الفراق ندمع عيناها
فاطيب خاطرها واباليها وكثيراً ما ارى على وجهها النغير فاسالها
فلا تفيدني شيئاً وكانت في بعض الاوقات تذكر الترهيب وتمدحه
وتمدح العزلة عن الخلق وكثيراً ما قالت في انت السبب في
حبي للبقاء في الدنيا فاسمع كلامها ولا افكر في معناه لكن لما تكررت
منها هذه العبارات في كثير من الاحيان خطر ببالي انها تخفي
عني بعض احوالها فكنت اكثر الاستفهام منها فلا تفيدني ومضى
علينا احد عشر شهراً ونحن على هذه الحال ثم بعد ان كانت تظهر
السرور احيانا اكثرت من البكاء فكنت ادخل عليها بغتة فاجدها
تبكي بكاء شديداً فاذا راني سكتت فداخلي الوسواس وضاق
صدري وزاد شي وفتدت راحتي حتى تمت الموت وعلى قدر
ما كنت ارغب في معرفة السبب كانت تجهد في اخفائه علي
فصرت بهذه الاسباب اقضي غالب الايام سياحة في البلاد وفي
الغابات فكنت اغيب اسبوعين او اكثر واعود فلا اجدها تحولت
عن حالها حتى اعتراها التحول وزاد مرضها فاستاذنتها في التوجه
الى لوندرة لافرج عن نفسي فتوجهت واقمت هناك
نحو اسبوعين ثم عدت فلم اجدها بالمنزل وسالت

فسالني عما جرى فقصصت عليه قصتي بالاختصار ثم سالته عن
اخي فقال هي وحدها في المكان الفلاني اخذته منذ سنة وصار
يتاسف على ما نابني ويلمني على مخالفتي له ثم استأذنته في التوجه
الى اخي فقام معي واخذ يدي وسرنا حتى وصلنا البيت فسالت
زوجة البواب عن ثرة مسكنم فدلني فصعدنا حتى وصلنا المكان
وطرقت الباب ففتحت فلما وقع بصرها عليّ تعاقنا والمعلم ينظر
الينا ثم جلسنا وجلس المعلم معنا قليلاً ثم ودعنا وانصرف فقضينا
غالب الليل نتحدث فيما وقع لنا من الحوادث فكان مما حدثني
به ان قالت انها لما انقطع خبري عنها حزنت حزناً شديداً وكانت
الست لمحبتها لها تصبرها وتسليها حتى البستها ثوب الصبر ولكن
كانت تعتزل الناس احياناً وتبكي عليّ واستمرت كذلك الى ان
ماتت الست فخرجت من البيت ولم ترضَ بخدمة غيرها وأخذت
هذا المسكن وكانت تتقات من صنعة الخياطة ولها مهارة فيها
وكانت حلوة اللسان فألفها كثير من الناس وقدموها على غيرها
من الخياطين فاتخذت لها حانوتاً جمعت فيه عدة من البنات
وكانت تصرف عليهنّ فاكتسبت من ذلك نحو ثلاثمائة جنيه فقلت
لها يا اختي لو جمعنا ما تحصلنا عليه لعشنا سوياً في ارغد عيش
ففرحت بذلك وبجئت على محل واسع واستاجرته لنا وصرنا معاً
فكست اخرج معها بعد تمام اشغالنا نحو النابات حول البلد وتارة
نحو البلاد المجاورة واخرى في ارض الزراعة او في حارات البلد

المسامرة (١٠٢)

ثمة حكاية يعقوب واخيه

فقال يعقوب نعم اني كنت ذكرت لحضرتكم اني بعد حضوري الى لوندرة وقام ما كان من امر الدراهم التي كنت اودعتها عند زوجة القبطان قصت البلد لانظر ماذا حصل لاختي في تلك المدة التي قضيتها في الاسر فدخلت قبل غروب الشمس فتوجهت الى منزل الست التي كنت انا واختي عندها فوجدت احوالها متغيرة ولم اجد احداً بالمنزل من كنت اعرفهم بل كلهم مستحدثون فسألتهم عن اختي فلم يفدني احد منهم شيئاً انما اخبرت بلان صاحبة المنزل ماتت منذ ثلاث سنوات وقد باع زوجها منزلها وتوجه مع اخيه واولاده الى بلاد الهند فخرجت الى حانوت الجزمي معلمي فلما وقع نظري عليّ قام وعانقني واجلسني بجانبه ثم دار بيننا الحديث

وخصوصا اذا كان مجاوراً للقاء على ساقه المزدهي بغصونه
 واوراقه ومنها كما يظهر للدلال ميل مع الريح حيث مال
 وفيها ما يحيط به شيء من جنسه وغير جنسه فهذا كمن نال
 درج العز في هذه الدنيا فما من كبير او صغير الا ويدل على
 عظمة الخالق اللطيف الخبير

وبينا هم كذلك اذ وصلوا الى عين ماء فنزلوا جميعا
 ثم قال يعقوب للفرنخي خذ هذه الدراهم وتوجه الى تلك اللوكاندة
 وهي انا طعاماً فتوجه وفي الحال احضر لهم الطعام فالوا به نحو
 العين فاكلوا

ثم قال الشيخ ان النفس بهذا المكان قد انبسطت والابدان
 من وخامة البلد قد نشطت وصار الذهن صافيا والوقت موافياً
 فان تفضلت علينا وتلوت باقي قصتك كان حسناً

حديقة حسنة الشكل منظمة الوضع فيها من كل انواع الاشجار
 والازهار وكان يري اودية بين الفصور فيها البقول والخضراوات
 وتارة يجد ارضا متسعة كلها اشجار ملنفة وازهار مؤتلفة الا ان
 بعضها مرتفع وبعضها منخفض وفي بعض اماكن جبالا وهضبات
 مرتفعة متراكمة بعضها فوق بعض كطبقات الثوب وما نظر الى
 جهة الاراي الشمس قد رسمت على سطحها صوراً مختلفة من
 ظل الصخور والاشجار التي بها فكانت الريح بها تنشق والاعضان
 ببعضها تصفق وتخيل للشيخ في ذلك الوقت ان هناك موسى
 تضرب لما يسمعه من حفيف الاشجار وتغريد الاطيار وصياح
 البلابل وترنم العنادل وتارة كان يمتزج حفيف الشجر بخير
 الجداول والانهار وتغريد القاري والاطيار فتفكر الشيخ في محكم
 هذا الصنع وقال من تامل لمركات هذه الاشجار قال انها متمتعة
 بالحياة في هذه الدار ولها شهنوت كاللحيوانات فتري البعض
 يخضع ويتضع والبعض يعلو ويرتفع والبعض يتقابل وينعطف
 على غيره والبعض مضطرب اضطراب المتعادين واخر
 ينضم انضمام المتحابين فكان الالفه والتحاب والسنافر والاجناب كما
 يكون بين نوع الانسان يكون بين الطيور والاعضان فتري
 البعض كمن ذهب وقاره او اذاه جاره والبعض كمن افتقر بعد
 الغنا او فارقه خلانه حتى آل الى الفنا فيها المجرد عن اوراقه
 والمجروح باحذاك الاخر فيه وخالي الجوف من طول معيشته

رزقه الذي تقوم به حياته فسبحان مسبب الاسباب وهو المعطي
 الوهاب فقال يعقوب مدينة باريز فضلاً عن كونها مركزاً للهو
 والنعب والمحظ والطرب هي ايضاً مركز لتجارة واسعة ترد اليها من
 جميع اطراف دولتها ومن جميع اقطار الدنيا وتصدر منها الى
 البقاع كافة فلا يفتقر في الارض الا وترد اليها منها بضاعة تجدها
 مرغوبة لجميع الناس لاحكام صنعتها وحسن رونقها وبهجتها فكل
 اهل اوروبا يرغبون فيها ولا يستغنون عنها وكذا اسيا وافريقيا
 وامريكا وجزائر الاوقيانوس فلذلك تعلق الباريزيون بالاشتغال
 بالصنائع واكثروا من الورش والمعامل فانتسعت دائرة تجارتهم
 فتراها بذلك منبع الصنائع اللطيفة والتحف المنيفة فليست تحت دولتها
 فقط بل تحت دول الكرة بتمامها

ثم قال ايها الشيخ قد صرنا خارج البلد فينبغي ان نصرف
 هذه الساعة في الترويح والتنزه وان شاء الله تعالى ايمن لكأما
 اشتملت عليه باريز من الصنائع وما فيها من الورش والمعامل
 وبيوت الاعمال فنظر الشيخ يمينا وشمالا وقال ما الطف هذا النسيم
 شتان ما بينه وبين ما في داخل البلد فما هنا من مورث الصحة
 بسبب صفاء الهواء بقدر ما هناك من موجب المرض بسبب
 كدورة الهواء والنفونات فلنعم انت من انسان حيث جئت بنا
 الى هذا المكان ثم صار يكرر الالتهات يمينا وشمالا نحو التصور
 فيجد بعضها بحافة الطريق والبعض بعيداً عنها وكل منها داخل

يخصف النعال والمداسات والمرأة تخطط الثياب والبنت نغني
وتعلم الغنا والولد يسحق اجزاء الملونات واذا ناملت تجد بالدروب
اناساً فقراء يجمعون من التراب والطين قطع حديد ومسامير ورجالا
واطفالا يمسحون مراكب الناس واخرين يقصون شعر الكلاب
واخرين يبيعون الكبريت والحلاوة او المشروبات للاطفال ومنهم
من ينادي على الملابس العتيقة ومن يبيع الرياحين واوراق
الحوادث والاعلانات وقطع اللعب داخل التياترات وهذه الامور
وان كانت في الظاهر قليلة الفائدة لكن كثيراً ما وصل بها
الفقراء الى ملك عتار ومال حتى عدوا من وجوه الناس واظن
انك رايت اناساً بالليل يجمعون الورق الملقى بالطرق والعظام
فقال نعم قال هذه امور يتعیش منها خلق كثيرون ويكسبون
منها قوت عيالهم وهناك طوائف كثيرة عيشتهم من التهلكة
والكذب والتجسس والخيانة ونحو ذلك ما يوجد في المدن
الكبيرة

فقال ابن الشيخ بالقاهرة كثير من الناس يجمعون فضلات
السجارات التي ترمى وباخذون منها الدخان ويبيعونه بالاسواق
ويقتاتون بثمنها واخرون يجمعون قطع الزجاج ويبيعونها لمن
يصنعها اساور لفقراء النساء ونحو ذلك

فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى يسر لعباده طرق الارزاق
وهو في الحقيقة الرزاق فجعل لكل مخلوق وجهاً يصل اليه منه

ولشبابيك الدور والتصور والمحانيت ارتجاج من الارياح والفتح
والنلقو وللسكاري واصحاب الاساب والمحظرظ اصوات والمخان
وذماب وايب وكل ذلك يورث النسق ونشوش البيل وتسايل
الاشنال قتل ليقرّب لو سدا خارج اللد لمان نداونق وصحة
جسمنا ابى وارفق فقال يعقوب رأي الشيخ في حمله فان الخواجا
ايضاً متضرر من الاقامة بهذا المحل ولكن الذي الحجاه الى الاقامة
به قربه من محل شغله واصحابه وقد وصف لي محلاً اوسع من هذا
يطل على حديقة وبينه وبين الشارع مسافة ولو كان عند الخواجا
خبر بتضرركم من هذا المحل لبادر الى النقلة وما تاخر فانشى الشيخ
عليهما ثم قال ان مدينة باريز لمن أعجب مدن الدنيا بما حوته من
المحاسن والزخارف والتحف واللطائف وثروة اهلها وحسن
بنائها واظن ان عيشة الفقراء بها ضنكة لكثرة اهلها

فقال يعقوب ربما كان حال الفقير بها احسن منه بغيرها
فان اصحاب المال كما يعملون الامال المظيمة ليرجوا كثيراً
كذلك الفقراء لم طرق متنوعة يصلون بها الى اقواتهم وتلذذاتهم
على حسب حالهم وفقراء كل مدينة على حسبها وكل ما كبرت
المدينة وزاد بها زهو الاشياء كثرت بهبها طرق معاش الفقراء
فانهم مع انتشارهم في الخدم والوظائف يتبعون اموراً كثيرة لا
يعلمها الا من دقق النظر اليهم مثلاً البواب لا يقتصر على وظيفته
بل يرى هو وعياله مشغولين بما يجلب لهم سعة المعاش فالرجل

ثم انه خشي طول المجلس فقال وهذا الذي ذكرته في هذه
الساعة انما هو على وجه الاجمال والاختصار وان شاء الله تعالى
في مرة اخرى ايين لكما كل دولة على حدتها
فقال ابن الشيخ كنت اود ان توقفني على البحر المتجمد وكيفيته
وهل يستطيع احد ان يقرب منه فقال الشيخ نجعل الكلام في ذلك
بالعربة ثم قاموا وركبوها

المسامرة (١٠١)

ترجمة في باريس

فقال الشيخ اني ما خرجت مرة بهذه البلدة الا وعجبت من
كبرها وكثرة اهلها وتتابع جركتهم ليلا ونهاراً وكان الشيخ يتضرر
من سكنه داخل البلد لما يرى ويسمع دائماً من الحركات القوية
والاصوات الانسانية والحيوانية فان العربات ليلاً ونهاراً تمر وتكر
فيكون لعجلاتها اصوات في تصادمها بالاحجار المفروشة في الطرقات

الاصلية والنصف الثاني من الجرمانين والرومانيين ولسانهم مشتق من لسان التوتون مع اللسان الروماني او الفرنساوي وفي جهة الشمال يوجد بعض يتكلم بلسان السلت التتار وهم الامة الاصلية وبعض اخر اترك وجراكسة وياوروبا في هذه الحالة ثلاثة انواع من سكانها الاصليين ففي جهة الجنوب الطائفة اليونانية الرومانية وهم يتقسمون الى اروام وتليانيين واندلسيين وفرنساوية وعددهم نحو سبعين مليوناً

وفي الوسط والغرب نوع التوتون ويتقسم الى المانيين وسكنديناوة وانكليز وعددهم نحو ستين مليوناً وفي الشمال والشرق عائلة السلاوأي الصقلية وتنقسم الى الروس والسلاف وعددهم سبعون مليوناً والى الفينوى والترك واليهود وغيرهم ويقربون من عشرين مليوناً وغالب اهل اوروبا يتدينون بدين النصرانية وهناك قليل من المسلمين واليهود وفي بعض بقاع صغيرة في جهتها الشمالية عباد اوثان واهل الجهة الجنوبية يبلغ عددهم نحو مائة مليون والروم بالجهة الشرقية وعددهم ستون مليوناً والبروتستان بالجهة الشمالية وعددهم خمسون مليوناً والمسلمون واليهود وغيرهم نحو عشرة ملايين

واما جيوش الدول الاوروباوية فعددهم يقرب من مليونين من المقاتلين في وقت السلم ويصرف عليهم في العام ما يقرب من خمسين ايراد ممالكها

سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ ان يكون جزء من جزائر الروم تحت حكم الترك وان يكون الباقي منها على الاستقلال هو مملكة الروم وصارت ايتاليا عبارة عن اماره صقلية و اماره الكنيسة و اماره توسكانا و امارات اخرى صغيرة وصارت حكومة الجول عبارة عن مملكة و جزء منها صار هو مملكة هولانده و جزء اخر اعطي للبروسيا وغير ذلك و انقسمت جرمانيا الى تسع و ثلاثين ولاية متعاهدة اكبرها النمسا و بروسيا وان يكون جميع شمال اوربا و اسكنديناوة في تصرف الروسيات و كانت منقسمة الى ولايتين تحت تصرف ملك واحد و صارت جزائر الانكليز دولة واحدة و يوجد في هولاء القوم الى الان اثار عوائدهم و لغاتهم الاصلية فالروم اغلب اهلها من البيلاسك و لغتهم من لغة الروم القديمة و اغلب ايتاليا من الامة القديمة و دخل معهم الجرمانيون في الجهة الشمالية و دخل في الجنوبية العرب و لغتهم صارت من الرومية و بقي في جزيرة الاندلس ما قل من الامة الاصلية و اغلبها من الرومانيين و الويزيجيون و العرب و لسانهم من اللغة الرومانية و في الجول قليل من سكانها الاول و اكثرها اخلاط من الرومانيين و الجرمانيين و لسانهم مأخوذ من الرومانيين و اغلب سكان جرمانيا من النسل القديم و السلاو و لسانهم هو لسان اباؤهم الاول من غير تغير و الروس عبارة عن سلاو و فينوا و لسانهم اللسان القديم و اهل السكنديناوة و التوتونيون لسانهم هو القديم ايضا و نصف اهل جزائر الانكليز من الامة

والى دولة مركبة من عدة جهات وصار الروس دولة واحدة
وبقيت السكدينارة على ما كانت عليه وصارت جزائر الانكليز
دولة واحدة

وكذا الحروب التي حدثت عن قيام فرنسا غيرت هيئة
اوروبا تغييراً كبيراً ففي سنة ١٧٩٧ كان لفرنسا حدودها الطبيعية
ما عدا سويسرة ثم زالت دولة ونديك ابي البندقانيين وقسمت
دولة اللاه بين البروسيا والروسية والنمسا وفي سنة ١٨٠٢
انضمت ولاية البيومتي الى فرنسا وزالت دولة المانيا وفي سنة
١٨٠٦ عوضت بدولة النمسا وتكونت من ولايات باويرا
وويرتنبيرج وسكس وولايات اخرى ودولة المانيا المتماهدة وانفصل
من ايطاليا جهاتها الشمالية واستقلت وملكت فرنسا عدة ولايات
اضافتها لملكها وفي سنة ١٨٠٧ خرج كثير من الولايات الداخلة
في البروسيا من قبضتها وصارت ممالك مستقلة منها ولاية
الويستفالي وخرجت ايضاً عنها ولاية اللاه واستقلت باسم
لارسوي

وفي سنة ١٨٢١ اتسعت دولة فرنسا وخرجت عن حدها
الاصلي بادخال هولاندة وسواحل البحر الشمالي وضمت لها التوسكاني
وللايات الكنيسة الرومانية وكانت تحكم على ولايات نهر الرين
وجزائر الروم وايطاليا ونبلي واسبانيا والبرتغال وغير ذلك
وكان من جملة الشروط التي تربت عليها اوروبا المعقدة

اوروبا وغير ترتيبها فدخلت جزائر اليونان في مملكة الترك
وانعزلت عن اوروبا

وانقسمت ايطاليا الى سبع دول وانفصلت جزيرة الاندلس
من مملكة الاسلام وصارت اربع دول من ضمنها مملكة البرتغال
وانقسمت فرانسوا الى اكثر من اثني عشرة دولة وجرمانيا الى
اربع دول المانيا والمجر واللاه ودينمارك

وانقسم الروس الى امارتين امارة ليتاني وامارة مسكو وهذه
الاخيرة مركبة من خلق مجهولة احوالهم

وانقسم السكدينواة الى مملكتين السويد ونورويج
وانقسم الانكليز الى ثلاث ممالك بروتانيا وايكوس وارلانده
وكانت نيران الحرب في تلك المدة مشتتة ليتخلص من قهر ملك
النمسا من كان تحنه من الامم فاستمر ذلك مائة وخمسين عاما ثم
انقلب ملك النمسا وخرج كثير من ملكه الذي كان مشتملا على
بجيجزيرة الاندلس وايطاليا والبلاد الواطية (هولاندة) وعملت
بين الدول شروط تعرف في التاريخ بشروط ويستفالي وعلى
مقتضاها ترتبت اوروبا ترتيباً جديداً استمر و عليه الى سنة
١٧٨٩ فكانت حينئذ بلاد الروم في قبضة الترك وايطاليا كانت
منقسمة كما كانت في القرن السادس عشر وجزيرة الاندلس
كانت منقسمة الى دولتين اسبانيا والبرتغال والجول الى عدة
دول صغيرة وجرمانيا الى المانيا وبروسيا ودينمارك واللاه والمجر

تشتمل على الجول وإيطاليا وجرمانيا الى نهر الطونة وخدمت
سطوة الاقوام المتبررة وابتدأت جرمانيا في التمدن وسمع باسم
البلغاريين والبوهيم وغيرهم وظهرت دول صغيرة منها دينمرك
ونورويج وسويد وفينلند وظهر اسم الروس

ثم دخلت العرب اوروبا واستحوذت على الاندلس وانتزعتها
من الاوروباويين وادخلت جزائر الروم في ضمن اسيا

واستمر النزاع بينهم الى سنة ٨٤٢ ثم زالت دولة الفرنج
بالكلية وظهر بدلها ثلاث دول من الامم الثلاث التي كانت متركبة
منها وهي فرانس وإيطاليا والمانيا وفي القرن الحادي عشر انقسمت
اوروبا الى دول صغيرة فكان في الاندلس ثلاث دول وهي نوار
وليون وكاستيل

وفي الجول فرانس واللورين والبرونس وغيرها وفي جرمانيا
المانيا وبوهيم والنمجي الذين هم المحبر والبولونيا اي اللاه ودينمرك
وسويد ونورويج وسكنديناوة والروسية وغير ذلك وفي ايطاليا ايطاليا
وصقلية وغير ذلك وفي جزائر الانكليز ثلاث دول بروتانيا
وايكوسا وارلاندة وبقيت مملكة الاسلام والروم خارجة عن
اوروبا وبتوالي الازمان وتقلب الحدان تداخلت الدول بعضها
في بعض

ففي القرن السادس عشر تغلب بيت ملك انمسا على

على جميع الجهة الشرقية من اسيا والشمالية من افريقيا وكانت مملكتهم مقسمة الى ولايات منها ولاية الروم وولاية ايتاليا وولاية اسبانيا وولاية الجول وولاية برودانيا ونيها ما على شاطئ نهر الطونة الابن ثم في سنة ٣٢٤ من الميلاد اتحدت تلك الدوله الى درابين مشرقية ومنبريه فكار تبع الدوله المشرقية الروم وبعض جهات من اوروبا وولايات اسيا جميعها والجهة الشمالية الشرقية من افريقيا ويتبع الدوله الغربية جميع ما بقي من افريقه من الشمال الغربي وما بقي من اوروبا

وبعد تلك الايام قامت الامم المتبريرة التي كانت متوطنة بالجهات الشمالية من اوروبا واغارت على الجهات الجنوبية منها واستولوا عليها وابطلوا دولة الرومانيين الغربية وغيره وترتيب سياسة اوروبا وسموا الارض بغير اسمائها فلذلك تغيرت جغرافية هذا القسم

والذي استولى على جزيرة الاندلس من تلك الامم يقال لها الوبزجوث وعلى ارض الجول امة منهم يقال لها الفرنج والذي استولى على ايتاليا الاستروجوت ثم اللومباردي وعلى جزائر الانكليز الانجل والسكس وعلى ارض جرمانيا السلاف اي الصقالبة ولم يبق من دولة الروم المشرقية الا ارض الروم فقط فازمانهم كانت فتناً وحروباً وسفك دماء واستمر ذلك الى سنة ثمانمائة ميلادية ثم قويت الفرنج واسست دولة المغرب وكانت

ويضاف الى ذلك قسم سكان الجزائر وهم الانكليز فتكون
اقسامها به ثمانية وهذه الاقسام كانت مسكونة في الزمن السابق
بست امم متباينة فكان في جزير اليونان والروم وجنوب ايطاليا امة
يقال لها اليبلاسك وفي شمال ايطاليا وبجيث جزيرة الاندلس امة
يقال لها الايبير وفي الجول وجزائر الانكليز امة الجال او الكلت
وفي جرمانيا والسكاندينافو الجرمانيون وكانت تنقسم الى كيمريس
وتوتون وجوت وبارض الروس كان السلاف والفتواي ولول
امة منهم دخل فيها التمدن هي الامة الرومية فالروم هم السابقون
في ذلك وعنهم اخذ من جاورهم من الامم ولكن لم يغيروا شيئاً
من عوائد الامم الذين استولوا عليهم وغاية ما هناك انه خرج اناس
منهم الى ايطاليا وجزائر البحر المتوسط وبعض من جنات الجول
وكانت جل همتهم بلاد المشرق فاسسوا بها دوة عظيمة وتبعهم
الرومانيون وهم امة صغيرة من الايطاليين استولوا باستمرار الحروب
على الثلاث الاول من الامم المذكورة واختلفوا بالخامسة
وجهلوا البقية

فلما تمكنت دولتهم وقويت شوكتهم واتسعت مملكتهم تغيرت
جغرافية اوروبا الجنوبية وذلك لان ملكهم وصل من جهة الغرب
الى البحر الاطلنطي ومن الشمال الى نهر الرين ونهر الطونة ومن
الشرق والجنوب الى حدود اوروبا من ابتداء نصب الطونة في
البحر الاسود الى بغاز الطارق وكان حكمهم متداً كثيراً فيحكمون

هلهما صارت اكثر بقاع الارض عمراناً وخيراً فالانسان هو الذي
 بتدبيره كساها حل البهاء فهي دليل على عظم قدر نوع الانسان
 وعلو شأنه فقد جلب لها جميع انواع النبات اللطيفة من البتاع
 الشاسعة وكذلك جمع فيها انواع الحيوانات من جميع الجهات
 والى بين هذه الاجناس فتفرع من ذلك اثنان التمدن وبعد
 ان كانت انهرها تمر في خلالها بغير فائدة عمل لها اهلها جسوراً
 قوية وطرقاً هندسية وسوا سطوح جبالها ونشفتوا مستنعاتها
 المضرة فاتسعت بذلك ارض الزراعة وعمرت بالمدن والبلاد
 وبحسن التدبير تسلطنوا على البحار واخترعوا في ذلك اختراعات
 كثيرة حتى وصلت رسائلهم الى جميع الجهات وجلبت منها جميع
 المحصولات فزادت ثروة اهلها وصحت ابدانهم وصارت ارضها اتقى
 الارض هواء واكثرها ثماراً وتنقسم اوروبا بالنظر للبحار المحيطة بها
 والانهر الموجودة داخلها الى سبعة اقسام طبيعية

الاول الاندلس

الثاني فرانسوا والجزول

الثالث جرمانيا

الرابع ايتاليا

الخامس الروم

السادس الروس

السابع اسكاندناوة

مهيأ متر مربع وعدد أهلها ٢٢.٠٠٠.٠٠٠ نفس وعلى حسب
 أرضها وما تشتمل عليه من الجبال يمكن تقسيمها الى جنوبية
 وشالية فالاولى عبارة عن ارض مرتفعة جداً وبها جبال عالية
 مختلفة هيئة وانحداراً وسواحلها البحرية خبان كثيرة

وبارض ذلك البحر انهر كثيرة تمتد في جميع جهاته وبهذه
 الصفات تكون محفوظة من الرياح الشمالية وعرضة للرياح الشرقية
 الافريقية الرطبة بسبب البحر المتوسط والثانية عبارة عن ارض
 واسعة وبرك متعددة، ولهذه الصفات كانت عرضة للرياح الباردة
 الثلجية التي تهب من اسيا ومن البحر المتجمد الشالي فارنفاع اوروبا
 الجنوبية وكثرة موانئها سبب في اتساع دائرة الفلاحة والتجارة بها
 وموجب لاستئلال أهلها وتمدينهم بخلاف اوروبا الشمالية فان أرضها
 مع اتساعها ليست مسكونة الا بامم فقراً متوحشين في قبضة حكومة
 تتصرف فيهم كيف شاءت وكل من الاثين وان وجد في سواحله
 خليجان و بحر الا ان وضع البحر المتوسط الملاصق لاوروبا الجنوبية
 بين ثلاثة اقسام الدنيا اسيا وافريقيا واروربا هو الموجب لسعادة
 اهل هذا القسم منذ اربعة الاف سنة وهو منبع التمدن ومركز
 تجارة جميع الامم ولو قارنا قطعة اوروبا بنيرها من الارض لوجدناها
 اقل منها خيراً بالطبع فانه ليس بها ما بالآخرى من النبات
 والحيوان والمعادن واكثر ما يوجد بارضها الحديد وكان غالبها
 مغطى بالغابات لكن مع طول الزمن ومساعدة طيب الهواء وهمة

فيه فقال اني خشيت تضييع الوقت فاحسبت ان اتكلم معه على الكرة في بعض مواد جغرافية ولكن حيث حضرتم فينبغي ان ننف عندما وصلنا ونخرج فقال وانا اريد ايضا ان تبين لي مزية هذه الكرة وما عليها من الرسوم فاعاد له يعقوب حاصل ما تقدم باختصار ثم قال وسيكون ذلك ان شاء الله تعالى في مرة

اخرى

فقال الشيخ بل انجز ذلك الان ونجعل خروجنا بعد ساعة فانه ليس المراد من الخروج غير الفسحة وطال ما كنت اشوق الى الاطلاع على جغرافية قطعة اوروبا وكم سخ بخاطري ان اسال حضرة الخواجا عن ذلك فتحدث امور تمنع وحيث كنت الان بهذا الصدد فاروم منك شرح ما تعلمه فيها فقال يعقوب هذا بعض ما يجب علي

قطعة اوروبا محاطة ببهار من جميع الجهات الا جهة واحدة فمن جهة الشمال بالبحر المتجهد الشمالي ومن جهة الغرب بالبحر الاطلنطيقي ومن الجنوب بالبحر المتوسط ومن الشرق بجزء من البحر المتوسط وبالبحر الاسود وينط وهي يمر باالي جبل القوقاز ويمتد الى بحر الخزر ثم بنهر اورال وجبالها وينتهي الى رأس ويجاز واكبر طولها خمسمائة وثلاثون ميترامتر واكبر عرض منها ثلثمائة واربعة وثمانون ميترامتر وطول سواحلها البحرية ٢٢٧٢ ميريا متر وحدها في الارض طوله ٣٩١ ميريا متر ومساحتها ١٧٧٨٠٤

سواحل يابوتيا ثم فعل الاسبانيون كما فعل البرتغاليون في
 جهات امريكا وفي سنة ١٥١٢ صار اغلب جهاتها معلوما مسلوكا
 وفي سنة ١٥٢٠ علمت الطريق من امريكا الى الهند وفي سنة ١٦١٠
 كثر استكشاف جهات الدنيا الجديدة حتى علمت بتامها

ومن حيث ذ اتسعت دائرة التجارة والملاحة وجابت جميع
 الامر البحار بسفنها واستكشفتها كثيرا من الجزائر ووقفوا على جميع
 الجهات المعمورة من الارض ولم يبق لهم مجهول يبحثون عليه
 غير الطريق الموصل للقطب الشمالي ووسط افريقيا وهولندة
 الجديدة

وما ذكرته لك وان كان على وجه الاختصار الا انه
 يمكنك به ان تعلم كيف تقدم هذا العلم الى ان صارت الملاحة
 الآن اهن شئ حيث بني على قواعد بنتضاها تجوز الفلك
 البحار العظام وتسير على خطوط معلومة مضبوطة بالحساب ويصل
 الناس الى اقصى اغراضهم من ابي جهة من الكرة امنين مما كان
 يحصل في الازمان الخالية فان الملاحين كانوا اغراضا لكن مخيف
 ثقلة معرفتهم بهذا العلم فكانوا يضلون عن الطريق واذا
 تعددت الطرق لا يدرون النجاة في ابي طريق فكان من يسبح
 منهم تطول عليه المدة

وبيناها يتحدثان والى تلك الكرة ينظران اذ دخل عليهما
 الشيخ فاراد يعقوب ان يقطع الكلام فقال له الشيخ امض فيما انت

اشتغل فيها اهل الوندیده و جنوه بالتجارة من بلاد الهند الى اوروبا
 بطريق البر لا بطريق البحر علمت اغلب البقاع والطرق المجهولة
 للناس ولما اخذ البرتغاليون البحر طريقاً لتجارتهم الهندية استكشفت
 استكشافات عظيمة ووصلت سفنهم الي ما لم تصل اليه سفن
 الاقدمين حيث كانوا لا يتعدون رأس نون في المحيط الاطلانتيكي
 اما البرتغاليون فقد وصلت سفنهم الى جزائر كناريا سنة ١٤١٧
 من الميـلاد

ثم في سنة ١٤٢٢ وصلت الى جزائر الاسوز ثم حصل
 استكشاف السنجال سنة ١٤٤٥ وفي سنة ١٤٧٢ جاوزوا
 خط الاستواء وفي سنة ١٤٨٤ استكشفت برطولي ديدار رأس عشم
 الخير وفي اثناء سعادة البرتغاليين بالتجارة ظهر كرسنوف كلومب
 الاسبانيولي واستكشفت الدنيا الجديدة في الثاني عشر من شهر
 اكتوبر الافرنكي سنة ١٤٩٢ وفي تلك المدة وصل البرتغاليون
 رأس عشم الخير وجميع سواحل تلك الجهة ومن ذلك الوقت
 صار ما بين اوروبا والهند طريقاً مسلوکاً وعلم الناس بحر العجم
 والبحر الاحمر وخليج عومان وخليج بنگال وغير ذلك من بقاع
 شتى وذلك انه من نحو مائة سنة كانت اغلب التجارة فيها
 للبرتغاليين فاستكشفتوا جزيرة ملقة سنة ١٥٠٠ وجزائر السند سنة
 ١٥١٠ وفي التي تليها جزيرة سيام ثم في التي تليها جزيرة ملوك
 وفي سنة ١٥١٦ استكشفت سواحل الصين وفي سنة ١٥٤٢

الساکنة على نهر الطونة وبجر البتیکا وجزائر الانکلیز

وفي القرن الثاني من المیلاد جمع بطليموس جميع المعلومات الجغرافية وضبط حدود الارض المملومة ووسع الکلام في قطعة افريقا وآسيا وبين ارض الصين الا انه لم يعين الحد النربي لافريقا ولتبربرون النازلون من الشمال الذين هجموا على من باوروبا هم الذين وسعوا دائرة جغرافية هذه البتعة وذلك في القرون الوسطى ثم جاء من بعدهم العرب فبينوا جميع جهات اسيا وافريقا كل البیان وساحوا ارض الصين وجزائر السند وفي وقتهم مدت الديانة المحمدية اخصانها وهزّت بلابل العز افنانها حتى وصلوا النهر المار من وسط ارض الهند ولم تعلم جهة شمال اوروبا الا من عهد حرب النورماندي ومن ذلك الوقت علمت البروسيا والسکنديناو والروس ومن عهد حروب الاتراك والمغول وقف على معرفة سكان البقاع المركزية لآسيا وارض التار وبلاد السيبيريا وغيرها من الجهات

ومن حين حرب القدس اشتاقت الناس الى السياحة فانسعت دائرة الجغرافية اتساعاً عظيماً بما استفيد من رسائل السياحين وترحلهم فعلمت اوضاع ام كثيرة كانت مجهولة الى ذلك الوقت خصوصا اوضاع اسيا وافريقا

ثم لما اشترك جميع الناس في حب التجارة والسياحة حصل لهذا الفن تقدم عظيم وكثرت المعلومات وفي القرون الثلاثة التي

ثم تتكلم على قطعة اوروبا حيث نحن الان فيها فنقول الكرة
الارضية كانت غير معلومة من جميع جهاتها كما هي الان فكانت
كل امة في تلك الازمان الخالية تعد نفسها في وسط الارض وكانوا
اذ ذاك يعتبرونها كقرص مستدير يحيط به نهر عظيم كانوا يسمونه
الاقويانوس وكانوا اذ ذاك لا يعرفون من البحار غير البحر المتوسط
وكانت ارض الروم تعتبرانها مركز لذلك القرص ويظنونه ممتداً
من جهة الشمال الى ما بعد نهر الطونة ومن جهة الغرب الى بغاز
قادس ومن جهة الشرق الى حدود آسيا الصغرى ومن الجنوب
الى آخر افريقيا والبلاد المعلومه كانت بلاد الروم واسيا الصغرى
ومصر وايتاليا

وفي زمن هيرودوط بطل اعتماد الناس في البحر المحيط
واتسعت قطعة اوروبا وآسيا وافريقيا ما استكشف من الارض
والبلاد وبقي ذلك الى زمن القرطاجيين فساحوا في البحر المحيط
واستكشفوا الجزائر الخالدات في الجهات الجنوبية وجزائر الانكليز
في الشمالية وبعد الاسكندر الاكبر عرفت اغلب بقاع اسيا الكبرى
ثم ان استرابون الجغرافي الشهير حصر جميع المعلومات الجغرافية
الى وقته فكانت عبارة عن اغلب بقاع اسيا وافريقيا واوروبا وهي
محاطة ببحر عظيم والرومانيون بسبب حروبهم في جميع جهات
الدنيا احاطوا بعلم كثير من جهات اوروبا خصوصاً الجهات
الشمالية منها وكانت غير معلومة لذاك الوقت وعلمت حينئذ الامم

ببحر اسلاندة وبواسطة البحر المنجمد الجنوبي بالاقويانوس وتصل
 بالبحر المحيط بالاقويانوس وبينماز مجيلان وبيجر الهند بالحجزه من
 الاقويانوس الذي في جنوب رأس عشم الخير

وجميع المياه البحارية فوق ارض الدنيا القديمة تصب في البحر
 الاربعة التي ذكرناها كما تقدم وخط انقسام تلك المياه يتجه على غير
 انتظام من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي فيخرج من ابتداء
 الشرقي الى رأس عشم الخير ويمرّ ببرزخ السويس

واما الماء البحاري في ارض الدنيا الجديدة جميعه فينصب في
 الثلاثة الابحار الاصلية وهي البحر المحيط والاطلنطيتي والمنجمد الشمالي
 وخط انقسامه فيها يتجه من الشمال الى الجنوب

ومساحة ارض الدنيا الجديدة عماراً وخراباً وسهلاً وحزناً

٢٩٦ ٨٠٧٠ ميريامتر مربع

ومساحة الدنيا القديمة ٦٨٠٠٠٠٠٠٠ ميريامتر مربع اي ان
 سعة الدنيا القديمة قدر سعة الدنيا الجديدة ثمانى مرات ونصفاً تقريباً
 وبما ذكرته لك تسلم اقسام المعمور من الارض على وجه العموم
 وما فيها من البحار ايضاً ثم لا بدّ بعد ذلك من معرفة الامم الساكنة
 في كل قسم على حدته وهذا امر يطول لو اردنا الدخول فيه على
 وجه التفصيل فنقتصر على ذكره مجملأً لكن قبل الدخول في
 شرح ذلك اذكر لك بعض كلمات تقف بها على تاريخ علم الجغرافية
 لتعرف كيف تقدم هذا العلم تدريجاً

لهند المحيط بجزائر الاوقيانوس ويتصل بمحدود افريقية واسية من
 جهة الجنوب انما هو قطعة من هذا البحر العظيم فكل ماء يجري
 وسط الارض القارة من اي جهة من جهات الدنيا قديمة وجديدة
 مصبه تلك الابحر الاربعة

ثم ان كل بحر منها يتفرّع منه بحار صغيرة تخرق الاراضي
 القارة مثل البحر المحيط قد اخترق الدنيا الجديدة فتكوّنت بهامه
 فروع منها بحر بهران وبحر الكاليفورني وبحر تيا وكذلك دخل منه
 في الدنيا القديمة فروع مثل بحر يابونيا وبحر الصين وغيرها من
 البحور وكذلك البحر المنجمد الشمالي تفرّع منه فروع فمن فروعه
 بالدنيا القديمة البير الابيض ومن فروعه بالدنيا الجديدة البحر القطبي
 ومن فروع البحر الاطلنطيقي بالدنيا القديمة بحر بلنيتة والبحر المتوسط
 الذي على ساحله مدينة الاسكندرية وخليج غينا وفي الدنيا الجديدة
 بحر باقان وبحر هودسون وخليج مكسيك وغير ذلك وتشعب من
 بحر الهند البحر الاحمر وهو بحر القلزم وبحر عومان وخليج بنجال
 وبحر العجم

والبحر المحيط متصل بالمنجمد الشمالي في بنغاز بهران وبحر الهند
 ببغازات عديدة في جزائر السند وهولاندة الجديدة ويتصل بالبحر
 المنجمد الجنوبي بالاوقيانوس وبالبحر الاطلنطيقي بالاوقيانوس
 وببغاز ماجيلان

واما البحر الاطلنطيقي فيتصل بواسطة البحر المنجمد الشمالي

بعض الممتدة بالاتساع من اعلى الى اسفل بدون انتظام وتقسّم الى قسمين صغير وكبير فالصغير في الجنوب الغربي ويعرف بافریقة وهي قطعة من الارض منها اقليم مصر والسودان والحبشة والمغرب وبلاد اخر والكبير في الشمال الشرقي والشمال الغربي فلذا قسموه الى قسمين ايضا غربي وشرقي فالغربي يعرف باوروبا التي منها فرانساجرمانيا والانكليز والروس وغيرها والشرقي يعرف باسيا التي منها بلاد العرب وارض الشام والعجم والهند والصين والترک وغيرها وجميع هذه التقع الصغيرة المرسومة في الجنوب الشرقي جزائر كبار وصغار واشهرها جزيرة هولاندة الجديدة وباقي هذه الجزائر تسمى جزائر اوقيانوس وهي من الدنيا القديمة

واعلم ان ما يسمونه بالبحر المحيط الجنوبي هو كناية عما تحصر من الماء بين شرقي الدنيا الجديدة وغربي الدنيا القديمة وما يقال له البحر الاطلسي هو المحصور بين غربي الدنيا الجديدة وشرقي القديمة وهذان البحران ممتدان جهة القطبين وهناك يجتمعان ويتكون عنهما البحران المنجمدان وهما المنجمد الشمالي عند القطب الشمالي والمنجمد الجنوبي عند القطب الجنوبي

فاذا تأملت ذلك رأيت ان معظم الارض القارة في النصف الشمالي من الكرة وإن معظم الماء موجود في الجنوبي منها ولذا اطلقوا اسم الاوقيانوس على ما انحصر من الماء بين الدائرة القطبية والارض القارة من جهة الجنوب الذي منه رأس عشم الخيبر وبحر

لأناباه ولكن انتظراني نحو ساعتين فان لي ارباً اريد قضاء فاجابه
يعقوب لذلك وقام هو وابن الشيخ الى شرفة يعقوب فمد يعقوب يده
الى كرة وقال لابن الشيخ تذكر ما كنت وعدتك به حين كنا
في الجراول تعرني بك فقال ابن الشيخ وقد كتبت في رقعة وارسلته
لوالدني فقال يعقوب اني اشتريت هذه الكرة التي هي مثال للارض
بما فيها لابن لك عليها الاقطار المعهورة من غير المعهورة وكيف
توزع البحار عليها وحيث اهلنا حضرة الوالد ساعتين فالرأي
عندي ان نصرف ذلك في معرفة بعض شيء من الجغرافية فقال
ابن الشيخ ان في شوقاً شديداً لمعرفة هذا السلم فقال يعقوب ستعرف
ذلك قريباً ان التيت بالك فانه علم لا صعوبة فيه

ولنبداء بمعرفة البحار المحيطة بالدنيا ويكفي الان أن تنظر لهذه
الكرة ليثبت ما تراه في ذهنك

فاعلم ان جميع ما تراه على سطحها محدوداً بمخطوط هو اشارة الى
الارض القارة والجزائر وما سواها من سطح الكرة هو المستور بالمياه
ويتكون عنها البحار المسماة باسماء مختلفة على حسب اوضاعها وهذا
الشريط المستطيل المنفرد وحده الممتد من اعلى الى اسفل الضيق
الوسط العريض الطرفين هو المسمى بالدنيا الجديدة وهي
الامريكتان الشمالية والجنوبية فالشالية هي الجزء الاعلى من الشريط
والجنوبية هي الجزء الاسفل منه

واما الدنيا القديمة فهي هذه القطع الثلاث المتصل بعضها

يسر خاطركم ذهبنا جميعاً فانفقنا على ذلك ثم حضر الطعام فتناول
كل ما تيسر وقام الانكليزي وتوجه وبقي الشيخ وولده
ويعقوب

المسامرة المائة

المحرفانية

فقال الشيخ ليعقوب قد سبق انك اخبرتنا ببعض حوادثك
حين اسرك ولم تذكر لنا ما جرى بعد عودك ولا ما حصل لاختك
فهذا او ان ذلك فاذكر لنا ما بقي منه في بالك وكان الخواجا
ترك العربية للشيخ فقال يعقوب سمعا وطاعة وها هي العربية حاضرة
فلنركبها ونذهب لنغتم اللذتين ونكون التسلية بشيئين فنظر
الشيخ الى ولده فرأى السرور على وجهه فقال ذلك امر حسن

ثم طوى الكتاب وذهب به الى والده وسلمه له فقرأه بتمامه وسر
من حسن نظامه وسلاسة مبانيه وجزالة معانيه ثم قال له ان
كتابك فيه الكفاية فانه استوفى ما يلزمي كتابته ثم وضع اسمه
بجانب اسم ولده وكتب على هامش الكتاب بيده وصية بالاولاد
وبارسال رسائل مع الورد تبين فيها ما عندها من الاخبار ثم
برشم الكتاب وقام هو وولده ودخلا عند الخوجا فحياها واكرم
مناها ثم قال للشيخ اني كتبت خطاباتي التي اريد ارسالها الى القاهرة
فقال الشيخ ونحن كذلك وسلمه الخطاب فوضعه الخوجا داخل
الظرف وبرشمه ثم سلم ليعقوب الظرف بها فيه فتوجه به
الى البوسطة

ثم قال الخوجا للشيخ اني كنت اريد ان اخرج مع حضرتكم
للتنزه حسب الاتفاق ولكن ارجوكم السماح فقد عاقني عن ذلك امر
مهم وهو ان لاحد اصحابنا قضية مهمة في بلد قريب ولا بد لي من
التوجه معه لبتها وقد واعدته على ذلك وان شئت الذهاب معنا
فلا بأس لاسيا والبلدة قريبة والسبل الموصلة لها لطيفة ولا تخلو
من فائدة وان شئت ان تبقى ههنا ومعك يعقوب فلا مانع وان
شأ المولى في يوم غير هذا نذهب معاً ومع كل هذا فالرأي لكم فقال
الشيخ ان استحسنتم بقاءي هنا فلا مانع

فقال الخوجا الرأي ما ترونه واظن اني اعود قبيل الغروب
وفي ذهابي وايابي استكشف لكم الطريق فان وجدت بها ما

ولعددت ثواني الغربية سنوات وخلت جميع اوقاتي عن اللذات
 لكن ملازمته لي وشفتته علي وتسليته لي برائق العبارات خفف
 عني الكروب وربما تحصلت بصحة على كمال المرغوب مع صحة
 البدن والنزهة في غالب الزمن ومشاهدة امور ظريفة مع ما انتسبه
 منه بالممارسة عند المحادثة والموانسة واما صاحبنا الخواجا فلا يدع
 في نفسي شيئاً احبه الا ويجلبه لي لان حبه لي زائد وقد بلغت حد
 التكلم باللغة الانكليزية وذلك ليس الا بهيمته فجزاه المولى عني خيراً
 فصرت الان وان لم اتحصل على درجة عظيمة في اللغة الانكليزية
 لكن يمكنني قضاء ما يلزمي بحيث اعبر بها عن مقصودي وافهم
 ما يقال لي وقد اخذت ايضاً في تعلم اللغة الفرنسية ولست مقتصرأ
 على ما اخبرتك به بل كل ما وقع نظري عليه او سمعته او
 فهمته اسطره لكي اطالعك عليه حين العود الى مصر ان شا الله
 تعالى والذي يغلب على ظني انا نقيم شهراً بباريز ثم نتوجه
 الى بلاد الانكليز واوندي في هذه المدة فضلاً عن اشتغاله مع
 الخواجا بقراءة بعض دروس عربية بالمدرسة الشرقية ففضله كل
 وقت ينشر وفخره بين العلماء يزيد ويكثر وليس ثم ما يكدره غير
 الفراق وعدم ورود الخطابات الينا منكم فالمرجو عدم انقطاع
 الرسائل لانها للاطمئنان عليكم من اقوى الوسائل حيث كان
 ارسال الخطابات ممكن لك مع ما ياتي للخواجا من المكاتبات ثم
 ارجو تبليغ السلام الى الاخوان والمحبين الكرام

وفرقك منا فقال بعثني حضرة الخوارج الى بعض اصحابه لامرهم
فقال لعله تم على مرامه فقال نعم وقد فرح به فرحا شديداً
واستفدت انا منه كذلك شيئاً جديداً وهو هذه الساعة فهنا
بها ابن الشيخ ثم تواعدا على الذهاب الى العين صباحا ودخل ابن
الشيخ لينام فلما انتبه من نومه اخذ حبرة وكاغدا ويراعا وصار يحرر
لوالدته هذا الكتاب

اهدي عاطر تحياتي الى كريمة النسب الطاهرة الاذيال قرب
الله لنا ايام النداني

وبعد بث الاشواق ابدى لحنابك اني منذ فارقت مطلع
سعودك ومرع شهودك وانا مشغول البال مرتبك الحال وما من
وقت يمر علي الا وانا منتظر ورود خبر منك الي اطمئن به
عليك وعلى الاخوة والاخوات والابام والاخوال والعمات والحالات
ولكن كيف السبيل الى تحقق تلك الامال مع بعد ما بيننا على ان
بعد الشقة يزيد لوتتي وينقص خاطري وكم هاج علي الوجد وقت
الانفراد وكم صورك الوهم في الفواد فيثير ما انا فيه من النيران
ولا سيما اذا اشتد النذكار لها تيك الديار وما كنت تفعلينه بي من
الحنو وعطفك علي ورافتك بي فعند ذلك يهيج وجددي ويكاد
ان يشيب من تذكاره فودي ولولا ان من الكنان المنان بصحبة
اعز الحلان وعرفت يعقوب الذي اخبرت سيادتك عنه فيما سبق
لذيت من الم النوى واعتزني من الم الجوى ما لم اجده دول

ويراعون خاطره وهكذا الى اتقضاء اللعب فانصرف الخواجا مع
 الشيخ وولده وكان باللعب خلق كثير ما بين نساء ورجال
 وشيوخ واطفال

فقال الشيخ اخن ان اهل هذه البلدة لا يدخلون تحت عدد
 وازداد تعجبه من خلوه بالهم وانتظام حاله لانه رأى جميع اوقاتهم
 ما بين اعمال جدية سديدة وهزليات والعباب غريبة مفيدة تكسوهم
 ثياب ثروة ونزاهة وتفيدهم علوما باحاديث الفكاهة فما يمر عليهم يوم
 من الايام الا وتتزايد اعمال الثروة والنزاهة عندهم فتمضي عليهم
 الايام والليالي في لذة بال

ثم وصلا الى المحل ونزلا عن العربفة فقال الخواجا ايها
 الاستاذ ان البوسطة تتوجه غداً فان اردت ان ترسل كتاباً فخرره
 الليلة فقال له الشيخ جزيت خيراً ووقيت ضيراً ثم ذهب كل
 نحو غرفته وكان اكثر الليل قد مضى

فقال الشيخ لولده يا بني حيث لا ينبغي الان غير النوم فان
 شاء الله نحرر خطاباتنا غداً ونرسلها الى البلاد لوالدتك
 والاولاد فقبل يده وقام لينام فقابله يعقوب بعد قضائه ما كان
 مشغولاً به فسلم كل منهما على الاخر سلام اشتياق ودخلا يتحدثان
 بما رق وراق فتبكي له ما رآوه في هذه الفسحة وعن التياتر وما فيه
 من النزهة وقال كنت اتمنى تمام سروري بوجودك
 فقال له يعقوب الايام بيننا فقال وما الذي عافك عنا

الأصدقاً واني جلت في بحر الفكر في شأن هذا الامر مدة سيرنا
في الطريق فوجدته في مقاله صادقاً وبالحق ناظقاً ما كأنه الآ
ساح كل بقعة واثبت له فيها سجدة وركمة وعاشر من استوطنها
من السكان في كل الازمان فانه لا يتف على تلك الاحوال
الآ من كان هكذا من الرجال فله دره عالمًا نحريراً وفاضلاً
بالامور خبيراً حاز من كل فن طرفاً فاخذ منه ملحا وظرفاً

فقال له ابنه ومن الغرائب والعجائب معرفته بجميع اللغات
فاني اراه يكلم كل انسان بلسانه مع الزلاقة وحسن التعبير والطلاقة
كانه في كل لغة اصيل وليس فيها بدخيل ومن مزاياه انه محبوب
عند كل من يعرفه

فقال الشيخ ان ذلك من علمه وادبه فان من تحلى بحيلة
الادب اغناه ذلك عن الحسب والنسب

ثم قال يا بني قم بنا نذهب اليه فذهبا فوجدا الأكل قد
كملت هيأته فجلسوا جميعا ياكلون وفي خواص الاطعمة يتحدثون
ثم بعد شرب القهوة ذهبوا للفرج على التياتر فاخذ الخواجا له ولهم
تذاكر ودخلوا فلما اخذ كل موضعه دارت الملاعب من كل
جانب فسرّ الشيخ بما رأى

وكان الخواجا يترجم له العبارات اللعبية ويبين له ما فيها
من النكات الهزلية والمجدية وفي الاوقات الخالية بين الالعب
اجتمع بكثير ممن يعرف الخواجا فكانوا يحيمونه ويمزحونه ويوآسونه

اهل الصين فان قوانينهم مؤسسة على الاجتهاد والسعي والبحث
على ذلك فتجد احوالهم مستحسنة وقواهم متوفرة وارزاقهم متيسرة فيبين
الفرقيين بون بعيد مع انها متجاوران

المسامرة التاسعة والتسعون
الاكليزي والنوارو والكتاب

ثم اننا وان لم نستوف الكلام في هذا الملام الا اننا محتاجون
الى الرجوع الى البيت لناكل ثم نعود للتيار فانكم ما رأيتموه ولا
وقفتم على حقيقة ما فيه فتساما وركبا العربة واخذنا باطراف
الاحاديث الى ان وصلنا مكانها فنحنا كل نحو غرقتة فلما خلا الشيخ
بابنه قال له ما تقول فيما حدثنا ه الخواجا في هذا اليوم فقال انتم
بذلك ادري وبالحكم فيه اخرى فقال ما قال الا حقا ولا نطق

قوانينهم وعوائدهم واخلاقهم فانك لو قارنت بين ما كان في
سالف الازمان وما هو الان لم تجد الا فرقا يسيرا ومن نامل
احوال الامم وجد ان المؤسسين الذين وضعوا القوانين لسياسة
الناس هم الذين اكسبوا اهل بقاعهم ما هم عليه من العوائد والاحوال
ضرورية ان كل طائفة عملت بقوانينها وسيست باحكامها حتى
صارت كالجبلة لهم فبعض المؤسسين ساير اهل بقعته على ما هم
عليه من رديء الخصال وسيء الاحوال فلم يزدادوا بذلك الا
ضرراً من الفقر ونحوه والبعض رفع اهل بقعته عن الرذائل بل
وحملهم على التحلي بافضائل فتحسنت احوالهم وحمدت خصالهم
وافعالهم ففي اعتقاد الهنود مثلاً ان السكون والعدم هما الاصل
واليهاتوئول الاشياء فيرون البطالة احسن الاحوال ويستندون
في ذلك الى اسمه تعالى الثابت لانهم فهموا ان معناه الذي لا يتحرك
مع ان الامر ليس كذلك بل معناه الدائم الذي لا يزول
ازلاً وابداً وسكان جزيرة سيام يقولون ان النعيم الابدي هو كون
الانسان لا يجبر على الحركة واتعاب الجسم فلذلك كان السكون
وعدم الاشتغال عندهم امراً مرغوباً فيه في تلك البلاد الحارة المضعفة
لجميع القوى ولان الراحة عندهم امر طبيعي هو المتصود
بالذات

فلما اسست القوانين على حسب قطرهم وما يناسب اوضاعهم
من الترغيب في الدعة وترك الحركة اعتبت مضار كثيرة بخلاف

هي طبيعة بقعتهم وقد شوهد ان من تناسل من الاوروباوين هناك يشبه طبيعه طبع الهنود دون طبع ابيه واصوله ومن ذلك فللهنود عوائد فظيعة مستغربة كل الاستغراب منها ان نساهم بحرقن انفسهن بالنار بعد موت ازواجهن ومنها انهم مع ضعف قواهم ونحافة اجسامهم يتوهمون اوهاما جسيمة جداً فيتوهمون اموراً افزع من الموت فلا يبالون من الموت ولم صبر وتجلد على انواع العذاب

وهؤلاء القوم مخلوا اذهانهم وسلامتها عن العوارض وقابليتهم واستعدادهم لكل ما يلقي اليهم يلزم لهم على سبيل التاكيد زيادة عن غيرهم ان ثقفن لهم قوانين وتشرع لهم احكام حسنة يتعلمونها ويتداولونها بينهم ويلزم ان تكون تلك القوانين اموراً معقولة خالية عن الاوهام والوساوس ليحبيلوا على احسن الاحوال حيث انهم على الفطرة الاعلية ليس في اذهانهم شيء من التخليطات كالأطفال الذين يلزم لهم السياسة والتعليم والتدريب على ما به صلاحهم اكثر من الكبار الذين دخلت اذهانهم تشويشات تعظمها او تمنعها عن رسوخ التعليمات فيها وقد كانت الامم الشمالية زمن الرومانيين مستقلة بنفسها ومدافعة عن وطنها وحرمتها ومع جهلهم وعدم وجود قوانين لهم حاربوا الرومانيين زمنا طويلا حتى كسروا شوكتهم وخفضوا دولتهم ولو اضفت ضعف بنية الامم الشرقية عن العمل الى ما هم عليه من حب البطالة والكسل لعرفت سبب ثباتهم على

الحارة يعوض ما خرج من الجسم بشرب الماء وفي الباردة يعوض
 بالمشروبات الروحية كالنيذ ونحوه للاعتاش وبث الحرارة لتنبعث
 الحركة خيفة جمود الدم الأترى ان الماء هو الشراب المألوف عند
 اهل المشرق من يوم خلق الله الدنيا بخلاف النيذ ونحوه فهو
 المألوف عند اهل البلاد الباردة واهل البلاد المعتدلة لا تقطع رغبتهم
 في النسا لكن لا تبلغ بهم الى حد التهور فهم فيها على حال الاعتدال
 وتزداد تلك الرغبة بالتدرج بحسب البلاد الحارة ولو اخضرت اهل
 البلاد الباردة لوجدتهم اقرب الى الصدق والحق والامانة من اهل
 البلاد الحارة فان اولئك تغلب عليهم شهواتهم وتكثر فيهم الكبائر
 والمساوي فتراهم لا هم لهم الا شهوات انفسهم وطاعتها فيما تقترحه
 عليهم من الاماني والشهوات البهيمية

واما اهل البقاع المعتدلة فلا ثبات لهم على حال فطورا في
 الفضائل وطورا في الرذائل يغشون كل ناد ويهيمون في كل واد
 وكلما زادت درجة الحرارة ضعفت القوى البدنية ويتعدى ذلك
 الى القوى العقلية فتتساوى لديهم الامور فلا تنبثق خواطرهم الى شيء
 ولا يهتمون بشيء ويغلب عليهم الكسل ويحملون العذاب في
 الدنيا بلا ملل ولا يجتهدون بعقولهم في سياسة انفسهم في ذلك
 استرقاقهم ويرون الرق اهون عليهم من العمل ولهذا نرى الفقراء
 والدررايش والشحاذين وامثالهم في تلك البلاد كثيرين وانا لنعلم
 بما تواتر عن السياحين ان الهنود مجردون عن الشجاعة والبأس كما

اطراف الاعصاب فلا يصل الى المخ الا الاحساسات العظيمة
 المحاصلة من مجموع العصب ولا يخفى ان القوى العقلية جميعها حاصلة
 من احساسات صغيرة فمن هنا يكون الاحساس كثيراً في البلاد
 الحارة قليلا في غيرها والالم كذلك فانه يحصل من تمزيق بعض
 اعصاب الجلد او تفريقه فكما كثر كثر الالم وبالعكس ففي
 الباردة التي جنة اهلها ضخمة واعصابهم غليظة يصعب ذلك التمزيق
 لغلظ جلودهم بخلاف اهل البلاد الحارة لرقه اعصابهم وجلودهم
 ولهذا كان الم سكان الاقطار الباردة اقل من الم سكان الاقطار
 الحارة ومن هذا التباين في الطباع الناشىء عن اختلاف البقاع
 تكون اهل البلاد الحارة كثيرة الميل الى النساء ومنهم من يرى الميل
 اليهن من اعظم النعم بخلاف سكان البلاد الباردة فان ميلهم
 اليهن قليل اما اهل المناطق المعتدلة فمعتدلوا الأحوال
 مطلقاً.

فقال الخواجا ما ذكرتموه مسلم ولذلك نجد البلاد الجنوبية مثل
 ايطاليا وماجاورها من البلاد انفة رجالها النساءها ليست كلفة رجال
 البلاد الشمالية الباردة بنساءها فانهم لا حظ لهم الا في الحركة كالصيد
 والسفر والحرب والشرب وسبب ذلك ضخامة اجسامهم وثقلها
 وتمام الصحة ولهذا كان اكثر اهل تلك البقاع يميل الى المشروبات
 الروحية وكما بعدوا عن التطيبين وقربوا الى خط الاستواء تنص
 هذا الميل واظنه تابعا لما يقذفه البدن من العرق ففي الجهات

الاخلاق والطباع ما يغير طباع غيرهم من سكان البلاد الحارة مثلاً لو حبسنا رجلاً في مكان شديد الحرارة لتالم وهمدت قواه بحيث لو طلب منه فعل امر يحتاج في الاقدام عليه الى الجراة لم يفعل اذ ضعف قوته يورثه ضعفاً في قلبه وثقلاً في حركته ولذلك تجد سكان البلاد الحارة في القوة اشبه بالشيوخ وسكان البلاد الباردة بضدهم ولو انتقلت سكان البقاع الباردة الى البقاع الحارة او بالعكس لتغيرت طباع كل الى ما يناسب الجهة التي انتقل اليها لكن بعد زمن وفي البقاع الشمالية التي ينزل بها الثلج دائماً يكون الانسان ضخ الجثة قليل الهمة والشايط وسببه ان قوة الالياف ينشأ عنها استجلاب العصارة الوردية من الغذاء فيحدث امران الاول ان جواهر الكيموس تصير صالحة لان تكسو الالياف وتغذيها فتكبر الجثة والثاني انه ينشأ من قلة جودة العصارة المستجلبه قلة اللطافة في العصارة العصبية فيقل النشاط وتكون الاحساسات في البلاد الباردة ضعيفة بخلاف الحارة فانها فيها قوية جدا وفي المعتدلة تكون معتدلة وكذا تختلف درجة الاحساس عند الناس باختلاف الاقطار والعوارض وذلك ان اختلاف الاحساس ناشئ من كون جميع الاعصاب الواردة الى المنسوج الجلدي يتكون من كل منها مجموع عصبي ففي الجهات الحارة يكون المنسوج الجلدي رقيقاً جداً واطراف الاعصاب مفتحة فتحس باقل شيء ورد عليها من الخارج وفي الباردة بخلاف ذلك لانضمام المنسوج الجلدي وتجمع

النفس من اهم الامور كان ذلك ايضا يختلف باختلاف البقاع
 فيكون في الارض السهلة سهلا وفي الصعبة صعبا وكلما سهلت
 طرق الاكتساب في جهة تساهلت سكانها في الكد والاجتهاد فيه
 وكلما صعبت ازداد الكد والنصب فبين سكان الجبال ونحوها من
 الجهات الصعبة المحرث والغرس و (بين) سكان الارض النخصبة
 ذات الانهار والخيلان بون بعيد وتباين في الطباع والاضاع
 وكذلك طرق التخفظ مختلفة باختلاف البقاع ففي البلاد الباردة
 تجمع البرودة اطراف الالياف الظاهرة من بدن الانسان فتزيد
 بذلك قوتها ويسرع رجوع الدم الى القلب وينشأ عن ذلك
 للانسان من النشاط ما يساعده على الكد والعمل بخلاف البلاد
 الحارة فان حرارتها تمدد الالياف المذكورة فتتلاشى قوتها وتضعف
 بذلك قوة الانسان ويدخله الفتور ولا يقوى على العمل ولذلك
 تجدد سكان البلاد الباردة اقوى من غيرهم فانه متى انتظمت حركة
 القلب والالياف فقد انتظمت السوائل في اعضاء الجسم وتكون
 حركة الدم نحو القلب اتم فيقوى فعله وتزيد قوته وقوته فوائد
 كثيرة منها شدة البأس وقوة الجاش وملك النفس عن سرعة
 الانتقام وعدم الخوف على النفس ومتى قل خوف الشخص على
 نفسه كثر حبه للمحق والتماسه له واتباعه اياه اينما كان ويكون
 بعيدا عن الظنون والاهام عاليا عن الكذب والنفاق والخداع
 والمكر ونحوها فلا ريب في ان هؤلاء الناس يكون عندهم من

وذلك كالفأر بأمريكا فإنه قبل دخول الأور وباو بين هذه البلاد لم يكن له بها وجود أصلاً

وقد تقدم أن أول بقعة وجد بها الآدمي هي أرض الهند وهناك علامات تدل على ذلك فإنها كانت في أول الزمن كثيرة النبات والخير ثم أخذت أرضها ترتفع شيئاً فشيئاً حتى قل خيرها فهاجر منها أكثر ساكنيها بأسباب وحوادث لا نعلمها واستمرت آخذة في العلو والاحمال حتى صارت جبالا لا تنبت فلم يبق بها ساكن ولم يزل يتنقل الإنسان من جهة إلى أخرى بحوادث داعية إلى ذلك حتى امتلأت منه الأرض وعمرت جوانبها

فقال الشيخ هذا كله يدل على عظمة الله وقدرته حيث أودع في كل نوع من المخلوقات قوى غريزية وطبائع مختلفة يقدر بها على تحصيل قوته ويأمن بها على نفسه مدة حياته وفيما ذكرتموه دلالة على أن الحركة أساس بديع لعمار الأكوان وقيامها وقانون جليل عليه مدار انتظامها فكل مخلوق لا يستغني عن الحركة في كل حاجاته ولكنها تكون على أنواع بحسب أنواع الحيوان وطبائع البقاع فتكون كثيرة عند بعض وقليلة عند بعض آخر لانه سبحانه كما نوع أحوال البقاع نوع ما لساكنيها من الطباع فليست طبيعة من يسكن الهواء كطبيعة من يسكن الماء ولا من يسكن الأرض الحارة كمن يسكن الباردة

وحيث كان السعي في طلب القوت والمحافظة على حياة

الى وطنه ونوع البلبل يتقل في فصل الخريف من الشمال الى الجنوب كل عائلة على حدتها لكن اناثه تسبق ذكوره باسابيع فتذهب وحدها من مصر والشام وتقصد البلاد الشمالية ومنه نوع تهاجر اناثه فقط في فصل الشتاء وتبقى ذكوره واما الحيوانات ذوات الثدي فلا تتقل من بقاعها المعدة لها الا اذا جاءت او تعدى عليها احد في ارضها ومنها ما يتقله الانسان معه كالخيل والحمر الوحشية الى حيث يستوطن من البقاع وهي التي تناسلت في التانس وعمرت منها البلاد بامر يقا فانها ترحل في فصل الشتاء الى الجهات الحارة وكذلك الطياء والفيلة مع غلظ جثتها تترك مواضعها لطلب مراعيها والجاموس الامريكاني المتوحش يتقل من السهل الى الجبل وبالعكس على حسب الفصول فيتبع مجاري الانهار والسيول لالتماس المرعى بغيريزة وضعها الله فيه فيتبع المرعى حيث كان ولا يعلم احد طريق اهتدائه اليه

وللقردة طرق عجيبة في قطع كبار الانهر والخجان المتسعة

واما الحيوانات الاهلية فتنتقل تبعاً لانتقال الانسان فخيول اسيا وبلاد العرب الان كثيرة بامريكا ولم تكن موجودة بها قبل اختلاطهم بالانديلسيين وكذا النمل منها هناك كثير ضائناً ومعزاً وذلك بسبب تنقل الناس كما ان الانسان هو الواسطة في وجود بعض الحشرات والهوام في جهات لم يكن لها وجود كما تقدم

فيتلذون بسماح تغريده ويانسون برويته ولكل نوع منها كيفية
 يكون عليها ومنهاج ينهجه في هجرته وتعديته البحر وقطعه للمفازات
 فالبعض يكون منفرداً والبعض يكون مجتمعا ومنها ما يسير
 بالنهار ويسكن بالليل ومنها ما يسير بالليل ويستريح بالنهار
 فالاوز يسافر مجتمعا معترضا والغصفور يسير متسلسلاً والجمع
 يسير على هيئة شكل مثلث وإذا صادفها في سياحتها بحر قطعته
 طيارانا فاذا هزلت وسقطت فيه قطعته سباحة ومن المستغرب جداً
 طريقة سباحة الطير المعروف بالسائي فانه اذا اراد مفارقة اوروبا
 الى افريقية صبر حتى تهب ريح شديدة من الشمال الغربي فاذا
 هبت رفع احد جناحيه كالتلع وحرك الاخر كالمجذاف وترك
 نفسه مع الريح الى ان يقطع البحر المتوسط الاسكندري ويصل الى
 افريقية واماكن استراحته في الجزائر معلومة فلذلك تجد اهل تلك
 الارض يعرفون وقت وجوده بارضهم فيتجهثون لصيده ومثله اللقلق
 المسمى عند الفرنج سيجوني فخصيفه الجهات الشمالية الباردة من
 اوروبا ومشتاه وطنه الاصلي من افريقيا فيسمع صوته بجهة الاهرام
 وغيرها وحمام امريكا الشمالية يتقل في اوقات معلومة في عدة
 بقاع لا يعلم سكانها من اين انى وينتشر احياناً في نواحي امريكا
 الشمالية والجنوبية معا واذا آن وان بيضه اجتمع وبجث عن
 المواضع التي تناسب ذلك فيبيض فيها فاذا افرخ رجع الى وطنه
 ولا يضل في طريقه ولو نقل بواسطة كالسكة الحديدية فانه يهتدي

ويأخذ سعة عظيمة من الارض نحو مائة متر ومتى اشتدت حرارة الشمس عليه استظل بالاشجار فاذا جاء الليل سار طوائف ويكون لها ديب تحس به الناس وسط النبات فاذا قربت من البحر الملح دخلت فيه جميعاً فتسبح فيه وتقطع في سياحتها بلاداً بعيدة فاذا تعرض لها احد دافعت عن نفسها ويسمع منها قرص اسنانها في مدافعتها فان لم تخصص بذلك تفرقت الى جهات مختلفة ثم تنضم وقد يموت اكثرها في سياحته والطير كالسمك في التنقل بل اقوى منه حركة فتراه عند اشتداد البرد يترك الجهات الباردة الشمالية ويذهب الى الجهات الحارة الجنوبية ويقطع في سيره آلاف اميال ومنه ما يعيش في الاقطار الباردة والحارة كالغراب فانه يكون باوروبا على شاطئ البحر الاسود وبحر الخزر وينعق ببلاد الهند والمجهم كما ينعق بامركا وجزائر البحر الباردة والحارة ومع هذا فلكل نوع من الطير وطن يألفه لكن يفارقه احيانا التماساً لمواد الغذاء او فراراً من العوارض الجوية ومن عجيب امرها انها لا تخطئ اوان مفارقة وطنها ولا وقت عودها وتشاهد هذه الغريزة في المجهوس منها سواء كان مقتنصاً او متولداً في البيوت فانه اذا احس بصوت ابناء جنسه حن اليه ولو خلى سبيله لساير معها وغالب الطير اللطيف لا يكثر بالبرد والمحر ولا بالترب والبعث بل متى جاء الوقت المعلوم لهاجرته الى الامكنة المعهودة له خرج الى تلك الجهات واقام بها فيفرح به اهلها وتقبل اليه طباعهم

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان معاش بعض الامم يتوقف على سياحة انواع من السمك فينتظرونه في زمن معين ويصيدونه ويتفعمون به وذلك كالبورى والثوبار وغيره وهو الذي يصنع منه الفسج في بلادكم وهناك نوع من السمك يسمونه اسكهرى وتسميه الفرنج مكرو

ومن غريب امره انه في فصل الشتاء يدفن نصفه المقدم في الطين ويظهر نصفه الموءخر فاذا خرج الشتا خرج من الطين فينتقل الى الماء القليل المحركة ويبيض فيه واغرب منه ثعبان السمك فانه يقضي اكثر حياته في البر وتجده زمن الصيف ايام جفاف البرك يخرج ليلاً ويمشي في خلال النبات الى ان يصل بركة او ارضاً فيها ماء فينزل فيه واكبر سبب في وقوعه في ايدي الناس حبه لنوع من النبات يعرفونه فتكون شهوته سبباً في هلاكه وكثير من الاسماك لا يسير الا ليلاً على وجه الارض ويخرج منه مادة لزجة يلتصق بها في نوع من الشجر ليصيد نوعاً من الحاربهواه وكثيراً ما شوهدت السمكة والحارة معاً فوق الشجر

واما الورل والثعبان والتمساح فلا تفارق مكان اقامتها بخلاف النوع المعروف بالبني الذي يوجد في بحار الهند الغربي وامريكا الجنوبية وهو المسمى عند الفرنج بكراب فانه يكون في بعض اوقات السنة بالمغارات بعيداً عن البهر مغشياً عليه وفي فصل الصيف يخرج منها في هيئة جيش متظم فتخرج الذكور ثم الاناث

في سيرها متفرقة غير مؤتلفة ولا منتظمة إلا أنها جيوش متتابعة
ولا تفصل عن طريقها أصلاً بل تهتدي الى مقصدها مع الانتظام
وهي انواع

منها الاسود وهو كثير جداً واذا ظهر في مكان يكاد يستر
وجه الارض ويأكل في سيره ما مر عليه من النبات ويدخل
المنازل ويملاها حتى لا يترك منها موضعاً الا ويتلف ما به فلا
يسع اهل المنزل حينئذ الا فراقه

فقال الشيخ الجراد في تنقلاته اكثر ضرراً واشد اذىً لانه
لا يبقى من الزرع ولا يذر ويقال انها تحفر ليضمها في الرمل ومن
حرارة الشمس يفرخ ويكبر في اقرب وقت ويكون اولاً بغير جناح
فاذا هب النسيم سار به الى حيث يريد وكثيراً ما يملأ الفضا
فيغطي الارض ويجول بيننا وبين السماء

فقال الخواجا انها كذلك وسيرها من الشرق الى الغرب
وتقطع البحار والفيافي وتقع في بقاع مختلفة فتكون في افرقية وبلاد
الانكليز وارض جرمانيا وكثيراً ما حل القحط في الجهات التي
تحل بها لانها تهلك جميع النبات والشجر وكثيراً ما يجيء عقب ذلك
الطاعون بسبب العفونة التي تنشأ عن رملها وكذلك السمك
وسائر الحيوانات المائية لها انتقالات كثيرة ولا تحتاج الى اماكن
تستريح فيها حين عبورها كما يستريح الطير على صواري السفن
وكثيراً ما شوهد كلب البحر ملازماً للسفن السائحة في البحار

تظهر أنواع من الحشرات لا يعلم من اين اتت ولم يسبق لاهل تلك
الجهات رؤيتها وعادة تأتي سائحة فوق الماء او دابة على الارض
وكثيراً ما شوهدت الديدان تقطع البحار العظيمة والفيافي الواسعة
الشاسعة لطلب القوت لا يعوقها عن طريقها شيء وقد اقتضت
الحكم الازلية ان ما يؤلف يعز وجوده وما يكره يكثر موجوده وبعض
ذلك كان مقوداً من اوروبا الى القرن الحادي عشر ثم امتلأت
منه مثل دود التزفانه يميل الى الاماكن التي اعتادها فلا يفارق
مغارس التوت وهي موجودة في الهند والصين قبل ان توجد
باوروبا وغيرها بزمان مديد واول ظهوره بالتسطنطينية كان في
القرن السادس جلبه اليها احد التيسيين ثم نقل منها الى اليونان
والذي ادخله ارض صقلية الملك روجير ثم منها الى باقي الارض
والنحل تهوى الجهات الغربية ولكن الان صارت لا توجد في جهات
جبل اورال وقد بذلوا كل جهدهم فلم يمكنهم ان يعودوها على
ارض السيبيري مع انها كانت غير معلومة في الامريكا الى القرن
السابع عشر من الميلاد والان بعد استقرارها فيها اخذت في
الازدياد حتى ملأت جميع البلاد والهند وتسميها بالذباب الانكليزية
ولم فيها كراهة عظيمة لانهم يستدلون بها على دخول الناس
بيض الوجوه في بلادهم وهم لا يحبون ذلك فهم يستدلون بها على
مسير المهاجرين الى الجهات الغربية

وللنمل ثقلات عميقة وهي وان كانت تظهر لغير المتأمل انها

مع جملة من تلك الحيوانات بل قد ياخذ الهوا ما هو اكبر من ذلك كالقارة والعرة والسنك ونحو ذلك

وقد وقع في بعض السنين مطر ببلاد فرنسا فكان كله سماكا وكثيراً ما امطرت السماء ضفادع ومن الهوام الصغيرة ما يد لنفسه فوق البحر خيطاً دقيقاً ثم يسير عليه مسافة ثم يد غيره وينقل وهكذا الى حيث اراد وقد اتفق انه سقط على بعض الملاحين في سفنهم وكان بينهم وبين البر نحو ثلثائة ميل ولكون تلك الحشرات لا تظهر الا في اوقات سقوط الندى ظن بعضهم ان تلك الخيوط تتصل بذرات الماء وبعضهم يزعم ان لهذا الحيوان معرفة بالكهرباء فان كانت كهربية الخيط سالبة طردتها كهربية الطبقات السفلى من الجو وجذبتها كهربية الطبقات العليا منه وكل هذا ظنون غير ثابتة والله اعلم بالحقيقة

واكبر داع لمفارقة الحيوان لوطنه ان يفقد قوته او افه فترى الحمير الوحشية تترك بلاد التاروت وتجاوز صحاري اسيا في فصل الشتاء الى الجهات الشمالية لاجل المراعي التي يشاطئ بحر عنال وقد تجتمع الوفا كثيرة وتسير الى شمال الهند وارض العجم لاجل المرعى وبعض الحيوانات لجوعها تخرج من جهة القطب الشمالي وتساخر الى الجنوب كارب بلاد السيري وفار بلاد النرويج ونحوها والدويبات الصغيرة جداً تسبح عادة متجمعة طوائف طوائف حتى يرى البحر متغير اللون من كثرتها فيه وفي بعض الجهات

وعلى ما مر من ان اول عمارة بني آدم الارض كانت بالمشرق
يمكن ان يقال ان وجود جميع الحيوانات كان بالمشرق ثم انتقلت
الى المغرب

وقد قال المؤرخون ان الخلق كانوا اول امرهم عشائر رعاة
ثم تفرقوا فلا مانع من ان تكون الحيوانات قد تبعتهم في ذلك
وبالجملة فالحيوان والنبات كل منهما ينتقل باسباب ووسائط
دبرها الخالق جلت قدرته ومن تلك الوسائط المياه العظيمة فكل
نهر او خليج ينقل في سيره الى البحر كمية عظيمة من ذوات الروح
وكثيراً ما شوهد في وسط البحر جمل من بعض الحيوانات متراكمة
بعضها فوق بعض تعوم فوق الماء وعلى سطحها المحار والقواقع الذي
لا يعوم وحده فتكون له كالرؤوس الذي يركب عليه في البحر
كما يركب على السفينة وقد وجد كثير من هوام الارض والحشرات
والافاعي والدود والسبك والطبوز والقواقع ونحو ذلك راكبة فوق
الاعشاب وغصون الاشجار العائمة في البحار فتنتقل بواسطتها
من جهة الى جهة وكذا الهواء قد ينقل منها الوفا مولفة ويسير
بها الى حيث شاء الله وقد امتحن ذلك بعضهم بوضع لوحين من
زجاج خلف مصراعي شباك فوجد في التراب الذي اجتمع بينهما
في مدة ستة اشهر بذر ثمانية انواع من النبات واحد عشر نوعا
من نقاوي عش الغراب واربع بيضات من بيض حيوانات صغيرة

يعود طبعه الاصلي اليه ومن الامثال الصادقة ان للبقاع تأثيراً في
الطباع

وقال بعض المؤرخين ان لكل ارض نباتا ينسب اليها فينسبون
الدخان والبطاطس الى امريكا ولكن هذه النسبة ناشئة عن عدم
الاطلاع فان كتب التواريخ ناطقة بان الاندلسيين ايام تملكهم وجدوه
مستعملا في التحضيرات الكيماوية عند اهل مكسيك وكان قبل
ذلك معلوما بين اهالي الصين وجاوى ولم يدخل اوروبا الا سنة
الف وخمسة وخمسة وتسعين وادخله البرتغاليون في بلادهم فكان
مستعملاً باجزاياتهم فقط فلا بد انه كان معروفاً ببلاد اسيا
قبل استكشاف امريكا بزمن طويل

وقد تبين لك مما مر ان انتقال النبات من ارض الى ارض
لا بد ان يغير حالة الارض كما يغير بذلك طبيعة النبات وتبين
ان تنقلات الحيوان والنبات تابعة في الغالب لمن سكن الارض
لما بينها وبين الانسان من الارتباط التام اذ بها بقاء بنيتها وقضاء
اوطاره وستر عورته وقد وقف كثير من الناس عند ظواهر الاشيا
فزعموا ان الحيوان لا يتقل من الارض التي خلق بها وليس هذا
الزعم بصواب ولو سلم ذلك بالنسبة للحيوان الاهلي لا يسلم بالنسبة
للحيوان الوحشي وان كنا لا نعلم كيف كان انتقاله في الازمان
الماضية لسكوت المؤرخين عن الكلام في ذلك كما سكتوا عن
تنقلات الادميين في تلك الازمان

وإتلاف بنوع من الألسان بحيث لو وجد نوع منه في بقعة
 لاستدل العارف بذلك على من كان ساكناً بها مشرقياً كان أو
 مغربياً وأنه باختبار النبات وتفقد أحواله وثقلاته يمكن معرفة
 تنقلات الأمم فإن من النبات ما يتبع العبيد ومنها ما يتبع عرب
 البادية والهنود ونحو ذلك ومن النبات ما ينتشر بنفسه حتى يملأ
 الأرض التي انتقل إليها ويعطل ما كان قبله من النبات الطبيعي
 وغيره وذلك كالحرفوش والخوخ فانهما لما انتقلا إلى الجهات الجنوبية
 من أمريكا كثيراً بها ومنعاً ما عداها حتى ضاقت المراعي على
 ماشيتهم وكذلك لما نقل بعض النبات إلى جزيرة سنت هيلين انتشر
 فيها حتى أذهب نباتها الأصلي وحشائشها الطبيعية وكذا في بلاد
 الصين أرض يقولون أن جميع ما بها من النبات منقول إليها ولم
 يبقَ بها شيء من نباتها الأصلي وقد ورد إلى بلادنا من المشرق
 أنواع كثيرة من الفاكهة منها العنب والرمان والخوخ والسريرز
 (الكرز) والذي نقل البرتقان والليمون إلى أوروبا هم العرب
 ثم إن الثمار بعد نقلها لا تبقى على حالتها الأصلية بل تتغير وتكسب
 خواص غير خواصها التي كانت لها في قطرها الأول فتجدها
 بأوروبا كبيرة الحجم شديدة الحلاوة لذيدة الطعم بعد أن كانت
 دون ذلك ولو نقلت إلى قطر آخر لتغيرت أيضاً وهكذا لأن الغالب
 أن كل شيء انتقل إلى مكان غالب طبعه عليه فإذا رجع إلى مكانه

وقال بعضهم ان اصلهما من الهند وان الذي نقلها الى افريقيا اهل
الاندلس

واما البر الاسود باوروبا فحدث فيها ويقال انه منقول
اليها من افريقيا وان نقله الى جرمانية كان في القرن السابع من
الميلاد على يد الملك شارلمين وقد كثر بها الان حتى صار
كافيا لاقتيات ثلث الاهالي

واما الارز فهو وان كان حادثا في اوروبا فالعرب هم الذين
زرعوه في الجهات الجنوبية منها وكان قديما في بلاد المشرق وكان
اغلب القوت منه ولم يزرعه الامريقانيون الا في القرن السابع
عشر من الميلاد وقد كثر الان زرعه عندهم حتى صار يرسل منه
الى الجهات والامريقيون يقولون ان اصل ظهور الذرة كان بارضهم
ولكن لم يظهر لصيصة ذلك دليل بل الظاهر ان اصلها من المشرق
بدليل تسمية الاوروباويين لها بقمع الترك وتسمية اليونان
لها بقمع العرب وقد شوهد من النبات مثل الشوك ونحوه كثير نابتا
في خلال النبات النافع في الارض التي نقل اليها نبات المحنطة
ونحوها وذلك يدل على ان جميع ما هو في بلادنا من هذا النوع
قد ورد اليها مع المحنطة وغيرها وقد يعلق حب بعض تلك النباتات
بالانسان في ثوبه او متاعه فيسافر ولا يشعر به فينبت حول
مسكنه او مبيته

ومن الغريب ما قالوه ان كل نوع من النبات له ارتباط

ندري متى نزل ولا في اي بقعة نزل

ويقال ان الامة الشركسية من بين جميع الامم هي التي وسعت دائرة انتشار انواع الزراعة وان ما باوروبا من النباتات منقول اليها فنحو الخوخ والبرقوق والبندق اصله من بلاد العجم ونحو البرنقان من بلاد الصين ونحو البطاطس والذرة من الامريكا وينسب ايضا اليهم زرع الارز والقطن في ساحل البحر المتوسط

ثم صاروا كل ما ننج بارضهم شبيء زرعوه فيما استولوا عليه من الاقطار ولذلك لا تجد في اوروبا شيئا من الحبوب والفواكه الا في امريكا نظيره وهم الذين غرسوا شجر الكرم بجزيرتي مدير وكناريا وسائر البلاد القبلية من افريقيا وامريكا وكذلك القطن والارز بجهات برزيليا والابيازوني (الولايات المتحدة) وجوز الطيب والقرنفل بجزيرة موريس وجزيرة بوربون وجزائر الهند وكذا الشاي ببرزيليا والهند وجاوى وساعدتهم العرب في نقل شجر البن وقصب السكر والنخل والقطن من بلاد الهند الى بلادهم ولم ينقل ذلك الى الديار المصرية الا فيما بعد واما الصينيون فاخذوا زرع القطن من بلاد الهند ستان كما تعلم اهل يابونيا زرع الشاي من الصينيين واما البر والشعير فوجودها باوروبا قديم وفي كلام بعض قدماء المؤرخين والشعرا ما يدل على ذلك

قربانها واهبط الى الارض كان نزوله بتلك الجهة فلم صنعة
 الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وطحن
 وعجن وخبز واكل فلما حضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت
 حواء تدور حولهم فقال لها ادم خلي ملائكة ربي فانه ما اصابني
 ما اصابني الا من قبلك فلما توفي غسلته الملائكة وحنطته وكفنته
 في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض
 الهند وقالوا لبيته هذه ستكم من بعده فهذا الاثر يدل على ان
 اصل الاقوات بل والمعادن والحيوان كان موجوداً قبل نزول
 ادم في هذا المكان ثم ما زال يتشرب من مكان الى مكان الى ان اتى
 الطوفان وقسم نوح الارض بين اولاده فاخذ كل واحد منهم من
 ذلك ما تيسر وذهب به الى بلاده

فقال الانكليزي هذا كلام معقول ولذلك يقول اهل الهند ان
 مقدسهم ابراهيم نزل من السماء وعلمهم صنعة الزراعة واستعمال
 الحيوان فيها والمصريون ينسبون ذلك الى ايزيس واليونان ينسبونه
 الى سيرابيس وواقفهم على ذلك سكان البيرو من امريكا في الذرة
 خاصة ولذلك يزرعونها عندهم حول معبد الشمس في الارض
 المقدسة وهي ارض مرتفعة عن سطح البحر اثني عشر الف قدم
 والمستفاد من كتب التاريخ ان استنبات نباتات الغذاء ما
 وصل الى المغرب الا من جهة المشرق وان اول ظهورها كان
 باسبا وانا وان كنا نجزم بان بعض النبات نزل من الجنة لكننا لا

مواضعها فتثبت فلذلك نجد في بعض الاحيان نبات ارض قد
ظهر فجأة بارض اخرى لم يعهد بها من قبل
وتواريخ الامم والاثار القديمة منبئة بان النبات يتبع في حركته
حركة الشمس في مدارها من المشرق الى المغرب فجميع ما نراه في
ارضنا هذه كان اصله في جهة الشرق ثم انتقل منها الينا وكذلك
جميع ما بالاخري فمن ذلك شجر البن والشاي وقصب السكر
والموز والقطن والكمون والتيل والفول والقناة جميعها اصل
منبتها ببلاد المشرق ثم انتقلت غير ان الاثنين الاخيرين لم يدخلوا
بلاد اليونان الا بعد ايام اسكندر المقدوني وقد خلق الله سبحانه
وتعالى شجر الخبز وجوز الهند وشجر التمر وجعل فيها خاصة
الاقتيات وقيام منبت الانسان وتعيشه لكن لما اقتضت ارادته انها
لا تنثر الا في جهات خاصة جعل لحكمته الباهرة وقدرته البالغة
نباتات اخرى تنثر في كل ارض ولا تخصص بجهة دون جهة
وذلك كالمخنطة والشعير والقطاني ونحوها فان انواع النبات عموماً
تبلغ نحو اربعة الاف نوع منها عشرون نوعاً صالحاً للغذاء وصالحاً
لان تزرع في كل ارض فتكون في الارض المحترقة بجمرة الشمس
كما تكون في الارض المغطاة بطبقات الثلج

فقال الشيخ اظن ان اول ظهور جميع الاقوات بل ما على
وجه الارض من الحيوان والنبات كان بالهند ثم انتشرت منه الى
سائر الجهات لما روي من ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عن

اغصانها دانية وعينها هامية فالوا الى ذلك الموضع فكانوا بحيث
 يرون كل من يمر عليه فعميب الشيخ من كثرة المارين واختلاف
 حياتهم

فقال الانكليزي لو تأملنا في هؤلاء الخلق واختلاف السنهم
 واجناسهم واللوانهم وسألنا كل واحد منهم على حدته عن قطره
 وبلدته واصل منشئه ومنبته لوجدنا فيهم من جميع الجهات من
 هندي وصيني وتركي وشامي وغير ذلك وها هو حضرتكم مصري
 والمفكير انكليزي قد فارقنا الاوطان وجمعنا هذا المكان فلولا الحركة
 في طلب المعاش ما خرج احد عن بلده ولو عاش الى ان يرى
 ولد ولد وله وليست هذه الحركة خاصة بنوع الانسان بل كذلك
 انواع النبات والحيوان فانها تنتقل من جهة الى جهة ومن قطر
 الى قطر انما النبات لا يتقل حالة كونه نباتا بل بذره هو الذي
 يتقل فقد يأخذ الريح بذرا من ارض فيلقيه في ارض غير ارضه
 وقد يكون البذر في اجواف الحيوانات وحواصل الطير فاءذا
 انتقلت من ارض الى اخرى القته فيها فينبت ولعل هذا معنى ما قيل
 ان ربع ما على الكرة الارضية من النبات لبذره اجنحة او شبه
 الاجنحة فيطير بمعونة الهواء حتى اذا سكن وقع فينبت حيثما استقر
 ومن اسباب انتقال الحبوب والنباتات ايضا السيل والمخجان
 والبهار فكثيرا ما يأخذ البحر المحيط من جزائره انواعا من الفاكهة
 والنواب واغصان الشجر ويسير بها حتى يلتمها في مواضع غير

فقال الشيخ وقع لي كتاب قد مسح يد الزمان والمحتمه في
النسخ بغير كان فتصفحته فوجدت فيه ما يقرب من ذلك وهو ان
الله تعالى لما خلق الكون بقدرته ودبره بحكمته جعل الافلاك العلوية
والكواكب السماوية بمنزلة الآباء وجعل الاركان الاربعة وهي
الذراب والماء والنار والهواء بمنزلة الامهات فافتضت حكمته تعالى
انه اذا اتصلت اشعة الكواكب التي هي بمنزلة الآباء بالاركان
الاربعة التي هي بمنزلة الامهات حدثت المواليد الثلاثة التي هي
المعدن والحيوان والنبات فما وجدت المواليد الثلاثة الا بحركة
اتصال الآباء بالامهات وهذه الاركان الاربعة وان كانت
كالامهات بالنسبة للمواليد الثلاثة الا انها متولدة عن غيرها ايضا
لانهم يقولون ان الحرارة اتصلت باليبوسة فانتجنا ركن النار ثم اتصلت
بالرطوبة فانتجنا ركن الهواء ثم اتصلت البرودة بالرطوبة فانتجنا ركن
الماء ثم اتصلت باليبوسة فانتجنا ركن التراب فحصل في الابناء حقائق
الآباء والامهات فكانت النار حارة يابسة فحرارتها من جهة الاب
ويبوستها من جهة الام وهكذا فانظر كيف جعل المولى كل صفة
من صفات الاشياء مكتسبة وراجعة الى اصلها

وفي اثناء ذلك الكلام وصلوا الى باب بستان يسمى لو كسانبور
وهو من الاماكن المشهورة المعدة للنزهة فدخلوه فوجدوا به خلقا
كثيرا على عادتهم في اوقات نزهتهم فطافوا فيه برهه وتخبروا للجلوس
ناحية منه قد راق منظرها وخضرتها وحلت في اعينهم نضرتها

في الازمان اللاحقة لجزمتنا بان الكرة الارضية وما فيها من اول خلقها الى الان دائماً في حركة وتموج كتموج المياه فيتنخفض ما كان مرتفعاً ويرتفع ما كان منخفضاً وقد استدلوا على ذلك بانحطاط ما بين مدينة صور وثرغراسكندرية عما كان عليه ايام الرومان وبارتفاع ارض الروسية الشمالية عما كانت عليه فانها كانت غامرة بالماء ثم انجلى عنها فظهرت وبني بها مدائن وقد وجد في ارضها بعد انحسار الماء عنها كثير من العاج متخلفاً عن الحيوانات التي غشيتها تلك الحادثة حتى ابتلعنها الارض

وقد استفيد من التواريخ ان كثيراً من المين القديمة صارت الان ارضاً قارة وان كثيراً من المدن صارت في قاع البحار فهذا ايضا ما يدل على ان كرة الارض دائماً في حركة ومن ذلك تأثير الشمس في البحر فيرتفع منه بخار فينعقد سحاباً ثم يسير الى الجهة التي يسوقه الله اليها فيسقط على الارض اما مائعاً او متجمداً ثم ينفاع لناخذ منه ما يكفيها ويكفي ساكنيها جميع السنة ومن ذلك الرياح فانها هي التي تسير السحاب من جهة الى جهة على مقتضى ارادته سبحانه وتعالى وان كنا لا نعلم من اين تأتي ولا الى اين تذهب وبالجملة فلم يخلق الله شيئاً الا وفيه سرٌّ وله حركة اما على انفراده واما بامتزاجه مع غيره ولو اراد العارف استقصاء الكلام على ادنى شيء من المخلوقات لاستغرق فيه العمر ولا يفضى به الحال الى تفويض العلم بالحقيقة الى من له الخلق والامر

موضعه فانظر صنع الصانع كيف سلط على الجبال ما اثر فيها
 ففتتها رمالاً وحصىً ثم ارسل عليها ما قذف بها الى البحار حتى
 حولتها عن مواضعها فسبحان الحكيم العليم فمن تأمل في مجاري
 الانهر والخلجان ومصاها رأى ان كل ما يحدث فيها من الجزائر
 انما هو من الاجزاء الدقيقة التي جرت بجريانها ومن امعن النظر
 وتبع كتب التاريخ والاثر وجد هذه الانهار قد تحولت عن
 مجاريها الاصلية حتى صارت مواضعها الاولى ارضاً ذات مزارع
 وبساتين ومساكن ونحو ذلك ومن ذلك اقاليم مصر البحرية فقد
 قالوا انها انما تكونت ما تخلف عن نهر النيل من الطمي كما ان
 ما يجلبه نهر الطونة والرین من تلك المواد الدقيقة كل عام يسد
 مصبها وكذلك نهر المسيسيبي بامريكا فانه لضعف جريانه لا يقوى
 على دفع ما فيه من الزبد والرمل فيحدث من ذلك في كل سنة
 ارض جديدة بخلاف نهر الكنج الذي هو احد انهار الهند فانه لقوة
 دفعه وسرعة جريانه لا يبقى في قراره شيئاً مما يأتي به بل يأخذه
 معه حتى يلقيه على شاطئ البحر الملح فمن مصادمة الصخور والشعوب
 ونحوها لما يقذفه على مدا الازمان تكوّنت عنه ارض تبلغ مائتي ميل
 وهناك اسباب اخرى لا ندرکها تحدث احياناً بظاهر الكرة الارضية
 فانا نجد في بعض الجهات ارضاً قد ارتفعت شيئاً فشيئاً واخرى
 قد انخفضت كذلك ولا نشعر بها ولا ندرکها لطول الزمن الذي
 مرّ عليها فلواطلعنا على حال الارض في الازمان السابقة وحالها

وتهددت وانتقلت صخورها الى الجهات القطبية الجنوبية وبعد ان مزقت حرارة الجهات التي مرت بها طبقاتها الثلجية فمنها ما رسب في قاع البحر ومنها ما استقر في صحاري اسيا وافريقيا فكل من مر بها وتأمل هيأتها ونظر الى تركيبها علم انها ليست من جنس الارض التي هي بها بل انتقلت اليها من جهات بعيدة لحوادث عنيفة واسباب قوية ولم تزل مثل هذه الامور تحصل الى الان فاحيانا ياخذ البحر صخوراً من جهة ويسير بها الى جهة اخرى وتارة ينضم بعضها الى بعض فتقف بالشواطئ فتكون سواحل وتارة تتراكم في جهة من قاع البحر فتكون جزائر فيكسوها مرور الدهر اتساعاً ويكسوها تداول الايام عمراناً وارتفاعاً فسبحان القادر على كل شيء وهو الفعال لكل شيء وكما فعل سبحانه وتعالى فيما نراه فكذلك يفعل فيما لا نراه فمن ذلك ظهور الجبال في ارض لم تكن بها منها شيء وكذلك ما يظهر وسط البحار من الشعاب والجزائر والجبال التي لم تكن من قبل وما ذاك الا للحكم بالحركة التي دبر الله بها الاكوان ورزق بها الحيوان واغرب من ذلك دقيق الرمل والحصى فان اصلهما صخور ضخمة تكون على قم الجبال الشاهقة عرضة لتأثير حوادث الجو من الحرارة والبرودة والامطار والثلوج والرياح فتتفتت وينقلها السيل وتنسفها الرياح فتارة تأتي في اغوار الارض فيرتفع بها ما كان منخفضاً ويخصب ما كان مجذباً وتارة تلتقي في البحر فتتراكم فيه وتعظم حتى تحوله عن

بخلاف الماء الجاري فهو بعيد عن التغيير ولا يكره استعماله بحال
فهو أكثر نفعاً ثم مشياً وابن الشيخ خلفهما واستمرا في الكلام على
الحركة

فقال الخواج لا شك ان الانتقال يبلغ الامال والتعود
يفيت المقصود والتعود على الحركة مما يقوي البدن ويبرىء كثيراً
من الامراض ولذلك مدحها الحكماء وحث عليها الاطباء واما
كثرة السكون فيتولد عنها الكسل وخيبة الامل وبرودة الدم
وكثرة العلل وما يدل على وجوب الحركة ان الخالق سبحانه وتعالى
حكم بها على جميع الموجودات حتى على الشمس والقمر وسائر
الكواكب التي في السماوات فان القمر يدور حول الارض والارض
تدور حول الشمس وبالجمله فلا شيء من العالم بثابت مطلقاً
فالكون وما حواه من حيوان ونبات وجماد وشموس واقمار
وغيرها ما لا يعلم كنهه الاً مكونه يتحرك بجملته فضلاً عن حركة
اجزائه صغيراً وكبيراً وما ذلك الاً للحكمة بالغة اقتضتها ارادة
مدبر الكون ومديره فالزلازل التي يظهر اثرها على الكرة الارضية
تنبئ عن حركة عظمى في باطنها وسر يبلغ اودع في جوفها
وكذلك الحوادث الجوية كالعواصف والصواعق فانها تدل على
ان السماوات دائماً في حركة فليس الحكم بالحركة خاصاً بالاجسام
الحيوانية والنباتية بل هو شامل لها ولغيرها حتى الجبال والبحار
وقد قيل ان جبال الجهة القطبية الشمالية تشقت في قدم الزمان

اجلس مجلساً واحداً للمطالعة حتى ينتصف الليل فانام مكاني
وصار هذا ديدني مدة اقامتي بالازهر فتولدت لي بذلك الامراض
وتسلطت على جسي الاستقام حتى آل بي الامر الى ان كنت اصلي
بعض الصلوات من جلوس لانه قد اعتراي تقاعد يشبه العجز
فان الجلوس يحبس الدم عن الجريان في العروق والاعصاب
ولقد صدق المثل ان في الحركة بركة ولما قدر الله لي السياحة
 واجتمعت بحضرتكم داخلي النشاط وديت الصحة في جسي بسبب
كثرة الحركة والانتقال وازدادت قوتي مع كبر سني فانا اليوم
اكره عدم الحركة حتى اذا كنت منفرداً في غرفتي اراني احب القيام
والمشي فاقوم لانظر من الشبايك واطلع على الاحوال فانا احمد
الله واشكره كثيراً على الاجتماع بحضرتكم وقد ادركت للسياحة
فوائد كثيرة حجة غير الحركة الداعية الى الصحة فمنها كثرة الاطلاع
وتحصيل الفوائد الدنيوية والاخروية ولقد صدق من قال

لو كان في شرف المأوى بلوغ منى

لم تبحر الشمس يوماًدارة الحمل

ومنها زيادة البركة في العمر فان كثرة الاطلاع بمنزلة زيادة
العمر وقلة الاطلاع بمنزلة قصر العمر كما قيل
وفي الجهل قبل الموت موت لاهله

فاجسامهم قبل القبور قبور

وقد قالوا ان الماء الراكد عرضة للتغير فكرهوا الاغتسال فيه

النوجه الى التياتر فتوجه انت معهم لتنظر ما هناك وفي غد
 نستأذن وتوجه نحو العين التي كنا بها سابقاً واتم لك هناك ما
 كنا شرعنا فيه ثم سمع نداء والده عليه فذهب اليه فوجده متهيئاً
 للخروج فمشى خلفه فوجد الخواجا في انتظارها والعربة حاضرة
 مهياًة للركوب فقال الشيخ اظن ان المشي انفع لنا واكثر فائدة لما
 فيه من التمكن من الاطلاع على كل ما نمر به فنستفيد منه علماً
 فقال الانكليزي هذا صواب ولكني اخشى عليك التعب وما اريد
 ان اشق عليك

فقال الشيخ جزاك الله عني خيراً فان لكبر السن حكماً
 وللعادة احكاماً وقد صدق القائل لكل امرء من دهره ما تعود
 فاني كنت وانا صغير في بلدي كثير الحركة والتنقل فكدت صحیح
 الجسم سليم البنية قوي الحواس لا يقاومني في النشاط وخفة الحركة
 احد من اترابي فلما جاورت بالازهر رأيت حركاتهم قليلة بسبب
 طول الجلوس في المطالعة وليس عندهم وقت للفسحة فلاجل
 تحصيل العلم سلكت مسلكهم ولازمت السكون مع علمي بان هذه
 عادة سيئة بالنسبة للصحة خصوصاً مع برودة البلاط وعدم الحائل
 الكثيف الذي يمنع برده عنهم ولقد صدق المثل من عاشر القوم
 اربعين يوماً صار منهم فكنت اخرج من منزلي اول النهار الى
 الازهر فلا اعود اليه ولا اخرج من الجامع الا ليلاً بل لا اتحوّل
 من مكاني الا لأزالة ضرورة او اداء عبادة وكذلك في الليل

المسامرة الثامنة والتسعون

البركة في الحركة

فخرج ابن الشيخ من عند أبيه وأدى ما وجب عليه ثم ذهب
إلى يعقوب في غرفته فالح عليه يعقوب أن يدخل فأبى وقال إنما
جئت لإخبارك بان والدي عازم على الخروج هذه الليلة مع الخوارج
للنزهة وقد أذن لي في الخروج معه وإن حضرة الخوارج في انتظاره
فهل أنت ذاهب معه فقال يعقوب ذلك غاية رغبتي لولا العذر
وكان ابن الشيخ حريصاً على صحبة يعقوب لما كان ليعقوب
من العلم بالأمور لكثرة تجربته وأسفاره فكان دائماً يستفيد منه
معلومات يتحسَّن بها آدابه وكان كل منهما يأنس بالآخر فلذا
قال ابن الشيخ إن لم تكن معنا فليست بتوجه معهم
فقال يعقوب لا يليق بك ذلك وأظن أنهم عازمون على

وتظنب في توضيح المرام وقيط عن مجذرات المسائل الحجاب وتكشف
 عن وجوه مشكلاتها النقاب ولعمري لقد سررت في هذا اليوم
 اكثر من فرح الاطفال بعيد الصوم سيما وقد رأيت اهل الجمع
 كلم يثنون وبفضلك يعترفون فاجدلك مثلاً الا كما قال القائل
 غموض الشيء حين تذب عنه ثقل ناصر الخصم المحقق
 تضيق عقول مستبعيه عنه فيقضي للعجل على المدقق
 فضمه والده اليه وقبله بين عينيه وانشد
 ما ابيض وجه المرء في طلب العلا

حتى تسود وجهه في المبدأ

ثم قال وانا اخبرك بما حصل لي وهو اني كنت قبل قدومي
 عليهم احسب مجلسهم لا يعتريني منه ادنى خجل ولا ير بفكري منه
 وجل فلما قدمت اليهم واجلسوني على الكرسي مرتفعاً اعتراني
 بعض فتور وخشيت ان يفرط مني بعض هفوات فيتوهوا في
 القصور فلما استعذت بالله واستعنت به وفقني للصواب واتسع لي
 ميدان الخطاب وقد استغربت مهاتي لهذا المخضرم اني كثيراً ما
 قرأت دروساً في جمع اعظم من هذا بالازهر وقد تم المجلس بفضل
 ذي الجلال والحمد لله على كل حال واريد الان ان ارجع بدني
 لان الخواجا في انتظاري للخروج الليلة للتنزه فان كان لك غرض
 في الخروج معنا فقم ادّ فرضك وارح بدنك

الغراب ابو حاتم وابو الجراح وكنية الفار ابو خراب وكنية
 الفرس ابو مضاء وابو مدرك وكنية الفيل ابو الحجاج وابو كلثوم
 وكنية القرد ابو خالد وابو حبيب وكنية القطام ثلاث وكنية
 الفهري ابو ذكري وكنية الفنفد ابو سفيان وابو الشوك وكنية الكركي
 ابو عريان وابو نعم وكنية النسر ابو الاصبع وكنية الناقة ام مسعود
 وام حوار وكنية النعجة ام الاموال وام فروة وكنية النمر ابو الاسود
 وابو جهل وكنية النمل ابو مشغول وكنية الهدهد ابو الاخيار
 الى غير ذلك وقد يكون للواحد كنى كثيرة

فقال الحاضرون ايدك الله ايها الشيخ قد انعشت ارواحنا
 وازلت اتراحنا وجلبت افراحنا ثم قام الشيخ وقاموا ليودعوه فكان
 من جملتهم الطلياني الذي كان اجتمع به في مرسيليا فقال
 للشيخ اريد ان تشرفني غداً انت وصاحبك الانكليزي ومن تحب
 فقال له الشيخ يكون ذلك ان شاء الله ثم مضى مع الانكليزي الى
 المنزل وكان الشيخ لم يصل الفرض الذي عليه فلما انصرف
 الانكليزي الى النوم قام الشيخ فتوضأ وصلى ثم التفت الى ولده وقال
 كيف كان الدرس فقال ما رأيتك في جلاله مثل ما رأيتك
 في هذا اليوم ولقد كان قلبي في هذا الامر يخفق ولساني من
 هيبة المجلس يكاد ان لا ينطق الى ان افتتح الدرس فانجلى ما بي
 وذهب اضطرابي فكانت كل كلمة نطقت بها تسري في بدني كسريان
 الماء او الدواء اذا وافق الداء ولقد رأيتك تارة تتأني في الكلام

يسيرة غير عربية في خلال كلام عربي لا يخرج عن كونه عربياً
الأتري ان القصيدة او الرسالة الفارسية مثلاً لا تخرج عن كونها
فارسية بوجود لفظ او بعض الفاظ فيها غير فارسية ولعل حكمة
وقوع مثل هذه الكلمات في القرآن وان كان كل كتاب انما
نزل بلغة القوم الذين انزل عليهم انه حوى علوم الاولين
والاخرين ونبأ كل شيء ومن لازم ذلك ان يكون فيه الاشارة
الى انواع اللغات والالسنه لتتم احاطته بكل شيء وايضا فان
النبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى سائر الامم فلا بد ان يكون
في كتابه طرف من لغة كل قوم وان كان اصله بلغة قومه
فاخير له من كل لغة اعذبها واخفها واكثرها استعمالاً للعرب
وبعد ذلك كله فلا مانع من كون هذه الكلمات كانت في الاصل
غير عربية ثم وقعت للعرب قبل نزول القرآن فعربتها بالسنتها
وحولتها عن الفاظها الاصلية الى لغتها فصارت عربية ثم نزل
القرآن وقد اخلطت هذه الكلمات بكلامهم فمانزل القرآن الا
بلغتهم فقال السائل قد وقع في كلامك ذكر الشعار والدثار
والعلل والنهل فامعنى ذلك فقال الشيخ الشعار هو الثوب الذي
يلي جسد الانسان لانه ملاصق لشعره والدثار الثوب الذي لا
يلي الجسد بل يلبس فوق الشعار والنهل الشرب الاول للاهبل
والعلل الشرب الثاني لان الاهل تشرب مرتين في العرصة
الواحدة الاولى نهل والثانية عال وهذه الالفاظ من جملة الفاظ

فيه الفاظ منها ما هو فارسي وما هو سرياني وما هو عبراني وما هو باللغة الحبشية وما هو بالعجمية كالارائك في قوله تعالى على الاراتك ينظرون فانها حبشية ومعناها السرر وكالجبث فانه اسم للشيطان او الساحر وهي حبشية ايضا ومعناها بها كذلك وكالدري فان معناه المضي وهي حبشية ايضا ومعناها بها كذلك وكالباريق فانها فارسية ومعناها طريق الماء او ضبه على هينة ونحو سرادق فانها سريانية ايضا واصلها سرادر ومعناها الدهليز او سرا برده ومعناها ستر الدار ونحو حصب في قوله تعالى للكفار انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فانها زنجية ومعناها حطب ونحو سري في قوله تعالى لمريم قد جعل ربك تخنك سريا فانها زنجية ومعناها النهر ونحو غساق فانها تركية بل طارية ومعناها البارد المتين ونحو الفوم فانها عبرية ومعناها الخنطة ونحو القسطاس فانها رومية ومعناها الميزان او العدل ونحو اليم في قوله تعالى لام موسى فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم فانه سرياني ومعناه البحر وهكذا فاما من لغة الا ونجد منها في القرآن الفاظاً

فقال الشيخ لا يخفى ان لغة العرب متسعة جدا حتى قال بعض ائمتنا انه لا يحيط بها الا نبي ومع ذلك فلا مانع من وجود بعض كلمات في القرآن بغير لغة العرب وقد ورد في الخبر الصحيح ان في القرآن من كل لسان على انها الفاظ محصورة يمكن عدّها وهذا لا يخرج القرآن عن كونه عربياً فان وجود كلمات

بجِلاف العاربة فيعناه المتأصلة في العربية وكان قبل جرحهم من
فحطان عرب يقال لهم طسم وجديس وكانت مساكنهم بالجماعة من
جزيرة العرب ولكنهم اقرضوا عن اخرهم ولم يبق لهم اثر ولم يقبل
عنهم بعد ذلك خبر وذلك ان الملك كان في طسم فاستمروا على
ذلك مدة من الزمن حتى انتقل الملك الى رجل منهم غشوم
ظلموهم جعل سنته ان لا تزف عروس بكر من جديس الى بعليها
حتى يدخل هو عليها فأنتت جديس من ذلك ودبروا
في قتله ودفنوا سيوفهم في الرمل وعملوا له وخواصه طعاماً دعوه
اليه فلما حضر في خواصه من طسم عمدت جديس الى سيوفهم
فقتلوا الملك ومن لحموه من خواصه فهرب رجل من طسم الى تبع
ملك اليمن وشكا اليه ما فعلته جديس بملكهم واستنصر به فسار
ملك اليمن الى جديس ووقع بهم حتى افناهم عن اخرهم فلم يبق
لطسم ولا لجديس بعد ذلك ذكر فلذلك سميت العرب البائدة
ولذلك جعل المؤرخون العرب ثلاثة اقسام بائدة وعاربة
ومستعربة فالبائدة هم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل
اخبارهم لتقدم عهدهم وهم عاد وثمود وجرحم الاولى وكانت على عهد
عاد

فلما اظنبت الشيخ في وصف العرب ونسبتهم وتفضيل عنصرهم
ولغتهم قال له بعضهم ايها الاستاذ قد اجمع اهل الملل واصحاب
النحل من المتأخرين والمتقدمين على ان القران عربي مع اننا نجد

بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان بن إد بن أد بن اليسع بن المهيسع بن سلامان بن نبت
بن حم بن قينار ابن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليها السلام لكن
النسب الصحيح تفصيلاً ينتهي الى عدنان وهو المجد المتم عشرين
وما زاد على ذلك الى اسماعيل فلم يرد فيه حديث صحيح وقد جمع
بعضهم اباؤه صلى الله عليه وسلم في بيتين من الشعر على طريق
الرمز الى كل اب باول حرف من حروف كلماتها وهما
علقت شفيحاً هال عقلي قرانه

كتاب مبين كسب لي غرائبه

فدى معشر نفسي كرام خيرة مدا الفهم مذ نيل مجد عواقبه
فالعين في علقت اشارة الى ابيه عبدالله والشين في شفيحاً
اشارة الى جده شيبة الحمد وهو عبد المطلب والهاء في هال اشارة
لهاشم وهكذا

وكان من عادة الشيخ اذا فتح له باب في الكلام يطنب فيه
ولا يخرج منه حتى يستوفيه فلذلك قال وكان اسماعيل حين
اسكنه ابراهيم بمكة كما هو مذكور في القرآن وجد بها قبائل من
جرهم بن قحطان وهم العرب العاربة فلما كبر اسماعيل تزوج منهم
امرأة فولد له منها اثني عشر ولداً ذكراً فقيل لهم ولذريتهم العرب
المستعربة وانما قيل لهم ذلك لان لغة اسماعيل كانت عبرانية فلما
تزوج من جرهم تكلم بالعربية فمعنى المستعربة اي المكتسبة للعربية

وكل اناس سوف تدخل بينهم

دويبة تصفر منها الانامل

واما التنقيصه كما يقال لم يبق من بيت المال الا دينيرات واما

لتقريبه كقول امرئ القيس يصف فرسه بطول الذيل

وانت اذا استدبرته سد فرجه

بضاف فويق الارض ليس باعزل

اي بذيل طويل فضايف صفة لموصوف محذوف وكقولك ازورك

بعيد العيد وجاءني فلان قبيل الظهر لان التصغير في الظروف

بمعنى التقريب

واما لآكراهه والشقة عليه كقولك يا بني وياخي وكقول

لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم

واما لتشريفه وتعظيمه كما هنا وكفى اولئك القوم شرفاً على

سائر الانام قول نبينا عليه الصلاة والسلام ان الله اصطفى كنانة

من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفاني من قريش فانا

خيار من خيار من خيار فقال له كيف يحفظ نسبهم الى اسماعيل

وقدمضى له من الزمن اجيال فقال له ان العرب عموماً من عاداتهم

المحافظة على انسابهم فكيف نسب من كان منهم سيد العالمين

وصفوة الله من الخلق اجمعين فهو محمد ابن عبد الله بن عبد

المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة

سفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكلم كل قوم بلغتهم
ليس من امبراه صيام في امسفر واما تثلثة بهراء فانهم يكسرون حرف
المضارعة فيقولون انت تعلم بكسر التاء ونحن نعلم بكسر النون وهو
يعلم بكسر الياء

ثم قام في المجلس سائل فقال للشيخ ولم سميت قريش قريشاً
فقال له لان القرش في اللغة يطلق على دابة من دواب البحر تغلب
ولا تغلب فسمي احد اجدادهم قريشاً تشبيهاً بتلك الدابة وكل من
كان ينتهي نسبه اليه يسمي قريشياً .

وقد اختلف المؤرخون في ذلك الجذ الذي لقب بقريش
فقيل هو فهر بن مالك بن النضر وقيل هو النضر بن كنانة كما
قال صاحب السيرة

اما قريش فالاصح فهر جماعها والاكثر النضر
فقال السائل وحيث كان هذا الجذ عظيماً فلم صغر اسمه فقال
الشيخ تصغيره ليس للتخفيف بل للتعظيم على حد قول القائل
ما قلت حبيبي من التخفيف

بل يعظم اسم الشيء بالتصغير

فقال السائل وهل ورد عن العرب التصغير لغير التخفيف قال
نعم من سنن العرب تصغير الشيء اما لتخفيفه كقولهم في رجل
رجيل وفي دار دويرة واما لتكبيره وتهويله كقولهم لبيد

فقلت له من مازن ربيعة فكلمني بلغة قومي وقال لي بسمك وكان
اسم الشيخ بكر قال فكرهت ان اجيبه بلغة قومي كراهة ان واجهه
بالمكر فقلت له بكر يا امير المؤمنين فظن لما قصدته وكان من
الفتنة بمكان ومن فطنته ما حكى انه كان بحضورته جارية تغنيه
قول القائل

أظلم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم
فاختلف من بالحضرة في رجل فمنهم من نصبه على انه
اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها
ابا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب فسأله عنه فقال الوجه النصب
فقال ولم ذلك فقال لان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فعارضه
بعض من بالمجلس فقال له المازني هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا
ظلم فرجلا مفعول مصابكم والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان
تقول ظلم فتم الكلام فاستحسن الواصل الجواب وامر المازني بالف
دينار واما كسكسة بكر فانهم يزيدون على كاف المؤنثة سينا عند
الوقف ليبينوا حركة الكاف فيقولون للمرأة مررت بكس واكرمتكس
واما غممة قضاة فصوت لا يفهم تقطيع حروفه

واما طمطائية حمير فهي ما في لغتهم من الكلمات المستنكرة
فمنهم من يجعل اداة التعريف ام بابدال اللام منها فيقولون طاب
ام شراب يريدون طاب الشراب ومنه ماروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لما سأل سائل وكان حميريا امن امبراصيام في ام

فقال الشيخ قد سألت عن علاصيتهم وشاع وانتشر فخرهم
 في البقاع خلاصة ولد قحطان وصفوة سلالة عدنان ومن بلسانهم
 نزل القرآن قوم كانت البلاغة شعارهم والفصاحة دثارهم
 حازوا الفضائل تفصيلاً وجملاً واحسبوها نهلاً وعللاً قوم قد
 تباعدوا عن عننة تميم وتلتله بهراً وكشكشة ربعة وكسكسة بكر
 وططمانية حمير وغنمة قضاة فقال ما ذاك ايها الحبر لقد زدني
 تشوقاً لبيانك وتطلعاً لتبيانك

فقال اما عننة تميم فانهم يبدلون من الهمزة عيناً ومنه قوله
 اعن توسمت من خرقاء منزلة

ماء الصباية من عينيك مسجوم

يريد ائن توسمت

واما كشكشة ربعة فانهم يبدلون كاف المخاطبة شيئاً فيقولون
 ما بش وما لش يريدون ما بك وما لك ومن ذلك قوله
 فعيناش عيناها وجيدش جيدها

ولكن عظم الساق منش دقيق

ومنهم من يقلب الباء ميماً والميم باء اذا كانا في اول الاسم
 فيقولون في نحو بكر وبجر وبدر مكر ومجر ومدر وفي نحو مسجد
 ومعبد بسجد وبعبد ومن ذلك ما يحكى عن ابي عثمان المازني
 وكان يتكلم بتلك اللغة قال دخلت على الواثق فقال لي ممن
 الرجل فقلت من مازن فقال من اي الموازن مازن تميم ام قيس ام ربعة

من ان تحمليني واحتم عليا صواعبها ان تحمها على مقدم هودجها
فحملته فجعل يدخل رأسه في الهودج ويقبلها وهو يشير الى ذلك
كله في قصيدته ومع علو منزلة امرئ القيس في البلاغة
وشهادة الاولين والآخرين له بذلك فهو قائد الشعراء الى النار
يوم القيامة لان ابامرة اغراه على قبائح صارت سنة عنه وصار قدوة
فيها وان كان من اهل الفترة وقد قال الله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا فتعذبه من بين اهل الفترة لحكم يعلمها
الباري سبحانه

واستمر الشيخ يتفهم بلحه الى ان جاء الوقت المقدر للقيام
وكاد من كثرة ما لقي عليهم ان يخرج عن المقام وقد بهرت عقولهم
جلالته وملأت قلوبهم مهابته لرقه تعبيره ودقة تقريره واتساع فهمه
وغزارة علمه فلما ختم الدرس وجهلى على النبي صلى الله عليه وسلم
قام اليه صاحبه الانكليزي ورئيس الجمعية ونائبه ووضعوا ايديهم
في يديه ومشوا ومعظم اهل المجلس حافون به الى ان وصلوا محلا
قد اعد للاستراحة فخصوا الشيخ بصدر المجلس وكان قد بقي في
نفس بعض الطلبة بعض مسائل هاب ان يسأل عنها في اثناء
الدرس فلما شربوا التهوية قال قد ذكرت لنا ايها الاستاذ ان
العرب كانوا في ابتداء امرهم لا يلتفت الى نظمهم ونثرهم الا بعد
شهادة قريش لهم فمن قريش وما قدر ما حازوه من فنون
الادب حتى اذعن لهم جميع العرب

اذتنتا بينها اسماء رب تاو يمل منه التواء
 بعد عهد لنا ببرقة شيا • فادنى ديارها الخلصاء
 وهي ثمانون بيتاً

• وكان سبب انشاء امرى القيس لتصيدته هذه انه كان
 يعشق عنيزة ابنة شرحبيل وكان لا يحظى بلبائها ووصالها فانتظر
 ظعن الحى وتخلف عن الرجال حتى اذا ظعنت النساء فسبقهن
 الى الغدير المسمى دارة جملج واستخفى هناك اذ علم انهن اذا
 وردن هذا الماء اغتسلن فيه فلما وردت عنيزة والعذارى
 اللواتي كن معها ونضون ثيابهن وشرعن في الماء ظهر امرى
 القيس وجمع ثيابهن وجلس عليها فلما رأته اكبرن هذا الامر
 وشق ذلك عليهن وناشدنه ان يخلي سبيلهن فحلف ان لا يدفع
 اليهن ثيابهن الا بعد ان يخرجن اليه عواري فخاصمنه زماناً طويلاً
 من النهار فأبى الا ابرار قسمه فخرجت اليه او فحهن فرمى بثيابها اليها
 ثم تابعن حتى بقيت عنيزة واقسمت عليه فقال لها يا ابنة الكرام
 لا بد لك من ان تفعلي مثل ما فعلن فخرجت اليه فراها مقبلة
 ومدبرة فلما لبسن ثيابهن اخذن في عدله وقلن له قد جوعنا
 واخرتنا عن الحى فقال لهن لو عقرت راحلتي لكن أنا كان فقلن نعم
 فعقر راحلته ونجزها وجمعت الاماء الحطب وجعلن يشوين اللحم
 وياكلن الى ان شبعن وكان معه ركوة خمر فسقاهن منها فلما
 ارتحلن اقتسمن امتعته فبقي هو فقال لعنيزة يا ابنة الكرام لا بد لك

ره اطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفاً بها صحبي علي مطيم يقولون لا تهلك اسي وتجلد
وهي مائة بيت وبيتان

والثالثة لزهير بن ابي سلى المزني وهي من الطويل ومطلعها
امن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتلم
ودار لها بالرقمتين كانها مراجيع وشم في نواشر معصم
وهي اثنان وستون بيتاً

والرابعة للبيد ابن ربيعة العامري من الكامل ومطلعها
عفت الديار محلها فمقامها بنى تأبد غوها فرجامها
فمدافع الريان عرى سهمها خلقا كماضن الوحي سلامها
وهي سبعة وثمانون بيتاً

والخامسة لعمر بن كئثوم من الوافر ومطلعها
الا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الابندرنا
مشعشة كأن الحصى فيها اذا ما الماء خالطها سفينا
وهي مائة بيت وواحد

والسادسة لعنترة بن شداد من الكامل ومطلعها
هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عيلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عيلة واسلي
وهي خمسة وسبعون بيتاً

والسابعة للحارث بن حلزة اليشكري من الخفيف ومطلعها

وكتوله

راحت تحب دجى شباب مظلم

وغدت تعاف ضحى مشيب نير

وقد تكون بين ستة وستة كقوله

على رأس عبد تاج عز يزينه

وفي رجل حر قيد نل يشينه

فقال له بعض القوم نسع ان هذه القصيدة وهي قفا

نبك الخ يقال لها احدى المعلقات السبع فما المعلقات وما سبب

تسميتها بذلك

فقال الشيخ كانت العرب في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر

في اقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده احد حتى يأتي به مكة

فيعرضه على اندية قريش فان استحسنوه روي عنه وكان فخر القائله

وان لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به فكانت العرب في الجاهلية تجتمع

في كل عام بمكة وتعرض اشعارها على هذا الحي من قريش واول

شعر علق على الكعبة شعرا مرىء القيس هذا فعلقه على ركن من

اركانها ايام الموسم حتى نظر اليه اهل الموسم فتبعه الشعراء وعلقوا

قصائد هم من بعده ولما كانت ايام بني امية اخنار بعض امرائهم

منها سبعة فسميت المعلقات السبع فهذه احداها وهي من البحر

الطويل وعدتها ثمانون بيتا الا بيتا والثانية لطرفة ابن العبد وهي

من الطويل ايضا ومطلعها

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سخ الدمع من جفنه
 حسب الفتى بعد الصبا ذلة * أن يضحك الشيب على ذقنه
 ولما علم الشيخ أن لهم بفن البديع بعض المام قال وفي هذه
 الآيات عند علماء البديع من الجناس أيها التضاد وهو الجمع بين
 معنيين غير متقابلين بلفظين يوهان ذلك وذلك لأن المراد من
 ضحك المشيب وتبسمه ظهوره وهو بهذا المعنى لا يقابل البكاء ولا
 سخ الدمع وإنما يقابله بلفظه فلذلك سي بإيهام التضاد وكلما كثر
 عدد المتقابلات كان الكلام ابلغ فقد تكون المقابلة بين شيئين
 كالآيات المتقدمة وقد تكون بين ثلاثة كقوله

ما احسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

واقبح الكفر والافلاس بالرجل

وكقوله

فلا الجود يعني المال والمجد مقبل

ولا الجمل يعني المال والمجد مدير

وقد تكون بين أربعة كقوله

قابلتهم بالرضى والبشر منشرحا

ولوا غضابا قيا حزني لغيطم

وقد تكون بين خمسة وخمسة كقوله

ازورهم وسواد الليل يشفع لي

وانثني وبياض الصبح يغري بي

ثم قال له اخر لماذا لقبوا امرء القيس بذي القروح وبالذائد
مع ان له كلاما كثيرا غيرها

فقال الشيخ لا بدع في ذلك فان الانسان قد ينسب الى ما
اختاره وقد ينسب الشاعر نفسه الى بعض كلامه ومن ذلك قول
دعبل الخزاعي انا ابن قولي

لا تعجبي يا سلم من رجل * لعب المشيب برأسه فبكي
وقول ابي تميم انا ابن قولي
نقل فوادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنيه ابدأ لاول منزل

وقول محمد بن وهيب انا ابن قولي
ما لمن تمت محاسنه * ان يعادي طرف من رمقا
لك ان تبدي لنا حسنا * ولنا ان نعمل المحدفا
فقال له اخرو كان له اطلاع على دواوين الشعراء اظن ان
دعبلا سرق معنى بيته السابق يعني قوله لا تعجبي الخ من قول مسلم
بن الوليد

مستعبر بيكي على دمنة * ورأسه يضحك منه المشيب
فقال له الشيخ نعم الا ان دعبل جاء به اجود فصار احق به
منه وقد تفنن الشعراء من بعده في نظم هذا المعنى فثمة قول بعضهم

بود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وكذلك لم الجازمة فانها حرف
 فاذا زيد عليها ما وهي حرف ايضا صارت اسما في بعض المواطن
 بمعنى حين ونظير ذلك في الافعال قل و طال فانها فعلان لا
 يستغنيان عن الفاعل كما هو حكم جميع الافعال فان كل فعل
 لا بد له من فاعل فلا يلي الافعال الا الاسماء لفظا او تقديرا
 وهذان الفعلان لما دخلت عليهما ما الزائدة وتركبت معهما استغنيا
 عن الفاعل وجاز ان يليهما الفعل نحو قولك طال ما زرتك وقل
 ما هجرتك وكذلك لم اشياء تختلف اسماؤها باختلاف اوصافها فانهم
 لا يقولون للقدح كأس الا اذا كان فيه شراب ولا للبئر ركية الا
 اذا كان فيها ماء ولا للدلو سجيل الا اذا كان فيه ماء ولو قل ولا
 يقال له ذنوب الا اذا كان ملانا ولا يقال للبستان حديقة الا اذا
 كان عليه حائط ولا للاناء كوز الا اذا كانت عليه عروة والا
 فهو كوب ولا للعجاس ناد الا وفيه اهله ولا للمرأة ظبينة الا وهي
 في الهودج ولا للسرخدر الا اذا اشتمل على امرأة ولا للقدح سهم
 الا اذا كان فيه نصل وريش ولا للسرب نفق الا اذا كان نافذا
 ولا للخيط سمط الا اذا كان فيه نظم ولا لماء الفم رضاب الا ما
 دام في الفم ولا لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة الا اذا كان عليه
 الطعام والا فهو خوان ومثل ذلك كثير في كلامهم وهذا من اسرار
 اللغة العربية التي لم يطلع عليها الا من تتبع مواقع استعمالهم وتصلع
 من موارد كلامهم

وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان عليّ وقوله هذا فراق بيني
 وبينك فان بين في الموضوعين مضافة لمفرد الاول ضمير المتكلم والثاني
 ضمير المخاطب فلمَ جاز ذلك ولم يميزان يقال المال بين زيد وبين
 اخيه فقال الفرق بين الموضوعين ان المعطوف في الايات قد عطف
 على المضمرة المجرور وقد شرط جمهور النحويين في العطف عليه
 تكرير الجار فيقولون مررت بك وبزيد ولا يميزون مررت بك
 وزيد ولهذا لحنوا من جر الارحام في قوله تعالى واتقوا الله الذي
 تسألون به والارحام عطفاً على الضمير المجرور حتى قال بعضهم
 لو اني صليت خلف امام فقرأ بها لقطعت صلاتي وبعضهم وجه
 الجر بان الواو للتسم فيكون الباري سبحانه قد اقسام بالارحام تنويهاً
 بفضلها وتنبيهاً على تاكد حتمها ووجوب رعايتها ثم سمع الشيخ رجلاً
 من وسط الحلقة يقول

وبيننا المرء في الاحياء مغتبط

اذ صار في الرسم تعفوه الاعاصيرُ

كانه يعرض بالاعتراض على الشيخ في اشتراطه في لفظ بين

ان تضاف الى متعدد

فقال الشيخ ليس يبدع ان يتغير حكم كلمة بتغيير ما تضم اليه

لان التركيب يزيل الاشياء عن اصولها ويحيلها عن اوضاعها ألا

ترى ان ربّ الحجازة لا يليها الا الاسم كقولك ربّ اخ لم تلده امك

فاذا اتصلت بها ما غيرت حكمها ووليها الفعل كقوله تعالى ربها

للاشتراك فقال له بعض من بالمجلس اذا اشترطنا في لفظه بين
ان لا تدخل الاعلى متعدد فما تصنع في قول القرآن في صفة
المنافقين مذبيين بين ذلك فان لفظ ذالا يشار به الا الى مفرد
فقال له الشيخ لو دقت النظر لوجدت الجواب واضحاً وذلك

ان اسم الاشارة وان كان مفرداً لفظاً لكنه متعدد معنى لانه ادى
تأدية شيئين وناب مناب لفظين وقد كشف سبحانه هذا التأويل
بقوله بعد لا الى هولاء ولا الى هولاء وكان تقدير الكلام في الآية
بين ذينك الفريقين ونظيره لفظه احد في قوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله فان هذه اللفظة وان كانت مفردة الا انها
تستغرق الجنس الواقع على المفرد والمثنى والجمع وما يدل على ان
اسم الاشارة هنا نائب عن شيئين نيابته في باب ظن عن المفعولين
نحو ظننت ذلك فتلخص من هذا ان بين لا يتبع بعدها الا متعدد
اوما يؤدي تأدية المتعدد فقال له اخر اذا كان كذلك فحينئذ
لا يصح ان يقال المال بين زيد وبين عمرو

فقال الشيخ وهو كذلك بل الصواب في مثله حذف بين
الثانية كقوله تعالى يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً
للساربين .

فقال ذلك السائل فما تقول في قوله تعالى حكاية عن قول
فرعون لموسى فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه فان بين الثانية
مضافة لضهير المخاطب وهو مفرد وقول موسى لشعيب ذلك بيني

وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة ويجهل ان يكون الخطاب
لواحد وانما جرى خطاب الاثنين على الواحد لمرور السنتهم عليه
كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان از دجر

وان ترعياني احم عرضا ممنعا

وان تكون مبدلة من نون التوكيد والاصل فنن فابدلها
ألفا في الوصل قياسا على ابدالها في الوقف ويجهل ان المراد تكرير
الامر مرتين والاصل قف قف فالحق الالف اماره دالة على ان
المراد ذلك كما قالوه في قوله تعالى حكاية عن اهل النار قال رب
ارجعون ان المراد منه ارجعني ارجعني ارجعني ثلاثا فجعلت الواو
علامة مشعرة بان المعنى تكرير الفعل مرارا والدخول بفتح الدال
اسم مكان وهو مفرد ولفظ بين يقتضي الاشتراك فلا يدخل الاعلى
مثنى او مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة وكقوله
شوقي اليك نفي لديك هجوعي

فارقتني فاقام بين ضلوعي

فان وقع بعدها مفرد فلا بد من العطف عليه بحرف مشرك
وهو الواو نحو المال بين زيد وعمرو وقد وقع بعدها هنا مفرد وهو
الدخول وعطف عليه بالفاء ثم اجاب بان الدخول اسم واقع
على عدة امكنة فهي وان دخلت على مفرد لفظا فهي داخلة على
متعدد معنى فلذلك عطف عليه بالفاء الموضوعه للتعقيب لا

اتقرة قطعن في ابطه فنزل هناك بجانب جبل يقال له عسيب
وتفرق عنه اصحابه وكان بجانب الجبل قبر لبعض بنات الملوك
وفيها بقول

اجارتنا ان الخطوب تنوبُ * واني مقيم ما اقام عسيبُ
اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيبُ
فان تصليني تسعدي بمودتي * وان تقطعيني فالغريب غريبُ
فلما مات دفن بجانبها وكان اخر ما تكلم به (رب طعنة
منعجرة وخطبة مستحضرة وجفنة مدعثة وقصيدة محبرة تبقى غداً
بانقرة (المنعجرة) في الاصل الجفنة التي يسيل ودكها فشبه الطعنة
بالجفنة التي يسيل منها الوداء وهو الدهن والجفنة القصة الصغيرة
والمدعثة المكسورة والمحبرة المحسنة واتقرة بفتح الهمزة وسكون النون
وكسر القاف معرب انكوريه وهي عمودية التي مات بها امرؤ
القيس ثم شرع يلقي عليهم من حفظه ويتأنق في تعبيره ولفظه
ويجمل ويوضح ويكني ويصرح ويطنب فلا يمل ويوجز فلا يخل
وكان من جملة ما القا عليهم عند الكلام على قول امرئ
القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوا بين الدخول فحومل

ان قال ان الالف في قفا يجمل ان تكون للتثنية لان
العادة ان اعوان الرجل في الغالب اثنان راعي ابله وراعي غنمه

المأثور واسمه جندح بن حمير بن عمرو وجندح بضم اوه وثأثه
 وسكون ثانيه على وزن قنفذ ومعناه في الاصل رملة طيبة تنبت
 الواناً وامه فاطمة بنت ربيعة اخت كليب ومهملل وامرء القيس لقبه
 وكنيته ابو وهب وابو الحارث ويلقب ايضا بذئ القروح لقوله في
 بعض قصائده

وبدلت قرحا دامية بعد صحة

لعل منايانا تحولن ابؤسا

ويلقب ايضا بالذائد لقوله في بعض قصائده

(اذود القوافي عني زيادا)

ومعنى امرء القيس في الاصل رجل الشدة لان القيس في
 اللغة الشدة وقيل ان القيس كان اسما لضم فنسب اليه ولهذا كان
 الاصمعي يكره ان يروي قوله الاثني

عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل

فكان يقول يا امرء الله وكان ابوء حجر طرده في صغره من
 اجل غنيزة التي كان يتشبه بها فلما طرده صار يتقلب في احياء
 العرب ويتبع صعاليكم وهم اللصوص وكان ابوه ملكا على بني
 امد فغسهم عسفا شديدا فتمالأوا على قتله فقتلوه فلما بلغه قتل
 ابيه وكان يشرب الخمر قال اليوم خمر وغدا امر ضيعني صغيرا
 وحملني ثقل الثار كبيرا وقام في اخذ ثار ابيه في خبر طويل سننكم
 عليه اذا دعا الحال اليه وما زال في طلب ثار ابيه الى ان وصل

وما سمي الانسان الانسيه

ولا القلب الا انه يتقلب

واسئل الجميع ان ينظروا الى الفقير بعين الرضى والتبؤل

في كل ما يفعل او يقول فقد قيل

وعين الرضى عن كل عيب كليله

كما ان عين السخط تبدي المساويا

والله تعالى يوقني واياكم الى اقوم طريق ويهدينا معالم التحقيق

بجاه سيدنا محمد خير الانام عليه وعلى سائر الانبياء افضل الصلاة

والسلام ثم قال اعلمو ان الله تعالى لما خلق الانسان علمه البيان

فخلق آدم وعلمه الاسماء كلها وكان يتكلم بالسريانية فالسريانية هي

اول اللغات ثم نوع اللغات الى انواع فجعل افصحها وافضلها اللغة

العربية فنريد التكلم في طرف ما يتعلق بها فنقول ان اول من

تكلم باللغة العربية نبي الله اسماعيل بن نبي الله ابراهيم الخليل عليهما

السلام ثم ما زالت تسع جيلا بعد جيل الى ان صارت لا يحيط

بها من ائمة اللغة الا القليل وقد طلبتم مني لحسن ظنكم بي ان املي

عليكم منها بعض دروس تكون لغياهب غوامضها كالشموس فما

وجدت اقرب من الدواوين التي تشتمل على ما كانت تستعمله

العرب في تغزلاتهم وما كانوا يقولونه في حلولهم وتنقلاتهم ورأيت من

احسن ما صنف في هذا المعنى ديوان حامل لواء الشعراء وامام كل

شاعر فوق الغبراء وهو امرء القيس المشهور الذي ورد فيه الاثر

باحد الا قام له ونظر اليه وتامله وما زال ذلك الرئيس آخذاً
 بيد الشيخ الى ان ادخله محل الدرس فوجد به جمعا لا يشق له
 غبار وجميع الطلبة في الانتظار فلما قدم عليهم قاموا جميعا تعظيما
 له واجلالا وتلقوه بما يليق بمثله فشق الشيخ صف الحلقة ودخل معه
 الرئيس والخوارج وابنه حتى اجلسوه على كرسي قد هبئ له في وسط
 الحلقة فكان الشيخ وحده مرتفعا على جميع الحاضرين فاطرق راسه
 مليا خاشعا لله تعالى ولما جلس الجميع واستقر كل في مكانه افتتح
 الشيخ الدرس فقال بعد التعوذ والبسلة نحمدك اللهم على ما اوليتنا
 من النعم التي لا تعد والمنن التي لا تحصى خلقت الارض والسموات
 واسكنت فيها انواع المخلوقات الفرد الصمد لا شريك لك في الملك
 يا مدبر الفلك ومجري النجوم انت الاول الاخر الباطن الظاهر
 فاليك المرجع والمستند وعليك التوكل والمعتمد اللهم وفقنا لما
 يرضيك يا رحيم واهدنا الصراط المستقيم اما بعد فقد سألني حضرة
 الرئيس المعظم والاساذ المفتح ان اشرح بعض مسائل علمية وفنون
 ازهرية عقلية ونقلية فلم تسعني مخالفته بل وجبت علي طاعته
 ومخالفته مع اني اعلم من نفسي العجز عن الخوض في هذا المشرع
 وعدم القدرة على ان احوم حول هذا المرتع فارجوكم ايها السادة
 الاساتذة والاحبار الجهابذة ان تعضوا الطرف عن الهفوات وتصفحوا
 عما يقع من الزلات فان من الواضح الغني عن البيان ان الانسان
 محل النسيان كما قيل

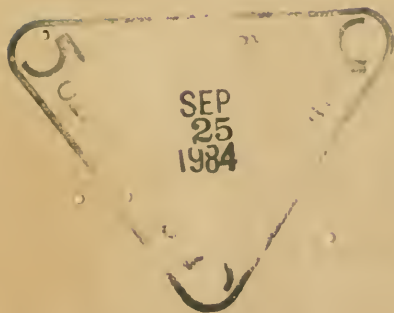


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المسامرة السابعة والتعمون

الجمعية المشرقية

ثم ان الخواجا فتح الصندوق واطلع على ما فيه ثم افله وقال
لابن الشيخ وعدتك بنظارة ونحن بالمركب فها هي فخذها
واحفظها وهي نفسك فانك متوجه معنا فاخذها ووضعها في غرفته
وغير ثيابه ورجع وكانت العربية حاضرة فركبوا جميعا الى المدرسة
المشرقية ليلقي الشيخ فيها درسا فساروا قليلا فوجدوا رئيس الجمعية
على بابها فتلقاهم وحياهم واخذ بيد الشيخ بغاية ما يليق من التعظيم
والوقار وما ينبغي من الاحترام والاعتبار وكان على الشيخ يد
حلة مصرية مما يلبسه العلماء فتنحست العيون اليه وكان



DT
70
A 597
1882
V 4.



عَلَمُ الدِّينِ

لحضرة العالم الفاضل صاحب السعادة

علي باشا مبارك

ناظر الاشغال العمومية المصرية

الجزء الرابع

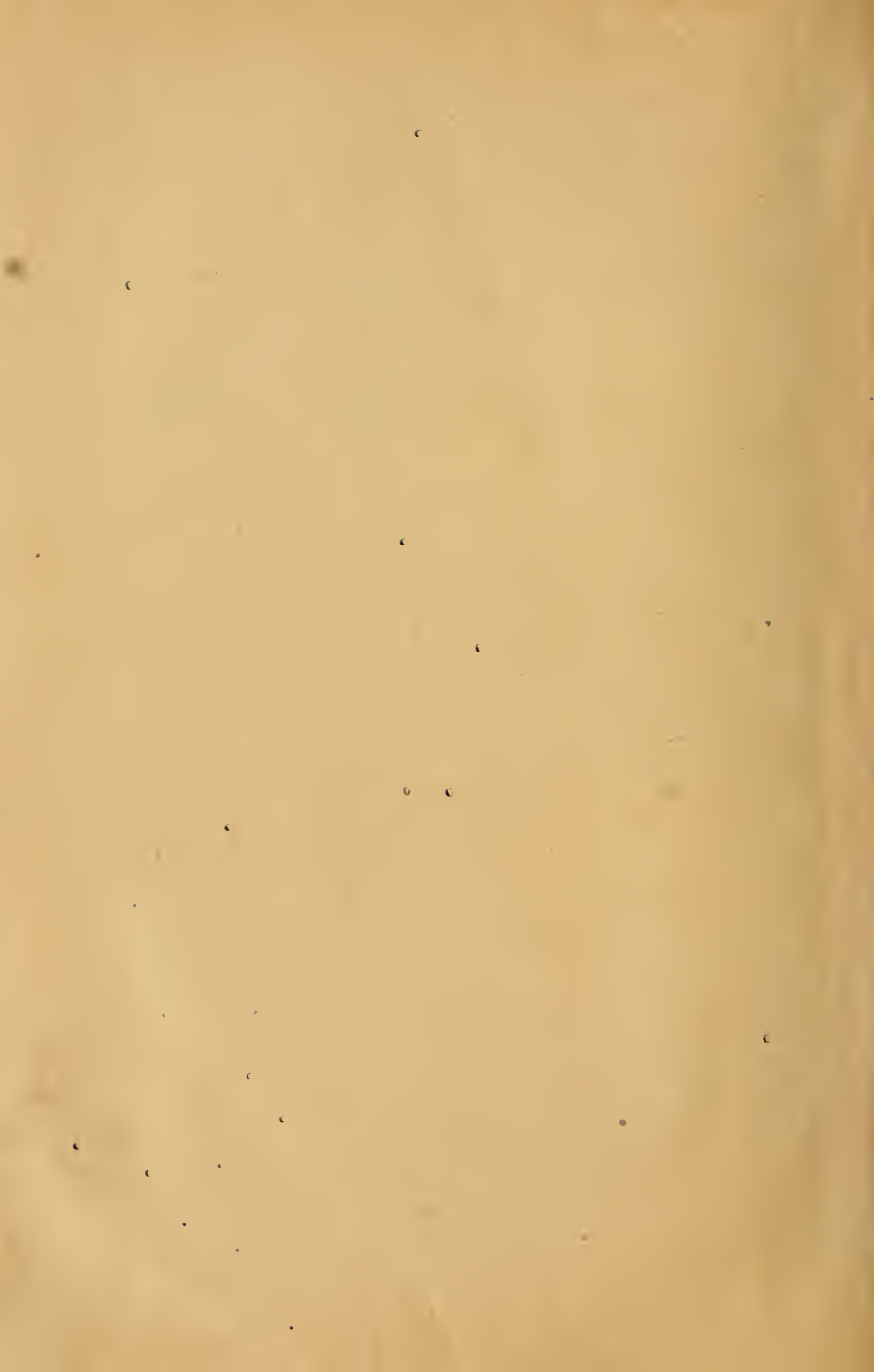
طبع في مطبعة جريدة الحروسة بالاسكندرية

١٢٩٩

سنة

١٨٨٢





**PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET**

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

